

# الكتبة وخدماتها ونظرة في الثقافة والسياسة والفكر

Weghat Nazar - Volume 10 - Issue 120 - January 2009

مجلة شهرية، العدد المائة وعشرون، السنة العاشرة، يناير ٢٠٠٩، الثامن عشرة جنيهاً

## غزة

الطريق إلى الأزمة !

حيث لا مكان لاجمعيهم !



سياحة الليل .. وسياحة النهار !

كنائس مصر

أحدث إصدارات

# دار الشروق



ويأجندة دار الشروق بمعرض الكتاب الدولي في الفترة من ٢١ يناير إلى ٥ فبراير

مدينة نصر، سيتي سنتر مول، ت. ٢٤٤ - ٢٤٨ - ١٦٥٤٤٧٩  
 الجزيرة، فيست مول، ٣٥ شارع الجزيرة، ت. ٣٥٣٠٣٦ - ٣٥٣١١٨٧  
 الإدارة، ٨ شارع سيدي بصلبيط، مدينة نصر، ت. ٢٤٢٣٣٩٩

وسط البلد، ١ ميدان طلعت حرب، ت. ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٢٣٩١٢٨٠  
 سمو الجديفة، ١٥ شارع بغداد، الكويت، ت. ٢٤١٧١٤٤ - ٢٤١٧١٤٤  
 الإسكندرية، سان ستيفانو مول، ت. ٣٧٠٣٧ - ٢٤٩٠٣٧ - ١٠١١٣٣٨٥  
 www.shorouk.com email: dar@shorouk.com



## الكتب وجاهات نظر

في الثقافة والسياسة والفكر

تصدر عن:  
الشركة المصرية  
للنشر  
العربي والدولي

رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم الحليم

رئيس مجلس التحرير

سلامة أحمد سلامة

رئيس التحرير  
أيمن الصبياد  
رئيس التحرير الفني  
حلمي الترسوني

### كتابات العدد :

- ١. الفت أحمد الخشاب.. باحث في التاريخ.
- ٢. امتياز دياب.. كاتبة فلسطينية تقيم في جنيف.
- ٣. أيمن الصبياد.. صحفي.
- ٤. بشير نافع.. كاتب وأكاديمي فلسطيني مقيم بلندن.
- ٥. خالد محمد ياسين أبو الهيجاء.. قارئ.
- ٦. زكي سالم.. كاتب مصري يعمل درجة الدكتوراه في الفلسفة.
- ٧. لميسا وين.. باحثة أكاديمية في الأنثروبولوجيا بجامعة ماكوير - أستراليا.
- ٨. مبارك ناصر.. كاتب في التيوبوكر.
- ٩. محمد يوسف عيسى.. باحث في التاريخ والشؤون السياسية مقيم في إنجلترا.
- ١٠. مهنا بدیع عبد الملك.. أستاذ الرياضيات بكلية الهندسة جامعة الإسكندرية.
- ١١. هاشم النحاس.. ناقد سينمائي.

رسوم العدد للفنانين  
James Gallray, Nenliconيحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعوات ورقية  
أو غير الحاسبية لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء  
منها، بغير إذن كتابي مسبق من الناشر.

### المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي  
٢ ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية  
ت : ١٩٠ - ١٤٠ / ٢٢٩٢ - ١٤٢ / ٢٢٩٢ - ١٤٨ فاكس : ٢٢٩٢ - ٢٢٩٢ (٢٠٠٩)  
البريد الإلكتروني (التحرير) : e-mail: info@alkotob.com

### الإشتراكات :

السنة الواحدة (إثنا عشر عدداً) أمانة البريد : داخل مصر ١٠٠ جنيه مصري - اتحاد  
بريد عربي : ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا وكندا : ٨٠  
دولاراً أمريكياً - باقي دول العالم : ١٠٠ دولاراً أمريكياً -  
إدارة الإشتراكات : شارع سيوفيه المصري ص ب ٢٢ النازراء - مدينة نصر  
هاتف : ٢١٠ ٣٣٣٩٩ فاكس : ٢١٠ ١٨٥١٦ subscription@weghatnazar.com

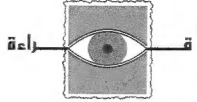
### من النسخة :

في مصر ١٠ جنيهات مصرية - السعودية ١٥ ريالاً - الكويت ١,٥ دينار - الإمارات ١٥  
درهما - مملكة البحرين ١٠ دينار - قطر ١٥ ريالاً - سلطنة عُمان ١٠٠ ريال - لبنان ٥٠٠٠  
ليرة - سوريا ١٥٠ ليرة - الأردن ديناران ونصف - ليبيا ديناران - الجزائر ٣٠٠ دينار - المغرب  
٣٠ درهماً - تونس ٤ دينارين - اليمن ٣٠٠ ريال - فلسطين ٣ دولارات.  
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £ 3 - USA \$ 5.

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

### محتويات العدد :

- ١. أيمن الصبياد .. قراءة.. يوما زالت الحملات.. تبحث.
- ٢. بشير نافع .. حماس .. الطريق إلى الأزمة
- ٣. الفت أحمد الخشاب .. صفحات من التاريخ .. حدود مصر الشرقية .. أطماع صهيونية قديمة.
- ٤. مبارك ناصر .. إعلام المضطحة
- ٥. زكي سالم .. تعقبات، في الدفاع عن الاقتصاديين.
- ٦. لميسا وين .. عن ماذا يبحث الخليجيون والأوروبيون في مصر؟  
«سياحة الليل.. وسياحة النهار»
- ٧. هاشم النحاس .. أسئلة في تاريخ السينما المصرية.
- ٨. مهنا بدیع عبد الملك .. فرحت بالقليلين إلى بيت الرب نذهب «كنائس مصر»
- ٩. محمد يوسف عيسى .. أن تورث الحكم لشخص ما .. فكانك تورثه شعباً .. كما يورث قطيعاً من الأغنام والبقرة قصة ديمقراطية.
- ١٠. امتياز دياب .. البحث عن محمود درويش في كردستان
- ١١. البحث عن كردستان في محمود درويش
- ١٢. خالد محمد ياسين أبو الهيجاء .. أعلام محفوظ.. الروائية.
- ١٣. إصدارات جديدة.



# وما زالت الحمائم

كما أنه - سياسيا - لافارق على الأرض بين ماجري في صيف ٢٠٠٣ ومايجري في شتاء ٢٠٠٨ غير بعض التفاصيل، لا جديد في كلام الرئيس الأمريكي الأسبق. فكل متابع للعصبة (تعرضا وجهات نظر، في المقابل التالي) يعرف تطوراتها. ويعرف كيف تلعب الجميع الفلسطينيين على احتياضهم، (الديمقراطي، بدما بالتجوع.. وليس نهاية بالترويج الذي تتولاه حال (F16) وديابات الميركافا.



أيا ماكان أمر ماجري.. أو ما سنتنتهي إليه الأمور تبقى ملاحظات (ولا أقول حقائق) ربما غابت وسط الركام وأصوات الانضجارات وحسابات، المجتمعين تحت قبة الجامعة العربية، أو أولئك المعلقين على شاشات التلفزيون.

١ - إن قطاع غزة، طبقا للقانون الدولي، أرض محتلة. وإن إسرائيل هي دولة الاحتلال. وأن لذلك مترتيباته ومسئوليته (كما أكد الرسميون المصريون) إلا أن ذلك يعني أيضا أن «مقاومة الاحتلال، بأي وسيلة كانت، تبقى حقا مشروعا (طبقا للشرعية الدولية ذاتها)

٢ - إن «الحصار التجويي» في التعريف العسكري عمل من «أعمال الحرب» يبيح الرد بأي وسيلة كانت «دفاعا عن النفس».

٣ - إن مرحلة ما سمي «التهدئة»، (وهو مصطلح آخر يضاف إلى منات المصطلحات التي أضفيت إلى ملف القضية والتي يبدو وكأنها تحت خصيصا للإيهام بأن هناك (جديدا) كانت في حقيقتها على الأرض عدوانا مسكوتا عنه، كانت. بواقع الأمور، عدوانا يرد عليه بتهدئة.

٤ - إن جون دوجارد، المقرر الخاص للجنة حقوق الإنسان لدى الأمم المتحدة لم يكن مبالغا عندما وصف الصورة في غزة، أكثر مناطق العالم اكتظاظا بالسكان (٨٣٢٣ نسمة في كل كيلومتر مربع) «غزة عبارة عن سجن وإسرائيل هي السجنان الذي ألقى بفتحاح السجن بعيدا».

٥ - إن إسرائيل رفضت بكل إصرار - ومازالت - العروض المتكررة من جانب حماس بوقف إطلاق النار في مقابل فتح الحصار عن غزة. ورغم أن استطلاعات الرأي التي نشرتها صحيفة هآرتز اليومية الإسرائيلية أشارت إلى أن ٦٤٪ من الإسرائيليين يؤيدون إقامة حوار رسمي مع حماس، إلا أن السياسيين الإسرائيليين لحسابات شنيعة رفضوا على الدوام ذلك.

٦ - أن لا أحد فعليا، صما محاولات شبيهة لم يكتب لمظلمها النجاح - جرؤ على كسر هذا الحصار. (هناك قرار من الجامعة العربية صدر بالإجماع بكسر الحصار الاقتصادي على غزة إلا أنه لم ينفذ قط).

٧ - إن العرب الذين تشادوا إلى القمة مجزوا من مقدها في نهاية المطاف (على الأقل كتابت هذه السطور) في حين لم يكن صعبا على الأوروبيين أن يلتقوا في اجتماع وزاري طارئ ليبحث الأزمة.

٨ - إن أي عارف بالخصوصية الفلسطينية، يعلم علم اليقين أن محاولات الفصل بين حماس «كفصيل»، وبين الفلسطينيين «كشعب»، باستخدام الآليات المستخدمة من جماعات أخرى في غير نظام عربي، غير قابلة للتطبيق. أو على الأقل النجاح، فالخط الفاصل هنا غيره هناك. والمنظومة السياسية الفلسطينية عبر رحلتها الطويلة أعطت التتبع واقعا وأسلوبا نضاليا، وهي التي تحت تعبير، الفصائل، وهو مصطلح له، بمقتضى اللغة، دلالة وصعامة. وأنه كأي حركة مقاومة، فإن عوامل الوحدة تساوي بالضبط عوامل الفرقة والخلاف حول الأسلوب الأمثل لتحقيق المطامح الوطنية. حدث هذا قبل بين جماعتي الحسيني (الارتيكالية) والنشاشيبي (الأكثر اعتدالا) في ثلاثينيات القرن الماضي، كما حدث هنا كثيرا في الستينيات والسبعينيات قبل أن تظهر حماس ذاتها على الساحة الفلسطينية.

٩ - إن «حماس» جبهة العهد بالدبلوماسية ومناوراتها، والتي تبدو أحيانا مفتقرة لخبرة سياسية مطولة، لها أخطاؤها بلا شك، وإن كان خطؤها الأول (وهي حركة مقاومة) أو بالأحرى حركة للكفاح المسلح، كان يوم فيلت - أو ربما استدرجت. إلى الانخراط في عملية سياسية داخلية. إذ لم تكن حركة الكفاح

■ كان الوقت صيفا، وكان العام ٢٠٠٣ قبل خمسة أعوام كاملة. حين التقط مصور وكالة «رويتر» لذلك الصورة لأسراب حمام، فلسطينية، تفرّج واجفة أمام مجنزرة (إسرائيلية).

المكان (حسب البيانات المرفقة مع الصورة)، الأرض الفلسطينية المحتلة. والزمان (الذي بات شعاره «القوة فوق العدل»)، هو هذا الزمان الذي يبدو أن لا مكان فيه لوداعة، أو سكين، أو سلام.. أو حمام.

والناظر (حسب رؤيائنا الصراخ الذي لاينتهي في الشرق الأوسط) هو عشية انهيار هدنة، من بين عشرات تم الاتفاق عليها بوساطة عربية أو غيرها. وذلك بصاروخ أطلق، كالعادة - من طائرة إسرائيلية - لتصيب سيارة مهندس الهدنة ذاته هذه المرة «بسماعيل أبوشب، يخرج جثمانه متفجعا مع رفيقه، ويمشي في جنازته مائة ألف بطالون بالناز.

بقي أن نذكر كل المسائلين اليوم من التسبب في، إنهاء التهدة، أن إسماعيل أبوشب، خريج جامعة المنصورة في مصر كان الأكثر اعتدالا في قادة حماس جميعا. (والتعبير ليدعوت أحزونات الإسرائيلية). كما أنه كان مهندس الهدنة الأول. بل أنه كما لا بد أن يتذكر كل من القرب من الشهورات التي سبقت إعلانها، إن في القاهرة أو غزة، ساعد في إقناع قادة تنظيمات أخرى بقبولها، رغم قناعتهم التي بتت بعد ذلك صحبة بان الإسرائيليين الذين يعتقدون أنهم الأقوى لن يحترموها. وأن الأمريكيين، الرعاة المقترضين لن يضمنوها. (لإطلاع على قائمة كاملة بالتهاتكات الجيش الإسرائيلي لتهاتكات الهدنة مع الفلسطينيين يمكن الرجوع إلى سجلات منظمة حقوق الإنسان الإسرائيلية B'Tselem على موقعها على الإنترنت)



لماذا نلعب في صفحات الماضي القريب؟ ببساطة. لأن لا شيء يتغير. أمامي مقال كتبه قبل أشهر فقط (مايو ٢٠٠٨) الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر (لاغيره) عقب عودته من زيارة إلى «السجن

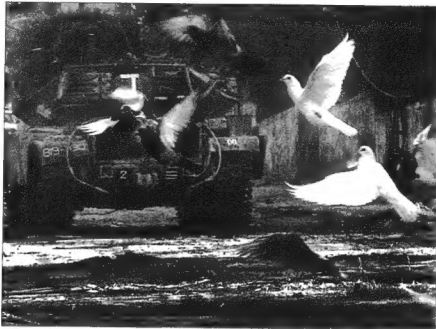
دعنا إسماعيل. يقول فيه نصا: «إن العالم يشهد الآن جريمة بشعة في حق الإنسانية على أرض غزة، حيث يعيش ١.٥ مليون إنسان داخل سجن كبير، لا سبيل أمامهم للخروج، سواء بحراً أو جواً أو براً، إلا أن عقاب جماعي وشي لأهل المنطقة بالكامل.

ليس هذا فقط. يضيف كارتر. فالغنائيل والصواريخ الإسرائيلية تضرب بشكل دوري منتظم هذه المنطقة المزروعة المحاصرة. (هناك ١٠٦ فلسطينيين قتلوا في غضون بضعة أيام فقط، من السابع والعشرين من فبراير إلى الثالث من مارس، بينهم ٢٥ من الصبية والأطفال).

لماذا كل ذلك؟

يجيب كارتر: إن إسرائيل بدأت في تصعيد إسائاتها البالغة واضطهادها للفلسطينيين من أهل غزة. على نحو غير مسبق وديم من الولايات المتحدة، لأن مرتشين سياسيين يمثلون حماس فازوا بأغلبية المقاعد في برلمان السلطة الفلسطينية في الانتخابات العام ٢٠٠٦. رغم أن غالبية المراقبين الدوليين كانوا قد أجمعوا يومها على نزاهة وصحة الانتخابات.

كيف كان رد الإسرائيليين والأمريكيين على تلك الانتخابات «الزنية»؟ يجيب الرئيس الأمريكي الأسبق بالرقام: «تستضيف سجون إسرائيل الآن ٤١ من مرشحي حماس الـ ٤٣ الذين فازوا بالانتخابات والذين كانوا يعيشون في الضفة الغربية، علاوة على عشرة وزراء في حكومة الائتلاف التي لم تدم طويلاً. ما لم يكن هذا، سياسيا، كل شيء، فالكل يعرف. والشهادة هنا للرئيس الأمريكي أن إسرائيل والولايات المتحدة رفضتا قبول حق الفلسطينيين في تشكيل حكومة وحدة وطنية بين حماس وفتح. ووفقاً بكل وسيلة ممكنة أمام محاولات، إساءة عربي، لبلعيت من العصفية الوسيطة، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى سلبتين «فعليتين» إحداهما في غزة تستند في شرعيتها إلى صندوق الانتخابات والأخرى في رام الله تستند شرعيتها من الاعتراف الإسرائيلي/ الأمريكي. ومن ثم اعتراف الآخرين.



الجاري، وصاد الضحايا الذي لا يتوقف، بدت أحباشنا أنها الأولى بالاعتبار، بغض النظر عن الآثار والنتائج، وقبل ذلك.. عن الوسائل.

ماذا بعد؟

ربما يكون صحيحا تماما ماذهب اليه محلل «الواشنطن بوست»، حين اعتبر أن إسرائيل أرادت من عملياتها التي قصدت بها محاكاة «الصدمة والترويع، الأمريكية في العراق، استباق قدوم الإدارة الأمريكية الجديدة بتوجيه ضربة لحماس، واستغلال الفترة المتبقية لإدارة الرئيس جورج بوش المؤيد للعدوان الإسرائيلي قبل مجيء أوباما الذي لا تستطيع التنبؤ بمواقفه.

الا أنه يبقى من المشكوك فيه تماما أن تنجح إسرائيل في إزالة حماس من الخريطة، كما اعتنت أو نشت ذلك لتسبب لبنتي ووزارة الخارجية الإسرائيلية الأنيقة الأكثر تطرفا، والتي تقول عنها «الجارديان» أنه إذا كانت زعيمة حزب العمل تلقن أن تهديد الطريق أمام إنشاء دولة فلسطينية معتدلة يكون غير التصفية الجسدية لقيادة نصف الشعب الفلسطيني، فهي باختصار وبساطة مخطئة..

ثم ماذا بعد؟

إننا قد لا نعرف بالضبط عدد ضحايا الضربة الجوية الأولى صباح السبت، ولكننا نعلم على وجه القطع أن الضحية الأولى هي ذلك «السلام» الذي كانوا يتحدثون عنه.



في عشاء على هامش ندوة خليجية قبل سنوات، كان على طاولتنا «لورد باتين، المفوض الأوروبي السابق للشئون الخارجية» (يشغل حاليا منصب رئيس جامعة أكسفورد) وكان طليعا أن يتطرق الحوار إلى الأزمة التي تبدو وكأن لا أحد يعرف لها حلا «الشرق الأوسط». فمن لأحدهم أن يسأل الضيف البريطاني: ما الذي يجعل ما نحب بالفعل في أيرلندا الشمالية. بضغط من الولايات المتحدة على بريطانيا، مستحيل الحدوث في الشرق الأوسط؟

ثم يسألك أكاديمي والديبلوماسية الخضر يومها إلا أن يجيب على السؤال بسؤال. قال، تعلمون جميعا أن الأمن هو هاجس الإسرائيليين الأول... وتفهم ذلك، ولكني لا أهتم كيف يؤدي تحطيم مكاتب رخص القيادة في فلسطين إلى الحفاظ على الأمن الإسرائيلي؟ وكيف يتسنى الحفاظ على ذلك الأمن بتخريب ممرات الطائرات، واقتلاع أشجار الزيتون. وتسميم مياه الأبار؟

سؤال اللورد البريطاني الذي طرحه علينا في ذلك المساء البعيد، أظنه ما زال قائما. وأظنه ما زال بلا إجابة. بالضبط كما أن الحمامات التي أفرغتها المجرزات الإسرائيلية في هذا اليوم من صيف ٢٠٠٣، ما زالت هائمة تبحث عن مكان... أو بالأحرى عن أمان. ■

المسلح، بحاجة أبدا إلى شرعية صندوقي الانتخابات، وهي جائزة. وبحكم واقع الأشياء - ويحكم كونها حركة مقاومة، على شرعية الدم والبنديقية.

١٠. يغلطن من يعتقد بأن لدى «ساسة، إسرائيل» رغبة حقيقية في السلام، أو بالأحرى، خريطة طريق، واضحة لذلك السلام، يذكر العرب. أو دعنا نقول، يتناسى العرب المتنادون اليوم إلى قسوتهم، أنهم قبل سنوات في بيروت، عندما طرخوا مبادرتهم للسلام مسلمينهنه، خيبارا استراتيجيا، لم ينجحوا في أن يجيروا الإسرائيليين على أن يفرجوا عن زعيم أوسلو «المعتدل» المحتجز في المقاطعة، حتى الموت. وكان هذا ردا بالغ الدلالة على مبادرة العرب واختيارهم الاستراتيجي.

١١. إن الحقائق على الأرض تقول إن عدد المستعمرات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة بلغ ٢٥ مستعمرة يسكنها نصف مليون نسمة. كما أنه في العام الأخير فقط، ورغم كل الآمال الزائفة التي أحاطت بمؤتمر أنابوليس في نوفمبر ٢٠٠٧، يذكرونا كارتر في مقاله - أعلنت إسرائيل عن تشييد تسعة آلاف وحدة سكنية جديدة في المستعمرات الإسرائيلية القائمة على الأراضي الفلسطينية، كما تزايد عدد حواجز الطرق القائمة داخل الضفة الغربية، وأصبح حصار غزة أشد إحكاما (١).

١٢. إن شعار «لا نريد أن نكون فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين» الذي يجري تسويقه عربيا، يحتاج إلى إعادة نظر بعد تدقيق. مطلوب، للتعريف.

١٣. إن شعار «الشرعية الدولية، أيضا يحتاج من العرب إلى أن يوضع في مكانه الصحيح، يسخر روبرت فيسك في الأندلس من مساواة الغرب بين الفلسطينيين والإسرائيليين في المطالبة بضبط النفس، كما لو كانت الديابات الفلسطينية في شوارع تل أبيب، ويذكرونا الكاتب البريطاني بأنه في الوقت الذي كان الجيش الجمهوري الأيرلندي يقوم بإطلاق قذائف الهاون على أيرلندا الشمالية، وتقوم مجموعاته بعمور الحجب لهاجمة نقاط الشرطة والبريطانيين البروتستانت، لم تقم بريطانيا بإطلاق سلاحها الجوي لضرب الجمهورية الأيرلندية. ويتساءل، «هل قام سلاح الجو الملكي بقصف الكتائب ونقاطات البترول ونقاط الشرطة وقتل ٣٠٠ مدني لتقليد الأيرلنديين دراما». محببا، إن هذا لم يحدث، لأن العالم كان سيعتبر هذا سلوكا إجراميا، أما في الحالة الفلسطينية فالأمر يختلف (١).



ماذا بعد؟

الأمر السين... أو الأسوأ في نتائج ماجري/ أو سيجري (كُتِب هذا المقال في اليوم الرابع للعدوان) أن أوروبا كثيرة قد اختلقت، وأن حسابات أنية إقليمية ودولية قد تدخلت وتدخلت، وأن الرغبة في تبرة النفس أمام نهر الدماء

## انفجار الانقسام بالطريقة التي انفجر بها لم يكن مخططاً من أي من طرفي الصراع



■ بين التاسع والرابع عشر من يونيو/حزيران ٢٠٠٧، حسمت مجموعات من الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، والقوة التنفيذية الموالية للحركة، الصراع الدائر منذ شهر في قطاع غزة بالقوة العسكرية. وكانت المناطق الفلسطينية الواقعة في نطاق الحكم الذاتي شهدت توتراً متزايداً منذ فوز حماس في الانتخابات التشريعية في مطلع ٢٠٠٦، ومن ثم تأهلها لتشكيل الحكومة الفلسطينية. وصل هذا التوتر ذروته في الاشتباكات التي شهدتها قطاع غزة خلال الأسابيع السابقة على عقد اتفاق مكة، جانب من هذا التوتر يعود إلى الحصار السياسي والاقتصادي الذي فرضته الدولة العبرية والقوى الغربية عامة على المناطق الفلسطينية بعد فوز حماس وتشكيلها الحكومة؛ ولكن الجانب الذي لا يقل أهمية عن ذلك يعود إلى سعي قوى وشخصيات داخل حركة فتح والطبقة الفلسطينية الحاكمة منذ أواسد، ويسعى قيادات ومؤسسات أمنية داخل سلطة الحكم الذاتي إلى تقويض دور حماس في الحكم وإخراجها نهائياً من جسم السلطة.

أثار حسم الصراع في قطاع غزة لصالح حماس ردود فعل سياسية سلبية فلسطينياً وعربياً ودولياً، كما أثار جدلاً فكرياً حاداً في الساحتين الفلسطينية والعربية. فقد شابت عملية الحسم تجاوزات بالغة من الطرفين، سواء من القوات الموالية لـ حماس أو تلك التابعة للأجهزة الأمنية؛ كما مثلت لحظة مؤلمة أخرى من الاشتباكات الفلسطينية - الفلسطينية، وأضافت الانقسامات فلسطينياً وطنياً إلى الانقسامات العربية الداخلية المتفاقمة في العراق وليبنان ولكن دالات الحسم السياسية هي الأهم بالتأكيد، سواء فيما يتعلق بالموقع الذي تحتله القضية الفلسطينية عربياً وإقليمياً ودولياً، أو بعملية التحول المرتبكة التي تشهدها المجتمعات العربية

للاستزادة:

الوضع الفلسطيني..

الأزمة والمصالحة ومستقبل الحركة الوطنية

بشير موسى نايف

مركز الجزيرة للدراسات

الدوحة - قطر ٢٠٠٨

والإسلامية ودور القوى الإسلامية السياسية ومستقبلها في هذه العملية. لقد قادت حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح»، النضال الوطني الفلسطيني منذ سنة ١٩٦٩، وبالرغم من التعددية السياسية والأيدولوجية التي تنسب بها الساحة الفلسطينية، كانت فتح هي من يحدد الانهاء العام للحركة الوطنية طوال ربع القرن الماضي، ولكن

دور فتح أخذ في التراجع منذ الانتفاضة الفلسطينية الأولى. وفعلاً قدم فوز حماس في الانتخابات التشريعية الأخيرة في الضفة والقطاع مؤشراً ملموساً على التراجع الفتحاوي وعلى صعود التيار الإسلامي السياسي. وهناك مؤشرات عديدة تشير إلى أن حجم ودرجة التحول بين فلسطيني الشتات لا يقلان عنهما في الضفة والقطاع.

## حماس ..

## الطريق إلى الأزمة

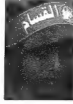
### بشيرانافع



### الطريق إلى الأزمة

اتجهت الأزمة السياسية التي ولدها عملية الحسم في قطاع غزة نحو التقعيد، سواء لرغبة دوائر معينة داخل السلطة الفلسطينية في إبقاء الأوضاع على ما هي عليه، أو للضغوط التي تمارسها الإدارة الأمريكية والحكومة الإسرائيلية على رام الله، أو لأن المفاوضات الجارية منذ نهاية ٢٠٠٧ حول تسوية نهائية ما للصراع على فلسطين تتطلب استبعاد حماس عن مواقع القرار للسلطة الفلسطينية، وأصبحت هذه الأزمة، بذلك، مفتوحة على احتمالات عدة، ولكن من الخطأ التعامل مع الأزمة الفلسطينية باعتبارها مجرد حلقة جديدة في سلسلة التداخبات التي عاشتها الساحة الفلسطينية منذ انتصار حماس في الانتخابات التشريعية. هذه أزمة ذات جذور عميقة في التاريخ السياسي الفلسطيني؛ ومن غير الممكن التوصل إلى قراءة صحيحة للحظة الفلسطينية الراهنة، وللتحول الذي يشهده المجتمع الفلسطيني واتجاهاته، بدون قراءة السياق التاريخي لبروز حركة فتح والاتجاه الإسلامي الفلسطيني، وبدون استطلاع دقيق لشروط التحولات السياسية في السياق الفلسطيني. ويالتظر إلى أن صيف ٢٠٠٨ شهد بدايات حوار وطني لمعالجة الأزمة وعواقلها، فإن الصعب تصور إعادة بناء الوحدة الوطنية الفلسطينية بدون إعادة نظر في النهج السياسي لقيادة سلطة الحكم الذاتي، لحركة فتح، وحركة حماس على السواء.

ساهمت الأجواء السلبية التي واجهت فوز حماس في إخفاق محاولة تشكيل حكومة وحدة وطنية جامعة، لاسيما بعد رفض فتح، والفصائل الأخرى، الانضمام إلى حكومة تفوذهها حماس. وربما لم تعمل قيادة حماس في الضفة والقطاع بشكل كاف من أجل التوصل إلى حكومة وحدة وطنية، وانتهت إلى تشكيل حكومة حماسوية بقيادة إسماعيل هنية. حازت ثقة المجلس التشريعي وبدأت عملها في نهاية فبراير/شباط، وفر الفوز في الانتخابات وتشكيل الحكومة شعوراً قوياً بالشرعية لدى حماس، وتصور عدد من قياداتها ووزرائها أن بإمكان الحركة أن تقدم إنجازاً ما على



تجاه اليزد محل الإشكال، الذي أصبحت صياغته، وضع خطة فلسطينية للتحرك السياسي الشامل. توحيد الخطاب السياسي الفلسطيني على أساس الأهداف الوطنية الفلسطينية، كما وردت في هذه الوثيقة وقرارات الشرعيةيتين العربية والدولية المنصفة لشعبنا...<sup>١٠٠</sup>

يبد أن الاتفاق على وثيقة التفاهم الوطني لم يضع حدا لخلافات بين الرئيس وقيادة حماس، واصطدم البحث عن حكومة وحدة وطنية بمسألة لا آخر لها من المشكلات المتعلقة بتوزيع الحقائق الوزارية، بخطاب التكليف، ويرى راجع الحكومة، اعتقد الرئيس عباس وعدد من مستشاريه أن حكومة حماس تسير نحو الانهيار، ولم يبد رغبة حقيقية في التوصل إلى حل سريع، وسرعان ما يضع أن التفاوض إلى اعاد الاتفاق على وثيقة التفاهم الوطني كان مبالغاً فيه، وتضاعفت حالة التدهور الأمني في قطاع غزة، لتحصد أرواح العشرات من أبناء فتح وحماس أو من المواطنين الأبرياء.

خلال شهر يوليو / تموز وأغسطس / آب، هدأت الأوضاع الأمنية والسياسية قليلاً على خلفية من الحرب الإسرائيلية على لبنان وحزب الله، ولأن الحرب أدت إلى مزيد من الانقسام العرسي بين من وقفوا إلى جانب حزب الله أو من تعاطفوا معه (مثل سورية وحركتي حماس والجهاد)، ومن حمل الحزب مسؤولية اندلاع الحرب (مثل مصر والسعودية والأردن)، فقد بدأ كان نجاح إسرائيل في توجيه ضربة مؤلة لحزب الله لن تؤدي إلى تقرير مصير الأزمة اللبنانية وحسب، بل إلى تغيير أوضاع الاستراتيجية في المنطقة ككل، ولعل هذا ما قصدهت وزيرة الخارجية الأميركية عندما رفعت القيام بمطالبة إسرائيل بوقف إطلاق النار، واصفة معاناة اللبنانيين بأنها، مخاض شرق أوسط جديد، انتهت الحرب بقرار مجلس الأمن الدولي ١٧٠١، الذي وفر لإسرائيل وجوداً دولياً إضافياً في الجنوب اللبناني بصلاحيات أكثر من اللجوء الدولي السابق، على أن كانت مهماته تقتصر على الرقابة وحسب، ولكن الضغط الأميركي لصالح المولة العربية في مجلس الأمن لم يستطع إخفاء الهزيمة التي تعرض لها الجيش الإسرائيلي في الجنوب اللبناني، وبدلاً من أن تؤدي

والعربية وتؤسس للمشاركة السياسية على أسس قوية، وبدد البعض الوقت أن حماس تقدم للمشاركة في الحكم على التصديق للفضية الوطنية، ليس فقط على مستوى السياسات، بل أيضاً على مستوى الثقافة والخطاب.

بعد أسابيع قليلة فقط على تشكيل حكومة حماس، لم يعد خافياً أن الوضع الناجم عن الانتخابات التشريعية لا يمكن تنظيمه بدون حكومة وحدة وطنية، وفي الوقت الذي كان الوفد الأممي المصري في قطاع غزة يحاول تهدئة الأوضاع، ولجنة الحوار الوطني تحاول التوصل إلى صيغة للتفاهم حول حكومة وحدة وطنية تقبل بها حماس والرئيس عباس، كان السجين الفتحاوي البارز مروان البرغوثي يعمل على جمع سجناءً بارزين آخرين من كافة المنظمات الفلسطينية في سجن عزام، وفي مطلع مايو / أيار توصل السجناء إلى وثيقة التفاهم الوطني، بصيغة فلسطينية، رجب بها عباس وأبدت قيادة حماس تحفظاً على بعض بنودها، خصوصاً تلك المتعلقة بالترام الاتفاقات الدولية والقيادة العربية...<sup>١٠١</sup> أدى تباين المواقف من الوثيقة إلى مزيد من التآزم في العلاقة بين الرئيس ورئيس وزرائه، وفاقم من حالة التوتر قيام القوات الإسرائيلية بحملة اعتقالات واسعة طالت عشرات عناصر حماس ولوابيا في الضفة الغربية، بعد قيام قوات القسام ومجموعتين أخريين بعملية «الومع المهدد، في حزيران / يونيو، التي انتهت بوقوع جندي إسرائيلي أسيراً لدى المهاجرين الفلسطينيين، في النهاية، توصلت لجنة الحوار الوطني إلى اتفاق حول صيغة جديدة لوثيقة التفاهم الوطني، أبدت فيها حماس مرونة جزئية

الفلسطيني، المشكلة أن حماس لم تعمل على تحديد المهمات المطلوبة على الحركة الوطنية الفلسطينية خلال المرحلة بعد الفوز في الانتخابات، ولم تقدم رؤية واضحة لتصورها حول إمكانية الجمع بين المشاركة في جسم السلطة والتصديق للمهمات الملقاة على كاهل القوى الوطنية والإسلامية الفلسطينية، ليس ثمة شك في حق حماس السعي إلى المشاركة في السلطة، بغض النظر عن أسس الشرعية التي تستند إليها سلطة الحكم الذاتي، إلا أن حماس لم تكن تستطيع الاستمرار في تشكيل قطاع واسع من الشعب بدون أن تكون في موقع يسمح لها برعاية مصالح هذا القطاع، وقد أصبحت سلطة الحكم الذاتي أسراً واقعاً، ولكن القضية الوطنية ككل كانت، ولا تزال، تواجه مهمات ملحة أكبر، البرهنا الجدار، تهويد نطق الاستيطان الضفة الغربية، وتوسع نطاق الاستيطان اليهودي فيها منذ توقيع اتفاقية أوسلو.



والحقيقة أن لا حكومة حماس، ولا الجهاد وقوى المقاومة الأخرى، تحركت بجدية كافية للتصالح مع المهمات الوطنية، وظلت المواجهة مع الاحتلال محكومة برود الفعل، بكلمة أخرى، لم تستطع حماس إيجاد صيغة توافق بين متطلبات وشروط المشاركة في حكومة سلطة الحكم الذاتي وحمل أعباء المسألة الوطنية، بل إن تشكيل حكومة حماس تم بتسرّع نسبي، وبدون إعطاء وقت يمكن تشكيل حكومة وحدة وطنية، كان يمكن أن تخلص الفلسطينيين من الكثير من سوءيات وأعباء والمقاومة الدولية

صعيد الحكم والإدارة، ولكن الواقع كان أكثر تعقيداً، تعرضت الحكومة الجديدة لمقاطعة دولية أثرت تأثيراً بالغا على حجم الموارد المتوفرة، وهو ما حاولت تعويضه بالحصول على مساعدات من دول عربية وإسلامية صديقة، ولكن المشكلة الأكبر تطلعت بصراع الصلاحيات السلطة الفلسطينية، لاسيما فيما يتعلق بالأجهزة الأمنية، وبينما تزايدت المؤشرات على توجه القيادات الفتحاوية في الأجهزة لإفشال الحكومة، أعلن وزير الداخلية عن تشكيل قوة أمنية جديدة، باسم القوة التنفيذية، في إربيل / نيسان، وبالنظر إلى أن نفوذ حماس في الضفة الغربية كان أضعف نسبياً عنه في قطاع غزة، فقد نجح تشكيل القوة التنفيذية في القطاع فقط...<sup>١٠٢</sup> وسرعان ما شهدت الأشهر التالية تشكيل الحكومة انفجار حالة القرب إلى الفلتان الأمني، لاسيما في قطاع غزة.

بعض من الحوادث الأمنية الدلعت على خلفية من خلافات عائلية، ولكن أغلبها كان سياسياً الطابع، مثل تصاعد التوتر بين حماس وفتح، أو بينها والأجهزة الأمنية التي تسيطر عليها فتح، وقد لعب جهاز الأمن الوقائي، الذي يدين بالولاء للقيادة الفتحاوي محمد دحلان، دوراً ملموساً في تفاقم حالة انهيار الأمن ولغياب الأمن في شوارع ومدن القطاع، خصوصاً بعد تشكيل القوة التنفيذية...<sup>١٠٣</sup> وبينما شهد شهر أكتوبر / تشرين أول أسوأ الاشتباكات بين القوة التنفيذية وأجهزة السلطة الأمنية في قطاع غزة، أصبح وضعا أن العلاقة بين حكومة حماس وقادة السلطة وأجهزتها انفارت إلى حد كبير، وإن الوضع الفلسطيني السياسي ذا الراسين غير المتوافقين غير قابل للاستمرار.

تتحور الجدل الذي أسس لدخول حماس الانتخابات التشريعية حول مسائلتين رئيسيتين: الأولى أن حماس وقوى المقاومة الأخرى مهددة بهزيمة أمنية قروية، يفرضها تقدم العلاقات بين السلطة والإدارة الأميركية وتوجهات السياسة الأميركية في المنطقة ككل، وأن فوزاً في الانتخابات ومشاركة في الحكم ستنتج هذه الهزيمة، والثانية، أن حماس باتت القوة الرئيسية في الساحة الفلسطينية وأن من حقها أن تكون الطرف الرئيس في الحكم وأن تشارك بالتالي في تحديد جدول الأعمال





## أخطأت حماس حين قدمت الانتصار على الأجهزة الأمنية باعتباره انتصاراً عقائدياً. وحين صورت الاشتباكات باعتبارها صراعاً بين الإسلام والكفر



على ثقة المجلس التشريعي. وسط أجواء تفاؤل وأمل فلسطينية شعبية واسعة. ولكن لا على الصعيد الأمني. ولا على صعيد مواقف الرئيس من حكومته، بدا أن الأوضاع تغيرت كثيراً. كما كان عباس موعزاً قبل الانتخابات حين عقد لها في موعدها أو تأجيلها، كذلك أصبح موقفه من الحكومة بعد فوز حماس في الانتخابات. لم يكن الرئيس الفلسطيني يريد انهياراً أمنياً شاملاً، ولكنه لم يكن قادراً على تجاهل الموقف الأميركي السلس (والأوروبي، بدرجته أقل) من حكومة تقودها حماس. وبعد أن أبلغته وزيرة الخارجية الأميركية أن واشنطن هي المعنية باتفاق مكة، والجهة ستواصل مفاوضات مع الحكومة الوحيدة الوافقة، بدأ عباس يميل إلى المعسكر الداعي إلى إخراج حماس من جسم سلطة الحكم الذاتي. ولو باقوة.

في مطلع مارس/ آذار، وقبل أن يحفز خبر الاتفاق مكة، أعلن الرئيس عباس تعيين محمد دحلان مستشاراً لشؤون الأمن القومي؛ بمعنى تسليمه ملف القوى الأمنية الفلسطينية بالكامل<sup>(١)</sup>، وبالنظر إلى مواقف دحلان المعلنه من حماس، والدور الذي يلعبه جهاز الأمن الوقائي المؤرخ له في الصدامات المسلحة في قطاع غزة، فقد كان طبيعياً أن تستثمر حماس الخطر. أعلنت حماس معارضة قرار الرئيس على أسس دستورية، كون دحلان نائباً في المجلس التشريعي ومن الحروض ألا يتسلم موقعاً أمنياً تنفيذياً. ولكن عباس لم يتراجع. في منتصف إبريل/ نيسان، نشرت صحيفة هاريس الإسرائيلية تقريراً حول ما أسمته بـ «خطة دايوتون»<sup>(٢)</sup> التي يفترض أنها تحمل تصور الجنرال الأميركي الشرقي على الأوضاع الأمنية الفلسطينية كتييفية لإعادة بناء أجهزة سلطة الحكم الذاتي الأمنية وأهيئتها لمواجهة قوة حماس المتصاعدة.

خلال الشهر التالي، تسهوت الأوضاع الأمنية في قطاع غزة بتكرار الصدام بين عناصر الأجهزة الأمنية لاسيما الأمن الوقائي، وعناصر القوة التنفيذية، وسرعان ما انفجرت أوضاع فتح الداخلية في القطاع مشدداً وجه القيادي الفتحاوي أحمد حلس أصابع الاتهام إلى جناح انقلابي في فتح. لم تجد محاولات الوفد الأمني المصري في القطاع نفعاً في محاصرة التسفوت الأمني، وقد تحولت الصدامات بين الأجهزة الأمنية إلى اشتباكات واسعة ومروية، طالت الجامعات والمساجد، وفي ١١ يونيو/ حزيران، تعرض مكتب رئيس الوزراء في

لغتيال عباس أعدت لها حماس بحفر أنفاق قرب مقره بمدينة غزة<sup>(٣)</sup>. انكرت حماس الاتهام الموجه إليها، جملة وتفصيلاً، ولكن اللغة التي استخدمها الرئيس في أحاديثه بعد ذلك أظهرت اقتناعه بوجود تلك المؤامرة بالضمحل. وبينما تلبذت أجواء العلاقة من جديد بين الحكومة والرئيس وبين حماس وأجهزة السلطة الأمنية، طرح الناهل السعودي الملك عبدالله، مباذرة، التي تضمنت دعوة الطرفين الفلسطينيين المتصارعين إلى مكة.

عند مؤتمر مكة بين ٦ و٩ فبراير/ شباط ٢٠٠٧، بحضور عباس ودحلان وقيادات فتحاوية أخرى، وخالد مشعل وإسماعيل هنية وقيادات حماسية أخرى، وقد توصل الطرفان إلى اتفاق عرف بـ «إعلان مكة»<sup>(٤)</sup> الذي أكد حرمة الدم الفلسطيني وتضمن تفاهماً تفصيلياً على تشكيل حكومة وحدة وطنية، وعلى توزيع الحقالب في هذه الحكومة، وعلى بيان التكيف الذي سيوجهه الرئيس عباس إلى رئيس حكومته. عكس الاتفاق مرونة كبيرة من جانب حماس؛ فبالرغم من أنه أكد تولي هنية رئاسة حكومة الوحدة الوطنية، فقد أقر توزيع حقالب الوزارات الرئيسية على شخصيات مستقلة، كما حمل جبوراً صريحاً من حماس بدولة فلسطينية مؤقتة جديدة، على أية حال، وصيغة وسطية تروفيص عفيف الحكومة من القرارات الدولية والعربية المتعلقة بالقضية الفلسطينية التي تقبلها منظمة التحرير وبتبني عليها قيادة والنائب الفتحاوي، عزام الأحمد، نائباً لرئيس الحكومة؛ كما شملت عدداً من المستقلين، وحصلت الحكومة الجديدة

والقوات الموالية لها. من ناحية أخرى، ولذا، فإن التوجه الأساسي لسياسة المصرية كان العمل على أن تتوصل الأطراف الفلسطينية المختلفة إلى تفاهم وطني. وليس حتى بداية العام التالي ٢٠٠٧، عندما ظهرت بوادر خطة أميركية أمنية لتتعاامل مع الوضع الفلسطيني. إن بروز مؤشرات على انحياز القاهرة لتسرع إطاحة حماس من الحكومة الفلسطينية.

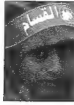


في يناير/ كانون ثاني ٢٠٠٧، أخذت الاشتباكات في قطاع غزة طابعاً جاداً ومنظماً وأكثر شاعمة. أعلنت إسرائيل الأميركية عن تخصيص ٤٨٦ مليون دولار لإعادة بناء الأجهزة الأمنية الفلسطينية، تحت إشراف المبعوث الأمني الأميركي الجنرال كيث دايوتون. في رام الله، أصدر الرئيس عباس مرسوماً ينص على عدم شرعية القوة التنفيذية، التي شكلتها حكومة حماس في قطاع غزة، وفي مهرجان إحياء ذكرى انطلاقته فتح في مدينة غزة، وجه دحلان تهديدات ساهرة لحركة حماس<sup>(٥)</sup> لم تتوقف الوساطات الفلسطينية والعربية، التي اتفقت جميعها على أن الخرج يتمثل في تشكيل حكومة وحدة وطنية، ولكنها لم تحقق نجاحات تذكر. وفي نهاية يناير/ كانون ثاني، قام الرئيس عباس بزيارة دمشق، اجتمع خلالها بالرئيس بشار الأسد وكيار السنوكين السوريين، ومن ثم برئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل. وفي حين بدا وكأن لقاءات دمشق حققت تقدماً ملموساً، طرح الوفد الأمني المصري في غزة مبادرة للوقف العنف، ولكن سرعان ما فوجئت الأطراف المختلفة بإعلان مسئولى السلطة الأمنيين في القطاع عن اكتشاف مؤامرة

الحرب إلى تغيير المناخ الاستراتيجي في المنطقة لصالح التوجهات الأميركية - الإسرائيلية. فقد أدت (أو تعزز) هائل في معنويات حزب الله والقوى المؤيدة له، في لبنان، تعمق الانقسام؛ وفي فلسطين، اعتبرت حكومة حماس أن انتصار حزب الله هو انتصار لها أيضاً. أو على الأقل لما تمثله.

لم تستطع الوساطات العربية، القطرية والمصرية، إيصال الطرفين الفلسطينيين إلى اتفاق. وقد شهد أكتوبر/ تشرين أول تصاعداً في حدة الاشتباكات بين القوات التابعة لحماس وحكومتها وتلك التابعة للأجهزة الأمنية أو جناح فتح المرتبط بحمد دحلان، وبانهيار الوضع الأمني، وقيام وزيرة الخارجية الأميركية بإبلاغ الرئيس عباس بأن واشنطن غير معنية بوثيقة التفاهم الوطني الفلسطيني. لم يعد عباس يبدى اهتماماً كبيراً بالوثيقة. ومنذ نهاية أكتوبر/ تشرين أول قطع الرئيس ما تبقى من صلات مع رئيس حكومته، إسماعيل هنية<sup>(٦)</sup>. وقد تبلور موقف الرئيس عباس في خطاب صاحب الشرف أمام اجتماع للمجلس التشريعي في ١٦ ديسمبر/ كانون أول ٢٠٠٦، أعلن فيه قراره بإجراء انتخابات رئاسية وتشريعية مبكرة، وبالرغم من أن الدعاوى المستميت الذي قدمه مستشارو عباس، فقد كان الجميع يدرك أن الرئيس لا يملك صلاحية حل المجلس التشريعي. وأن الطريق الوحيد للخروج من الأزمة الفلسطينية الداخلية هو تفاهم حقيقي وجاد بين قطبي الأزمة الرئيسيين: قيادة السلطة وحركة حماس. ما أضعف موقف عباس في الدعوة لانتخابات مبكرة، كان ضعف التأييد العربي الرسمي لهذه الدعوة لاسيما من مصر، الجهة العربية الرئيسية المعنية بالوضع الفلسطيني الداخلي. وبالحقيقة أن الموقف المصري ظل منذ ما بعد الانتخابات التشريعية غير واضح تماماً. من ناحية، حافظت القاهرة على مصالحها الفلسطينية التقليدية، الوثيقة بقيادتي حماس في الداخل والخارج، ولكن حكومة هنية لم تلق تحريها ليقين بما في نظرتهما الرئيسيين وكان القاهرة لم تكن ترغب في استنزاف الإدارة الأميركية. أو أنها لم تكن تريد إسراع شرعية عملية كاملة على حكومة تقودها حماس. ظل المسئولون المصريون في غزة والتفاهم يعملون بجد على محاصرة التسفوت الأمني، وكانوا يعرفون بالتأكيد حقيقة توازن القوى بين فتح المنقسمة على نفسها وأجهزة السلطة الأمنية، من ناحية، وحركة حماس





## سارع الرئيس عباس بعد هزيمة الأجهزة الأمنية إلى القيام بانقلاب دستوري على مجمل الأسس التي يرتكز إليها نظام سلطة الحكم الذاتي



وأيضاً في فقدانه أي مستوى من الكفاءة الاستراتيجية، سلف الدماء لجدد صنع الطغيان وهمي في صراع داخلي لم يكن له من مسوغ، بل كان عملاً غير أخلاقي بلا شك، وتكسبه عبير عن سدا جنة استراتيجية كذلك، فقد كان من اليديهي أن يأخذ مخطوط نهج الاشتباكات رد فعل حماس على القوضي المدوية المصطنعة (والإصرار على تخويض حكومة الوحدة الوطنية) في الحساب، وقد جاء رد فعل حماس كما هو معروف بالحمص العكري.

بالنسبة إلى حماس، ما ساعد على تخفيف وقع الابعاد الفلسطينية لعملية الحسم العكري في القطاع، فلسطينياً وعربياً، أن الرئيس عباس سارع بعد هزيمة الأجهزة الأمنية إلى القيام بانقلاب دستوري على مجمل الأسس التي يرتكز إليها نظام سلطة الحكم الذاتي، وإلى إدارة ظهره كلية تقريباً للمتطالبات العربية الرسمية بالحوار الفلسطيني الداخلي، لاسيما تلك الصادرة من القاهرة والرياض، أعلنت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير قراراً بإقالة حكومة هنية، إعلان حالة الطوارئ، تشكيل حكومة ائتلافية جديدة، وإجراء انتخابات مبكرة،<sup>(١١)</sup> ونظراً لأن القانون الأساسي الفلسطيني، الذي هو بمثابة دستور للحكم الذاتي في الضفة والقطاع، لا يشرع لأغلب هذه الإجراءات، فقد ظهر رئيس الوزراء هنية إلى أن القرارات غير شرعية، واعتُبر حكومته لا تزال قائمة بحكومة تسيير أعمال. كلف الرئيس عباس الاقتصادي سلام فياض، الذي يحظى بتأييد أمريكي وأوروبي، رئيساً لإجراء حكومة الطوارئ، وقد سارع الأخير إلى تشكيل حكومة من الكونغرسات والتمشيط السياسيين السابقين، لاسيما من الموالين لياسر عبد ربه، نائب رئيس اللجنة التنفيذية، في ٢٢ يونيو/حزيران، وبعد أن أدرك الرئيس عباس صعوبة السيطرة على المجلس التشريعي، أصدر مرسوماً يلغي فترة في القانون الأساسي تنص على ضرورة موافقة المجلس على أية تعيينات وزارية<sup>(١٢)</sup>، بذلك كان الرئيس قد أكمل انقلاباً مدنياً على أسس النظام الذي يرأسه، وكما كان الرئيس قد عمل على إحياء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير كمصدر شرعية مواز للمجلس التشريعي والحكومة على السواء، فقد سارع إلى إحياء المجلس المركزي للمنظمة كمؤسسة تشريعية بديلة بالكامل عن المجلس التشريعي.

يبد أن الحسم العكري في قطاع غزة وما نجم عنه من انقسام فلسطيني كبير لا يجب أن ينظر إليه باعتباره حدثاً غير مسبق في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية، أو أنه جاء نتيجة لخطأ انقلابي، شهد التاريخ الفلسطيني حدثين انقساميين لا يقلان خطورة عن أحداث يونيو/ ٢٠٠٧، إن لم يفوقا تلك الأحداث، تمثل الأول في انقسام الجسم الفلسطيني خلال التسعينات الأخيرة من ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩، عندما تحالفت قطاع واسع من معسكر الاشتباكيين مع الاحتلال البريطاني ضد الخوار ومعسكر الفتي الحاج أمين الحسيني، وقد ساهم ذلك الانقسام، الذي شهد اشتباكات مدوية وحوادث اغتيال متعددة، مساهمة مباشرة في إخماد الثورة. أما الانقسام الثاني فقد تمثل في تحالف جزء من قادة فتح العكريين وبعض من مثقفيهم، إلى جانب الجبهة الشعبية - القيادة العامة، مع سوية لطرد القوات الموالية لياسر عرفات من لبنان في الشواق المدموي في ١٩٨٢، في كلتا الحالتين، كان ثمة خلافات سياسية عميقة وتشهير وتخطيط مسبقاً للانقسام الفلسطيني<sup>(١٣)</sup>. خلف أحداث غزة ٢٠٠٧، كان هناك بالتاكيد خلاف سياسي جوهري، وصراع مصالح ونفوذ، لكن انفجار الانقسام بالطريقة التي انفجر بها لم يكن مخططاً من أي طرفي الصراع، وأرجع أن ما ذكره دحلان في مقابلته مع مخرج تقرير "فانتسي فير" الأمريكية كان صحيحاً<sup>(١٤)</sup>، بمعنى أن دحلان وقادة الأجهزة الأمنية في قطاع غزة قدروا أن هزيمة حماس عسكرياً كانت هدفاً غير ممكن التحقيق، وأنهم أرادوا بهجائهم المتكررة على القوات الموالية لحماس خلق انطباع وهمي بقوتهم، المشكلة في هذا التصور للأمر لم يكن في فقدانه البعد الأخلاقي وحسب، بل

تقاسم النفوذ والحكم بين الطرفين. قد تكون التنظيمات الفلسطينية خلاف الإعلام والسياس أيضاً، وفي أحيان كثيرة من تاريخ الشعوب لا تقل الدلالات الرمزية عن دلالات الواقع الملموس. من ناحية، وما مله الاتفاق من استغزاز للردود المصرية، من ناحية أخرى، أضفت مواقع حماس العربية ضربة عملية للحسم في قطاع غزة، ولا ينبغي تجاهل وقع عملية الحسم على مجمل النظام العربي الرسمي، الذي وجد نفسه أمام حالة غير مسبوقة في انتصار إسلامي مسلح (وإن كان جزئياً) على مؤسسة حكم رسمية (وإن كانت لا تمتلك شروط المولة). إضافة إلى هذا كله، فإن عملية الحسم صاحبها ممارسات فعلية وتصرفات رمزية شككت في مصداقية حماس لقيادة المشروع الوطني، ابتداءً من قانونية، وتقديم الاعتقال على الأجهزة الأمنية باعتباره انتصاراً عقائدياً، وإقيام فتنة الألفين بدور خطاب تعبوي ديني، واختفاء العلم الفلسطيني عن المواقع التي سيطرت عليها حماس لعدة أيام، إلى تصوير الاشتباكات باعتبارها صراعاً بين الإسلام والكفر، منذ الاشتباكات السابقة على مؤتمر كيم، لم يعد هناك شك في مقدره حماس على حسم العكري في قطاع غزة، وعندما أخذ قرار الحسم مع الأجهزة الأمنية في قطاع غزة، لم توضع العملية في إطار وضوح، بحث يجعل من حماس وبنية لفضال وطني طويل، من الحاج أمين الحسيني إلى ياسر عرفات، وحارسه لوجه الشعب واتجاه بوصلته التضالبي، بل كان أقرب إلى صراع فصائلي على الحكم.

مدينة غزة لا اعتداء مسلح، فيما أصدرت مركزية فتح بياناً غير مسبق شنت فيه هجوماً حاداً على حركة حماس<sup>(١٥)</sup>، ولكن ما إن حل مساء ١٥ يونيو/حزيران حتى كانت القوات الموالية لحماس قد حسمت الوضع نهائياً لصالحها في كافة أنحاء القطاع، في أغلب الحالات، تسلمت قوات حماس مواقع السيطرة الرئيسية بلا قتال، بينما ترك قادة الأجهزة الأمنية قواتهم ومراكز عملهم، وفروا عبر الحدود إلى مصر، أو سمحت لهم السلطات الإسرائيلية بالذهاب إلى الضفة الغربية عن طريق المعابر الإسرائيلية، في حالات أخرى، لاسيما في معركة السيطرة على مقر قيادة الأمن الوقائي، سقط العشرات من الطرفين في قتال نظر إليه أغلب الفلسطينيين باعتباره حلقة مؤلفة في تاريخ تضالهم الوطني.

من المنظور السياسي المباشر، كان تقاسم الأزمة الفلسطينية، ومن ثم حسم العكري للوضع في قطاع غزة، تعبيراً بالغاً عن انهيار اتفاق مكة، الذي ولد ضميماً على أية حال، فبالرغم من المساندة العربية عموماً للاتفاق، فإن القاهرة لم تحسم اعتراضها من تولى السيادة شأناً اعتبر على نطاق واسع من شأن مصر الخاصة، من ناحية أخرى، لم تستطع السعودية تسويق الاتفاق دولياً أو إقليمية، في مواجهة المعارضة الأميركية، ولم تتخذ إجراءات عربية عملية لكسر الحصار المالي على الفلسطينيين، ومن ناحية ثالثة، كان ثمة قوة نافذة داخل السلطة الفلسطينية وفي قطاع غزة لم تقبل مطلقاً بمشاركة حماس في جسم السلطة الفلسطينية.

ورأت في هذه المشاركة خطوة أولى نحو تغيير طبيعة السلطة السياسية المسيطرة على قطاع غزة، من توازن القوى الداخلي، كان قد أفلت من يدها منذ زمن، وفي حين أنها خسرت الانتخابات بعدد فائتها لم تكن قادرة على فرض إرادتها العسكرية على مجمل الوضع الفلسطيني، ولكن الجسم العكري في قطاع غزة لا يمتثل إلا بحسم الموقف السياسي الوطني لصالح حماس.

يتم مؤثر كيم في فبراير/ شباط/حسم العكري في قطاع غزة في يونيو/حزيران، أخذت الأخطاء التراكمية إلى الارتداد على الساحة الفلسطينية السياسية وعلى دور موقع حماس الوطني، كان من الممكن، مثلاً، إعطاء مؤثر كيم طابعاً وطنياً بالإصرار على مشاركة القوى الفلسطينية الأخرى، ولكن اقتصر المؤثر على فتح (السلطة) وحماس أظهره كمؤثر للاتفاق على



## الرغبة دوائر معينة داخل السلطة الفلسطينية في إبقاء الأوضاع على ما هي عليه، اتجهت الأزمة السياسية في غزة نحو التعتيد



ورام الله لأن فيه إضعافاً للطرفين؛ وورجحت به الدوائر الفلسطينية العتيدة لحماس لأنها اعتقدت أنه سينتهي بأزمة شعبة في غزة تضع نهاية لحركة حماس، أو تؤدي إلى إضعافها على الأقل. أما السلطة الفلسطينية فقد قدمت لها وعد كبير بالوصول إلى اتفاق سلام فلسطيني - إسرائيلي قبل نهاية ٢٠٠٨. وبالرغم من تردد العواصم العربية للرئيس، وانتقادات اللجنة ونصف اللجنة لإطار أنابوليس، فقد التقعت على هذا النحو ذلك، بدعم من نهائي للمساواة الفلسطينية وخيار الانقسام الفلسطيني ومحاصرة غزة، أو السكوت على هذا الخبر، مقابل إيجاد حل نهائي للمساواة الفلسطينية قبل اختتام ولاية الرئيس بوش.

يبدو أن النتائج لم تات كما ترغب الأطراف المختلفة، بل واثارت أسئلة كبرى حول مصداقية سياسة الانقسام/ الحصار/ السلام. ليس فقط في الساحة العربية ولكن أيضاً في الحصار في العراق المشرقي ككل. أخفق الحصار في فرض الانقسام على قطاع غزة، وبالرغم من الضغوط الاقتصادية والاجتماعية الهائلة، ومن الضغوط العسكرية الإسرائيلية التي لم تنقطع عن نشر الموت والدمار، اثبت الانقسام الوخيدة التي يشهدها القطاع في الانقسامات داخل الحصار. لا القوى الدولية، لا الأنظمة العربية، ولا اللجنة الفلسطينية السياسية، فهمت المزاج الشعبي الفلسطيني. ولكن الأمور لم تتوقف عند إخفاق سياسة الحصار، بل ورافق هذا الإخفاق تراجع حيث في أفق العودة التي أطلقت قبل وأثناء مؤتمر أنابوليس. ثم من رأى أن القبول العربي - الفلسطيني بعملية سلام لا مرجعية دولية لها سوى مرجعية الوساطة الأمريكية كان خياراً مفضلاً بالأخص منذ البداية. وهذا صحيح بالتأكيد، ولكن حتى الوعود التي ألقاها واشتغل

منذ عام كامل بين غزة ورام الله. خلال الأيام القليلة التالية لتصريح الرئيس الفلسطيني، تصاعدت الأعمال وتراجعت طبقاً لرود الفعل العربية، والدولية، ثم جاءت جولة عباس العربية، التي بدأت بزيارة الرياض والقاهرة، وتوكيد كل من قيادة السلطة وقيادة حماس على دور مصر المركزي في إدارة مجلة الحوار الوطني المرتقب، لتنتهي إلى أن الأمور في طريقها إلى التحرك، وإن بيده، السؤال الهام هو: لماذا أخذ عباس مثل هذه الخطوة وفي هذا الوقت بالذات. منذ سيطرة حماس على قطاع غزة في يونيو/ حزيران ٢٠٠٧، قاوم الرئيس عباس كل دعوة فلسطينية وعربية للحوار الوطني ومحاولة العمل على تقاضم نهج الانقسام الفلسطيني الداخلي، بما في ذلك الدعوات من داخل حماس أو من أطراف فتحوا. وحتى الرياض والقاهرة على وجه الخصوص، كانتا ترغبان في ألا تستمر حالة الانقسام ولا تتحول إلى أمر واقع. ولأن القاهرة والرياض تتلآن قوة الدعم العربية للرئيس لتسليطة الفلسطينية ولقيادة عباس، فإن مجزهما عن إطلاق عملية المصالحة أشار إلى أن العقبات لم تزل كبيرة، والصاب الأكر من هذه العقبات تعلق بالوقف الأمريكي - الإسرائيلي. فقد واجهت السياسة الأمريكية خلال ٢٠٠٥-٢٠٠٦ تكسين متتاليتين في منطقة الشرق العربي، إلى جانب الأزمة العراقية المستحكة، أولها، كان فوز حماس في الانتخابات الفلسطينية، وثانيها الهزيمة الإسرائيلية في الحرب على لبنان. في ٢٠٠٧، حاولت الإدارة الأمريكية استيعاب التكتين، ومن ثم فرض التراجع على خصومها العرب. وعندما أجهض مشروع إحاطة حكومة حماس، تحولت سياسة الاستيعاب إلى المحافظة على الانقسام الفلسطيني الداخلي ومحاصرة غزة. أما الجانب الإسرائيلي فقد ربح بالانقسام بين غزة

تعرضت المؤسسات المدنية والخيرية ومناشيك الزكاة المشكوك بصلاحيات مع حركة حماس، أو التي يديرها إسلاميون. في الضفة الغربية لحملة أمنية منظمة. اعتقل العشرات من مؤيدي حماس والجهاد، وأغلقت مدارس وروضات أطفال وجميعات خيرية ومراكز خدمات اجتماعية وصحية. وأعطيت هذه الإجراءات صيغة قانونية بصورها عن قرارات لوزارة فياض. وقد أطلقت حكومة فياض حملة واسعة لقتل حماس على مجموعات المقاومة المسلحة في الضفة الغربية، بما في ذلك تلك الموالية لحركة فتح. أصدرت حكومة فياض قراراً بإبقاء الجماعة المسلحة، وعرضت إجراءات مالية لكل من يسلم سلاحه، بينما وعدت بالحصول على غزو إسرائيلي عن العناصر المحاربة من القوات الإسرائيلية. بعض من الإجراءات التي اتخذت في الضفة الغربية تم عبر ادعاء خشيعة إدارة رام الله من قيام حماس بالسيطرة على الضفة كما سيطرت على القطاع، ولكن بعضها الآخر عكس توجهها حينها لاستجابة رام الله لشروط التفاوض الإسرائيلية - الأمريكية بقيام سلطة الحكم الذاتي بالتحكم الأمني في المناطق الخاضعة لها. وفي سباق تصريحات السلطة لتسليم غير واضح العالم، تقدم الرئيس الفلسطيني قانوناً انتخابياً جديداً في مطلع سبتمبر/ أيلول، التي تشاكبة العملية الانتخابية بقصرها على التمثيل النسبي للوائيم، واشترط التزام المرشح للانتخابات ببرنامح وسياسة منظمة التحرير الفلسطينية<sup>(١)</sup>.

## ما بعد الانقسام

لم يكن من السهل، بالطبع، جاهل الأختار التي يمكن أن تنتج من انفصال سياسي بين الضفة والقطاع؛ ولكن المرجح أن الرئيس الفلسطيني تعرض لضغوط أميركية وإسرائيلية كبيرة من أجل إبقاء حالة القطيعة مع حماس، ومع قطاع غزة كذلك. ولعب عباس فاجاً كافة الأطراف الملتفات عندما أطلق في الأسبوع الأول من يونيو/ حزيران ٢٠٠٨ دعوة إلى بدء حوار فلسطيني وطني شامل، يعالج كافة الملفات الفلسطينية العالقة، بما في ذلك القطيعة والانقسام بين الضفة والقطاع. أثارت الدعوة أجواء من التفاؤل، بالنظر إلى أن فئة فقط من الساحة السياسية الفلسطينية تجد مصلحتها في حالة الانقسام المستمرة

أخذت في التبدد. ومع بداية التبدد، ٢٠٠٨، وعدم تبلور أي اتجاه أميركي للضغط على الإسرائيليين، واقترب إدارة الرئيس بوش من محطة الأول، بدأ عباس يدرك صعوبة التوصل إلى اتفاق سلام.

من جهة أخرى، واجهت الإدارة الأميركية عشرات الشقوق في ثلاثة مواقع أخرى بالغة الحساسية من الشرق العربي. فقد أثبت النظام السوري أنه أقدر على البقاء مما كان يظن قبل عام أو عامين، وسرعان ما فاجأ العرب والأميركيين بفتح خط تفاوضي مع الإسرائيليين عن طريق تركيا، بدون أن يخسر عن شوابه التفاوضية المعروفة. وبغض النظر عن دوافع الطرفين الحقيقية من فتح هذا الخط التفاوضي، فليس شك أنه المفاوضات مع سورية تؤثر إلى انحصار الجدية الإسرائيلية في التفاوض مع الفلسطينيين، وفي لبنان، وبالرغم من تفاقم الأزمة الداخلية خلال شهر مايو/ أيار ٢٠٠٨، فقد أسفر تصاعد الأزمة عن حل في مباحثات الدوحة، ولو جزئياً ومؤقتاً، سمح بانتخاب رئيس للجمهورية والاتفاق على حكومة تألف وطني. وفي العراق، بدأ المقترح الأميركي لاتفاقية تنظيم المصالحة الأميركية - العربية طويلة المدى في مواجهة معارضة شعبية واسعة النطاق، عززتها ضغوط إيرانية من أجل حكومة المالكي الرافضة للاتفاق. المهم في كل هذه الحالات أن الدور الأميركي الشرق أوسطي أظهر تراجعه ملحوظاً، إذ إن قمة شواهد على أن واشنطن فوجئت بحجم الوساطة التركية في المفاوضات السورية - الإسرائيلية، كما أن اتفاق المصالحة كان في جوهره انعكاساً لرغبة لبنانية وإرادة عربية. وبالرغم من الوجود العسكري الهائل في العراق، تبدو واشنطن وكأنها مجبرة على جوهرة المعارضة الشعبية الوطنية والضغوط الإيرانية على الاعتبار، بعد أن كانت في موقع صاحب القرار المشرقي في الشرق العربي.

لم يكن من الصعب على القيادة الفلسطينية ولجنة المصالحة التغيرات المتلاحقة، وقد وصلت إلى قناعة بأن قبولها بحالة الانقسام لم يعد مسوغاً، لا على صعيد عملية التفاوض، ولا على صعيد البقاء الفلسطيني الوطني. استمرار الانقسام بدون ثمن تفاوضي هو العائن؛ في الحقيقة دفع بمسألة الرئيس عباس نحو الانهيار الكلي. وربما رأى الرئيس عباس أن الدعوة للحوار ستفيد في كلاً من الجانبين؛ فمن ناحية، تفتت الدعوة وسلبت ضغط على الجانبين وعلى الجانب الإسرائيلي للتحل عملية التفاوض المتعثرة إلى الأمام، ومن ناحية أخرى، تخفف له

# كتاب الزاوية



## التحدث بنعمة الله

### جلال الدين السيوطي

سيرة ذاتية، صاحبها عالم مصري هو جلال الدين السيوطي، جاء اختيار العنوان (التحدث بنعمة الله) انطلاقاً من إيمان المؤلف بأن كتابة الإنسان تاريخ حياته هو نوع من الإقرار بنعمة الله عليه، إضافة إلى شكره عليها. الأمر اللافت في هذه السيرة هو انصراف صاحبها الكامل إلى العلم، فالعلم وقضائه والدفاع عن الصواب والحق ومقاومة الخطأ والباطل، وإعظام شأن الاجتهاد وتسفيه الركون إلى التقليد. والتمسك بأخلاق العلماء في الخلاف والبرد والمناظرة.. هي المحاور التي يدور عليها الكتاب، هذا إلى إشارات لطيفة تؤكد أن مصر هي مصر.. بمظمتها وأخطائها.. علمتها حين تجب مثل هذا العالم الفذ، وأخطائها - المتكررة - التي يثير السيوطي إلى بعضها، كالسرقات العلمية وبيع الوظائف والبناء على شاطئ النيل بطريقة تضر بالنهر العظيم، تحقيقاً لقول الشاعر (من الحب ما قتل) وتأكيداً لحقيقة أن بعضاً (يحب) مصر على نحو غير مفهوم.

وقد حقق الكتاب المستشرقة الغربية الدكتورة إليزابيث ماري سارتين، وكان التحقيق جزءاً من رسالتها للدكتوراة من جامعة كيمبردج عام ١٩٦٨، وصدر الكتاب ضمن سلسلة الذخائر للهيئة العامة لقصور الثقافة بمقدمة للدكتور عوض الغباري أستاذ الأدب المصري بكلية الآداب جامعة القاهرة، وتشتر "وجهات نظر مقتطعات من الكتاب.

الحوار الوطني الفلسطيني يات حاجة لجميع الاطراف - حاجة لإدارة حماس في غزة، التي يحيط بها وبالشعب حصار يشارك فيه العرب والعالم - وحاجة لإدارة رام الله، التي يخيط طنفاً تمرجياً بوعود اتفاق السلام، والتي توشك على مواجهة استحقاق انتخابي رئاسي يستحيل إحرازه بدون عودة الوحدة بين جناحي سلطة الحكم الذاتي، وحاجة عربية، لأن العرب، وعلى رأسهم مصر، كانوا يقصون موقفاً لا يحسدون عليه في منطقة فراع قرار بين الشعب الفلسطيني، من ناحية، والدولة العبرية والحليف الأمريكي، من ناحية أخرى، وحاجة فلسطينية وطنية جامعة بعد أن أصبح الانقسام عاملاً إضعافاً للطرفين الفلسطينيين.

بيد أن الإشكاليات الأكثر تعقيداً هي تلك التي تتعلق بكيفية تعامل كل من فتح وحماس والجسم الفلسطيني السياسي عامة مع عملية التحول التي تشهدها الحركة الوطنية منذ أكثر من عقد، بدون مراجعة شاملة من كافة الأطراف المعنية، فحتى إن استطاع الفلسطينيون تجاوز حالة الانقسام الحالية، فإن المستقبل سيظل محموماً بأخطار الأزمة الداخلية المتكررة والانقسامات. ■

(١) حول الأزمات المتلاحقة التي واجهتها حكومة عبية، انظر شفيق موسى صالح، الوضع الفلسطيني الداخلي، سدة التمييز والحصار، في محس صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني ٢٠٠٦، (سبوت مركز البحوث للدراسات والبحوث ٢٠٠٧)، ٣٨، ٣٩.

(٢) نفس الوثيقة في السبوت، ٣٧ مايو/ أيار 2006.

(٣) القدس العربي، ١٩ يونيو/ حزيران 2006.

(٤) الطبع، "الوضع الفلسطيني الداخلي"، 46-7.

(٥) الجاية، ٩ و ١٠ يناير/ كانون ثاني 2007.

(٦) الجاية، ٢٩ يناير/ كانون ثاني 2007.

(٧) الشرق الأوسط، ٩ فبراير/ شباط 2007.

(٨) الجاية، ٤ مارس/ آذار 2007.

(٩) فاروق، ١٣ أبريل/ نيسان 2007.

(١٠) الشرق الأوسط، القدس العربي، الجاية، ١٢ يونيو/ حزيران 2007.

(11) Basheer M. Nafi, Arabism, Islamism and the Palestine Question 1908-1941 (Reading: Ithaca Press, 1998), 261-4, Sayigh, Armed Struggle, 561-73.

(12) David Rose, "The Gaza Vanity Fair April 2008, Bombshell, الجاية، ١٥ يونيو/ حزيران 2007.

(١٣) الجاية، القدس العربي، الشرق الأوسط، ٣٣ يونيو/ حزيران 2007.

(١٤) القدس العربي، ٢ سبتمبر/ أيلول 2007.

حيار التوصل إلى مصالحه وطنيه حقيقية في حال اخفق المسار التفاوضي، بيد أن المشكلة لم تكن هي جدية الدعوة وخمس، بل هي تصور كل من الطرفين الفلسطينيين لمادة الحوار الوطني ومسائلته، وللتحولات المتسارعة والملموسة في الساحة الوطنية الفلسطينية على المدى القصير، يمكن رؤية جملة من الإشكاليات، أهمها: أولاً شك يتعلق بالوقوف الأوروبي-أمريكي، الذي يميز عنه أحياناً من خلال اللحظة الرباعية، والذي يعمل باتجاه إبقاء حالة الانقسام من خلال وضع شروط تمجيرية على حماس، من ناحية أخرى، يعكس إصرار الرئيس عباس على ضرورة تراجع حماس عن، إقلاصها، وإعادة الأجزاء الأمية إلى القطاع، تصورات غير واقعية للحوار الوطني: إن كان مطلب، التراجع، شرطاً للحوار، فمن الصعب انتظار هذا الحوار ابته، بعد أن أكتت حماس، ومهما عدد من القيادات والتنظيمات الفلسطينية الأخرى، أن الحوار الوطني لا يلبد أن يطلق بلا شروط مسبقة، كما أن الدعوة إلى، تراجع، إدارة حماس في القطاع على الأخرى، أن الحوار الوطني لا يلبد أن يسيطر على القطاع، بدون إشارة إلى تراجع إدارة رام الله عن الإجراءات التي تعهدت، يتم عن مقاربة غير عادلة وغير متوازنة لتلفل الوطني، الأوضاع في قطاع غزة التي تعود إلى ما كانت عليه، ليس لأن حماس لا تريد رجوع، بل لأن أهالي القطاع يرفضون ذلك أيضاً، وليس ثمة شك في أن عودة القيادة الفلسطينية إلى مطالبها السابقة بضرورة الموافقة على كافة الاتفاقات التي وقعت عليها منظمة التحرير، والإقرار بأن المنظمة في صيغتها الحالية هي الممثل الشرعي والوحيد، شيشل حجر عثرة كبيرة في طريق الحوار، الأكثر واقعية وعقلانية، ربما، انطلاقاً من عملية الحوار على مرحلتين: تعالج الأولى ما يجم من حال الانقسام في الفلسطينيين، ليس فقط على صعيد مؤسسات السلطة، ولكن أيضاً على صعيد القرارات ذات الطابع التشريعي والقانوني التي استبعدت العزل والتصديق السياسي، في صورة مباشرة وغير مباشرة، وتعالج المرحلة الثانية كيفية التوصل إلى اتفاق حد أدنى بين كافة القوى والاتحادات الفلسطينية حول إطار مرجعي للعمل الفلسطيني الوطني، هذا إن كان لدى عباس من إرادة كافية لمواجهة الصعوبات الخارجية، الإردة التي تحتاج بال تأكيد دعماً وغطاء عربياً، لاسيما من مصر والصومال.

ما أصبح واضحاً في صيف ٢٠٠٨ أن

# حدود مصر

## أطماع صهيونية تديعة

ذلك تاريخيا وتؤكد ورسخ بعد أن أصبحت هذه الحدود تفصل بين مصر وإسرائيل وهي تمثل تكتلاً بشريا وعراقيا وشقاعيا مختلفا. وتمثل قباعدة استعمارية هدفها الأصلي «مصر» وممارسة دورها من على أرض فلسطين. أيضا ارتباط الحد الشرقي لمصر بالصراع العربي الإسرائيلي منذ عام ١٩٤٧ وحتى اليوم.

إن الهدف من هذه الدراسة هو البحث في المراحل التاريخية لنشأة الحد الشرقي المصري، وتأسيس هذه المراحل لإثبات أن هذا الحد وهو يبدأ من نقطة رفح على البحر المتوسط في خط مستقيم تقريبا إلى نقطة على خليج العقبة رأس طابا ويبعد ٧٥ ميل ٣ عن ميناء أم الرشراش على الخليج. هو حد مصر الذي مارست عليه السيادة الكاملة وفق الاعتبارات العسكرية والجغرافية والسياسية والتاريخية والديموجرافية.

إن أهمية هذه الدراسة إنما تأتي في كونها دراسة تاريخية وثائقية مرفقة بتحليل سياسي واف لدخض أي ادعاء بحقوق في أرض شبه جزيرة سيناء. ولدخض فكرة التشكيك في مصيرية سيناء كاملة. ولدخض أي ادعاء بحق تاريخي أو حق دولي أو حق سياسي، أو حتى سياسي تحت جميع المسميات الإسرائيلية لتسوية قضية العرب.

لذلك نتناقص وتعرض البدايات الحقيقية لأزمة هرمان ١٨٩٢. وأصولها التاريخية وأسبابها السياسية. كما نتناقش الدراسة من هي الأسباب الحقيقية وراء صناعة الخط الحدودي الشرقي لمصر. وهل أضافت اتفاقية ١٩٠٦ لمصر أراضي أم أنها وقت الحد العامل بين الممتلكات العثمانية والممتلكات المصرية؟ هل تمت الاتفاقية برضاء الطرفين. وفق القواعد الدولية المعمول بها في تعيين وتعليم الحدود الدولية. وهل أضيفت هذه الحدود بالنسبة لثالث الاعتراف الدولي؟ هل مارست مصر سيادتها كاملة؟ هل هذا الخط الحدودي أو الحد الفاصل أدى إلى عزل مصر. وهل هذا الحد هو منساعة بريطانية استعمارية؟ لماذا لم تجر



على أم مصر إنما يأتي من جهة الشرق. ومن هنا كان الاهتمام الإستراتيجي الأول متعلقا بهذه الحدود. وكان الإدراك دائما وواضحا أن الحد الشرقي يمثل الدرع الواقية ضد أية أطماع توسعية. وأنها في ذات الوقت مصدر رئيسي لتهديد أمن الوطن «مصر».



حقيقة لقد تعرضت مصر لبعص الاعتداءات والحمولات العسكرية من اتجاه الغرب. ويثور أحيانا قدر من المنازعات حول حدود مصر الجنوبية. وانحلت الحدود الشمالية «البحر المتوسط» قاصمة لانطلاق أعمال عسكرية عدائية عن طريق البحر. ولكن تبقى دائما الحدود الشرقية هي مصدر الخطر الدائم على أمن مصر. وقد ثبت

ووطائفها. أيضا ما هي طبيعة الحدود الدولية بين أطراف الحد السياسي الماصل في ظل علاقات غير متوازنة. وهي ظل تفوق عسكري أي عدم توازن تسليح. وهي ظل طرف جار للحد السياسي يعتمد عقيدته العسكرية سياسة للتوسع الإقليمي. بغض الطرف عن الاعتبارات القانونية والسياسية والتاريخية والجغرافية. وبغض النظر عن قواعد القانون الدولي التي استقر عليها المجتمع الدولي. وبالتطبيق على العرض المايق. نجد أن حدود مصر من جهة الشرق تحتل مكان الصدارة من بين حدودها الدولية على مختلف الجهات. ولا تقتصر أهميتها الإستراتيجية على الخبرة التاريخية حسب بل تستمد من كونها الحد الوحيد مع دولة غير عربية باعتبار أن الحد الشمالي يتعلّق بالبحر المتوسط. لقد أثبت التاريخ دوما أن الخطر

إلى الدراسات المتعلقة بالحدود السياسية لتدول عامة. تقتصر من الموضوعات والمجالات البحثية التي ما زالت تستغرق وتستحوذ على قدر كبير من اهتمامات الباحثين في مختلف فروع العلم. يصرى ذلك إلى عدة اعتبارات: الاعتبار الأول المتمثل في كون الحدود السياسية هي التي تحيى النطاق الإقليمي الذي يتأثر من خلاله الدول مختلف مظاهر السيادة بوصفها شخصا قانونيا ودوليا. الاعتبار الثاني: وهو المتمثل في حقيقة أن الحدود الدولية تضطلع. ولا شك. بنور أساسي في مجال تدعيم قوة الدولة سلبيا وإيجابيا والاعتبار الثالث هو الاعتبار الاقتصادي أي ما يحويه الإقليم الذي تنفيه الحدود من ثروات وموارد. الاعتبار الرابع: هو الاعتبار الجغرافي وهو العامل الثابت الخاص بالموقع الجغرافي وانمساكاته بالنسبة لتدعيم أو إضعاف الأمن القومي. والاعتبار الخامس: هو الاعتبار الإستراتيجي والأمني وهو يتضمن في حقيقة أن المنازعات بشأن الحدود غالبا ما تؤدي إلى إضعاف الدول المتنازعة وتبدد مواردها

إن دراسة الحدود الدولية في مجال يحظى بأولوية كبيرة رغم التراجع النسبي للحدود في أهمية هذه الحدود ووطائفها. يميل عوامل التقدم غير المسوق في علم الاتصالات على المستوى العالي. والواقع أن التطورات النوعية العديدة التي شهدتها المجتمع الدولي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. أخذت هي الاعتبار التطورات الرامنة فيما يسمى «النظام الدولي الجديد» أو «العولمة» فقد طرحت تساؤلات عديدة لمستقبل الحدود السياسية الدولية عامة. وبالأخص من شأن العولمة وتأثيرها على الحدود الدولية

تاريخ تطور حدود مصر الشرقية وتأثيره على الأمن القومي المصري (١٩٨٨-١٩٩٢)  
د. الفت أحمد الخشاب  
دار الشروق ٢٠٠٨ - ٥٦٦ ص



أما الحوادث الصليبية ذات المرجعية التوراتية، ويمكن أن تطلق عليها محاولات إسرائيلية، فقد بدأت منذ عام ١٩١٧ مهر السلطان سليم الأول عقب دخول مصر بالأطماع الصليبية في سيناء، فحضر السلطان لاجد من أطماع اليهود، لأنه من حلق سليمان القانوني هذا الزمران ١٥٢٠ م، وكان ذلك عام ١٥٢٠ م، وكان من رغبة اليهود الضماني في إظهاره الحقيقي، فالقوة العثمانية قد اعتمدت وأمرست مبدأ التماسك الديني إزاء أهل الكتاب، ورغبته إسرائيل الطموحين من إسبانيا ورغبتهم في التماسك ملاذا ومناجاة، لاشك في أن هناك تاريخاً هائلاً يبين استهداف الدولة العثمانية المسيحية، استهدافهم ومطروحين من بلادهم، فمن السماح لهم بإسطنبول واستقطاب جزء من الممتلكات العثمانية لصالح جماعة دينية محددة.

وبعد وفاة سليمان القانوني، تولى  
سلطانين معاصرين، فاضطرت الأوضاع  
السياسية لهذه الفترة لها جذور للتسلل.  
وكانت موجات متتالية للهجرة اليهودية  
إلى الطور، وتطوع على هذه الموجات  
الاستيعابية جماعة إبراهيم، وقد وجدت  
في التسلسل إلى صمت وهدهو حتى لا تثير  
حفيظة الدولة العثمانية، وتغسل اليهم،  
في محاولة عارضة. فقد استنكى زعماني  
تدريسات الكلايين إلى السلطان العثماني  
لنصرهم للآراء من جماعة إبراهيم، وتم  
طردهم. ومن ثم صدرت ثلاثة قرارات  
في عام ١٥٨١ إلى ١٥٨٥ فُنع الهجرة  
اليهودية.

ومع ما سبق، لم تتوقف محاولات التسلل اليهودية إلى شبه جزيرة سيناء لاستيلائها. ففي عصر محمد علي وتحث شاعر الجرحى، الخميم الحصري، تحدث عدد من المهندسين الإنجليز في مصر. ولكن بعد البحث والتدقيق في أغراضهم الحقيقية، تأكد أن الهدف هو إقامة مستعمرة تجارية في الطور، فأمر محمد علي بمنع بيع وشر واحد من الأراضي لهذه الممثلة.

أيضا محاولة بول فريدمان عام ١٨٩٠ الذي حاول استيطان بعض الأراضي في جزيرة العرب وبالتحديد في الموصلح «عين» على ساحل البحر الأحمر وعلى مقربة من خليج العقبة. فقد اختار الرجل موقعا ساحليا لأهميته، ويتوسط الأرض العربية ليمتد وطنه ليصم شبه جزيرة سيناء، وخليج العقبة ويكون على مقربة من فلسطين، إلى أن امتدت «دولة

التعويض وانظار المسحح كاسلوب احاد  
 المشكلة اليهودية، وطالب اليهود احاد  
 بفتحنا عن قوتهم مثل الفلسطينيين  
 والجزيريين وغيرهم. كما شارك في فكرة  
 البحث عن القومية اليهودية (لوهود - روسي)  
 (١٨٧٠ - ١٨٧٥) "١٧" واصدر كتابه  
 والانس، عام ١٨٩٢. واعلن رهنه لعركة  
 الانحراج والنيوان في الجماعات، وطالب  
 بالانفصال بوجود قومية يهودية، كما دعى  
 لوانس اوتوماتيكية الى استعمار سوريا  
 الخيرية. وقد ادعى ان سكان فلسطين  
 وارافقه بخرطة تشتمل على نطاق لهذه  
 الدولة حيث تمتد من جبل الى غزة على  
 طول الساحل. ومن مملكته يريد ان يمدق  
 ومنطقة الجولان وحوارن حتى طريق  
 قزوين الحج المتجسبة صوب مكة  
 (١٨٧٠) (١٨)

كما أصدر ليونسكر كتابه، التحرر الثاني، والذي قال فيه: إن التحرر الحقيقي يكمن في خلق قومية يهودية تعيش شعبها على أرض محددة. فقد تحول ليونسكر وهو طبيب روسي، يهودي من إيمانه بشركة الاندماج إلى النعصب اليهودي القومي بسبب حوادث ١٨٨١ - ١٨٨٢.

لم تكن شبه جزيرة سيناء بغالبة عن  
فكرة الكاث ارتور ستانلى ،هى سيناء  
وفلسطين، عام ١٨٥٦، وأرق بكتابه  
خريطة لكل من فلسطين وشبه جزيرة  
سيناء حيث يرى الوطن القومى لليهود  
يمتد من صيدا على ساحل البحر  
المتوسط ويمتدق الى الداخل حتى رأس  
محمد جنوب شرم الشيخ حتى خليج  
الاسيوط.

لحركة الصهيونية والدول الاستعمارية، إضافة إلى رد فعل المقاومة تجاه الاستعمار الإقلاعى الاستيطاني الصهيوني. وإحلال يهود دوى جنسيات مختلفة أو أعراق وثقافات وبيئات متباينة بدلاً من شعب واحد له تاريخ أصيل على أرضه.

رغم أن الأفكار الصهيونية الخاصة  
بمحدود الإقليم المزمع استيطانه ليكون  
وطناً قومياً لليهود لم تتطور إلا اعتباراً  
من عام ١٩١٧، إلا أنه يمكن رصد الكثير  
من الأفكار الصهيونية التي تعكس  
اتجاهات الإقليمية لقادة الفكر  
الصهيوني.

بدأت إرهابيات الفكر الصهيوني  
بشأن إقامة الدولة اليهودية التي تؤصل  
للأطماع اليهودية منذ عام ١٦٦٩ كدعوات  
فكرية تؤهل مشروعاتها للاستيطان في  
شبه جزيرة سيناء، وعليه يمكننا رصد  
الكثير من الأطروحات العسكرية  
الصهيونية التي تعكس التطلعات

الإقليمية لقادة الفكر الصهيوني. ثم يمكننا رصد المحاولات اليهودية الفعلية لاستيطان شبه جزيرة سيناء.

في عام ١٦٩٦ نشر السيد هنري فنش كتابه بعنوان «بناء اليهود، ليكون أول دعوة فكرية علنية لإنشاء وطن قومي لليهود العالم». كما نشرت رسالة بمسوا إلى إخواني في الدين، طالب فيها كاتب الرسالة بإقامة دولة يهودية تستمد قوتها من عكا إلى البحر الميت، ومن جنوب البحر الميت إلى البحر الأحمر، وطالب بضم جنوب مصر.

١٧٩٥. أما الحاخام زفي هيرش كاليشر ١٨٧٤. فقد نشر كتابه «البحث عن صهيون» ودعا فيه إلى استيطان فلسطين بمساعدة دولية عن طريق إنشاء منظمة تقوم بشراء الأراضي الزراعية. وهاجم

لإسرائيل محاولات عديدة للإفلات  
بعينيتها من الأرض وبخاصة في منطقة  
رأس النقب وطانا. ودارت معركة بأدوات  
وأليات مختلفة لا تقل شراسة عن حرب  
٦ أكتوبر ١٩٧٣، وحصلت مصر على  
أراضيها كاملة وأذعنت وتراجعت  
إسرائيل خلف حدود مصر الدولية عام  
١٩٨١.

أما الخاتمة فتشتمل على ملاحظات وتوصيات عامة خاصة بشبه جزيرة سيناء، وكيف أنها هدف مستمر للتوسع الإسرائيلي، وكيفية إسقاط هذا الجناح الشرقي المصري مناعة حقيقية تكون درعا حاميا لسلامة مصر الإقليمية، وسلامة المنطقة العربية.

## الصهيونية وحدود

الدولة اليهودية

قامت الحركة الصهيونية السياسية على أساس الإيمان بأن اليهودية ليست مجرد ديانة، بل هي حركة علمانية ترمي إلى نزعلة الصداة للسامية، ودعوة لمقاومة الاستعماج، حيث ترى أن اليهود يشكلون عنصرًا متميزًا بجنسهم وثقافتهم وتاريخهم، وبالتالي هم يكونون شعبًا له الحق في وطن مستقل يضمهم فيهم. على يد تكوين دولة، استهدفت الحركة الصهيونية السياسية اليهود في كل مكان، اليهود امة واحدة مهمما اختلفت اعراقهم ودياناتهم وهم يشكلون شعبا كما استهدفت اضعاف صفة اليهودية على ارضها هذا اضعاف ثم إنشاء الدولة اليهودية تمارس سيادتها على الشعب اليهودي في الوطن اليهودي كان الهدف الرئيسي للصهيونية السياسية هو إنشاء الدولة اليهودية بغض النظر عن أية اعتبارات خارج اوروبا او داخلها مثل قضية اضطهاد اليهود، تلك الوركه الرابعة التي اخذت الصهيونية السياسية استعمالها والترويج لاحتلالها<sup>(1)</sup>

قبل التعرض للفكر الصهيوني اليهودي التوسعي، لابد من الإشارة إلى عدة محددات<sup>1</sup> لعبت دوراً مؤثراً في الفكر الصهيوني بشأن حدود الدولة اليهودية، منها الإكسكليات البشرية والاقتصادية التي تؤثر على النشاط الصهيوني للإقليم المراد الاستيلاء عليه. أيضاً توازن وتساكب المصالح المشتركة بين

بدأت إرهابات الفكر الصهيوني  
بشأن إقامة الدولة اليهودية التي تؤصل  
للأطماع اليهودية منذ عام ١٦١٩ كدعوات فكرية  
تؤهل مشروعاتها للاستيطان  
في شبه جزيرة سيناء

كما لوح هرتزل ستولى الدولة اليهودية مهمة حماية الضفة الشرقية لشفاة السويس ومهمة عزل مصر عن الولايات العربية الشرقية.

عرض هرتزل المفاوضات الجارية على المؤتمر الصهيونى السادس فى أغسطس ١٩٠٣ فى مدينة رويك، وأقرها المؤتمر داعين إلى التفاوض المباشر مع الحكومة المصرية، مع السعى للحصول على توصيات من الحكومة البريطانية لتحقيق هذا العرض، وتدعيمها للامال الصهيونية اقترحت الحكومة البريطانية على هرتزل ايجاد بنة فنية إلى مصر لدراسة المنطقة، وتحديد صلاحيته لإنشاء مجتمع يبنى، كما زود المستر جاكوب جرينبرج بتوصيات اللازمة، وكالت وزارة الخارجية البريطانية للورد كرومر تطلب منه استقبال البنة الفنية، وتقديم جميع المساعدات والتسهيلات للقيام بمهمتها، وتسهيل السبل أمامها مع الحكومة المصرية، كانت وجهة النظر الصهيونية أن، شبه جزيرة سيناء هي دولة المستقبل، فهي المكان المناسب لائها مركز شبكة الخطوط الحديدية للعالم، وسوف تشارك مع قناة السويس الدول، وقد دخل محل التوصل بين افريقياسيا وأوروبا. ١١

## هوامش

- (١) أحمد طرس محسن فى حطط لصهيونية ولأستعمار ١٨٩١-١٩٢١ محمد شعرت وشراس غربة القاهرة ١٩١١ ص ٥٥
- (٢) عادل محمود، بعض أفكار لآسرتين وحدود شهرة ١٩١١ ص ٣٠
- (٣) محمد شعرت وشراس غربة لصهيونية ولأستعمار ١٨٩١-١٩٢١ محمد شعرت ولأستعمار لغربة لمصر ١٩٠٧ ص ٤
- (٤) محمد د. ابرو، صهيونية فى مائة عام محاضرات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٩٩
- (٥) سعد روى اسرائيل كرن سلسلة كتب فلسطينية منظمة لتحرير فلسطينيه مركز الابحاث نيورب ١٩٦٨ ص ٦٣
- (٦) صموئيل اليهر اليهود فى السد لاسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠، عالم المعرفة، ١٩٧١، ص ١٠
- (٧) إبراهيم بن علي محمد سائق، ص ٢٦
- (٨) كثير من يظن ان شبه جزيرة سيناء، فلسطين المصرية، فى ذلياب الإسرائيلية، ومن قبل من الابهات العربية ينظر لها، سطات حدود فلسطين فى لمدية فى سيناء شرق فلسطين ص ٢٢
- (٩) المرحم السائق ص ٢٧، ٢٨، ٢٩
- (١٠) أحمد طرسين مرجع سابق ص ٧٥

تقدم هرتزل إلى اللورد رودنشلد وعرض عليه إنجلترا بالتنازل عن أحد الممتلكات البريطانية لصالح إنشاء مستعمرة يهودية فى الاماكن التالية شبه جزيرة سيناء ، فلسطين المصرية " ، قبرص

فشلت المفاوضات بسا قاصر ' سواء مع الحكومة البريطانية لاعتبارات إستراتيجية، لصالح بريطانيا، ولاعتبارات ديموجرافية خاصة بالتكوين السكانى لجزيرة قبرص، كما فشلت المحاولات الصهيونية مع الحكومة العثمانية سواء بالصف أو بفاية المال والذهب،

ولكن استمرت المفاوضات هذه المرة بين الصفي اليهودى جاكوب جرينبرج ووزير المستعمرات البريطانى جونيف تشمبرلين المعروف بشراعه الاستعمارية، وايضا المعروف بميله المعادى لليهود. كانت المفاوضات بشأن العريش وشبه جزيرة سيناء ١٢، كان جونيف تشمبرلين يرغب بشدة فى التخلص من اليهود القادمين الى بلاد العريش والاستفادة بهم فى الخارج، ولكن لأن شبه جزيرة سيناء ليست فى دائرة احتصاص وزير المستعمرات، وإنما فى دائرة احتصاص المتمد البريطانى فى مصر وهو اللورد كرومر. تبنت الحكومة البريطانية المشروع الصهيونى رغم كونهم من الممتلكات العثمانية كانت الحكومة البريطانية تعتبر وجود الأعداء المترابدين من اليهود القادمين من روسيا وأوروبا الشرقية تهديدا للمصالح البريطانية، لذا كان مشروع استيطانهم فى شبه جزيرة سيناء يخدم المصالح البريطانية، ويساهم فى مد التمدد الاستعمارى نحو فلسطين فى حال الانهيار القريب للملوة العثمانية،

حكومة المحافظين فى مارق، ولا يمكنها إيقاف الهجرة بعقضى السياسة الجبرالية التى هى من تقاليد الإمبراطورية، وذلك أيضا ما سيعارضه الراى العام البريطانى، أما الجانب الآخر والأكثر إلحاحا على حكومة المحافظين، فإن الأفواج اليهودية المتدفقة على المجتمع البريطانى سوف تساهم بشكل سلبي على مشكلة البطالة بين العمال البريطانيين ١٣،

قدم هرتزل حلا للحكومة البريطانية وهو تحويل وتحويل هذه الأفواج اليهودية المهاجرة إلى إنجلترا إلى منطقة يتفق عليها بشرط أن تكون صالحة للاستيطان اليهود لإقامة وطن قوسى، بداية كرومى طلب استيطان قبرص وذلك بالتنازل عنها من قبل بريطانيا لليهود، ثم يقاوض اليهود قبرص بفلسطين وفق ما جاء فى مؤتمر بازل الخامس، وكان هذا القرار قد صيغ بعبارة غامضة مثل تسمى الصهيونية الى تحقيق وطن قوسى لعاليين اليهود فى فلسطين وفى الأراضي المحتلة بها تلك التى تؤمنها من جميع الوجود ١٤،

وترى الدراسة أهمية قصوى لهذا القرار حيث يمثل هدفا إسرائيليا، بعد قيام إسرائيل، حتى الآن، يمكن يكر هدف الصهيونية لفلسطين فقط، وإنما اراض محيطة بها، أى يمكنها الاستيلاء على أجزاء من لبنان ومن سوريا، ومن شرق الأردن وشبه جزيرة سيناء، اضافة الى قبرص تلك النجمة الذهبية فى البحر المتوسط، وهى مركز إستراتيجى فى غاية الأهمية، وهدف الصهيونية هو تحقيق الأمن المطلق، لأنها تعلم ان عملية استيطان يهودى يعنى اقلاقا عربيا، يعنى خلق أعداء محيطين بهذا الكيان الاستيطانى العربى،

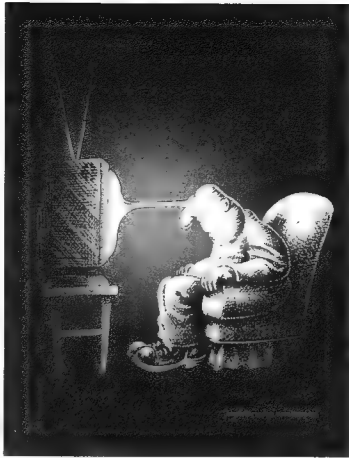
هريمان الواسعة لتشمل مساحة شاسعة ضمت جزءا من جزيرة العرب، وشبه جزيرة سيناء وأخيرا العقبة باطلالته على البحر الأحمر، كان الرجل طموحا متطلعا معبرا بشدة عن معتقدات وطموحات اليهودية تجاه وطنهم القوسى المزعوم، مستوحيا رؤيته للوطن من الثورة، فقد نشر كتابا بعنوان ارض مديس، طارحا إمكانية استعمار هذه الأرض، وطرز فكرة حرق قناة تريت بين حيفا والبحر الأحمر عن طريق العقبة لضرب وتحطيم أهمية قناة السويس كمر دولى وبالتالي ينزع عن مصر إحدى مميزاتها الحيوية، وما تدره عليها من أموال طائلة، علاوة على ضرب دموع مصر كدولة لها شأن فى العلاقات الدولية، ولكن سوبنا على شكوى من عربان المنطقة من سوء معاملتهم بالإضافة إلى خشيهم على أراضيهم، فقد تم طرد فريدمان وجماعته من المنطقة وهشلت محاولاته الاستيطانية فى المولى، وهى نقطة على الساحل الشرقى للبحر الأحمر وكانت تحت الإدارة المصرية فى القاهرة، ومن ثم أصدر السلطان عبد الحميد ثلاثة قرارات ألغى الهجرة اليهودية، وإعادة التسليل إلى بلادهم الأصلية.

## شبه جزيرة سيناء

### فى الفكر الصهيونى

ازدادت المطامع الاستعمارية يشبه جزيرة سيناء لتكونا خلفية إستراتيجية لحماية قناة السويس، تحركت تلك المطامع مع المطامع الصهيونية، ووضع اليهود انصهم فى خدمة الاستعمار البريطانى أولا منهم فى تحقيق اهدافهم فالمساعدة على توطيد أركان الاستعمار، وسعت الصهيونية متمثلة فى تيودور هرتزل فى تحقيق وطن قوسى لليهود فى شبه جزيرة سيناء لتتجمع غالبية يهود العالم.

استغل هرتزل مشكلة هجرة اللاجئين اليهود المضطهدين فى أوروبا الشرقية وروسيا، والمتدفقين على بريطانيا، وعرض على الحكومة البريطانية فى يونيو ١٩٠٢ الدخول فى مفاوضات من أجل الحصول على ارض يتجمع فيها اليهود المضطهدين، كان هرتزل يعلم جيدا ان بريطانيا برناسة



## الصحافة

في دولتنا

أراك دانس

بحاجه هو يتكل على صورة صحفيتين وصحافة صارت على أقل تقدير عتيقة. صحفيتين ناكرين للذات في سعيهم إلى الحقيقة ودفاعهم عن ضمير المجتمع، لو صدق هذا الوصف حتى أثناء ووترجيت، فهو بالكاد يشبه الآن العالم المتأرجح في المصاحبة في برامج الفضائيات وحوارات المثقفين المولونة، عالم تقدم فيه المضجحة التي كلما زادت اشتعلاً زادت جمالاً - حكايات ضخمة معقدة تحصد قوام الحياة لدوائر الأخبار على مدار الساعة ومثلما تسببت حرب الخليج الأولى في بروق قساة سي إن إن على الساحة، كذلك أسرّت شفتا مونيكيا لوتينسكي العابستان قناة فوكس نيوز.

كلما تعتقد المصالحات واغتنحت حيكته، تجملت وتواصلت واستمرت، إن المصالحات توفر التوقود لمواجهات تجري على الهواء مباشرة وكذا الهجوم الملطي وردود الأفعال عليه - وهو ما يبرع فيه التليزيون ساعتيارة وسيلة شعبية لتوصيل أية معلومة معقدة برخص التراب، فالمصالحات تزود المتمرجين بالحكمة العرعية والشخصيات الثانوية والمتابع غير المتوقفة، وتزود الصحفي الممثل المشهور المهتمد زميل الأقوياء بالصرح الحقيقي للممارسة المثلى لفته، استوديو التليزيون، وهل من الممكن أن تستمد الحقيقة عن مسرحية هاوارد هوكس Howard Hawks مساعدته His Girl Friday (1940)؟

إن هذا الص يتعدى المصحية، أو على أية حال يزدهر بها، فالمصحية تتم عن النجاح، تدل على أن الشخص المعني ينجح عمله على خير وجه. المصحية ما هي إلا مصدر للثروة، فهي تمثل حلم عصر الإعلام، القصة الإبداعية، يمكن إهرام المصحية في قالب جديد، ويمكن إثارة الجدل حولها وتصويرها من مصدراها الرئيسي حتى عملية القيس على المتهمين وجلسات الاستماع والحكمة والاستئناف. تقدم المصحية تياراً لا نهائياً لما تسمى النجاة التجارية في النهاية، الأخيار، فكلما يقول الناس، ما هو الجديد؟ تحمل المصحية فورة تصح منها القلوب الدماء وتجرع بها الناس الانعاس، فورة من حماسة بلا انقطاع، حتى تعلم أن آلهة الأحداث الجسام أقيمت أخيراً من الاعالي كي تتداخل في عالمنا المنحل، تجسد المصحية الحركة، تجسد التسرع المسموع للتلويح، ومع ذلك فهي وهم الأوهام، فأسفل القطار المتحرك سريعاً، لأخر الأخبار، المصحية بالكاد عابرة المبهرجة، أسهل كل المحالات الهامة اللاهثة أمام أعمة الحياة العامة، أسهل سلسلة الأوهام المألوفة للمصحية يكمن نوع من الركود البائس، كل شيء يتغير ولا شيء يتغير

■ إن المصحية هي الساعة النامية هي دولتنا، فالكشف عن دلائل الأثام لا يضيء إلى تحقيق وعقاب والتكمير واضح لا ليس فيه إما إلى المزيد من المصالحات المصحية دائمة، مصحية مجمدة، أسلحة دمار شامل اتضح عدم وجودها، تصديق لمتقبلين سوف يمكنون معتقدين إلى الأبد، فصل نائب عام سوف يظل قيد التحقيق إلى ما لا نهاية إن هذه المصالحات وغيرها من مصالح مجمدة أخرى تثبت وتنشعب وتكرر نفسها نفسها كي تستنسخ البرامج الإخبارية في المنظمات وعالم الدورات والمكتبات، قصة تدغدغ الشاعر دون أن تصل إلى حد فعل، حوار طويل لا نهاية له بين المحققين، هدية لا تكف عن العطاء، فالمصحة على التدمير والتحليل والتكمير ذو قيمة يجب أن تتحول إلى مصدر للبرخ، إن المصحية لا تكمر عنها المدن ولا تقبل الحل لا بد أن تتجاوز الواقع السياسي لتصبح حقيقة تجارية

يستحضر العديد منا عهداً مختلفاً ومهما نظرنا إلى ماضيها السياسي بعين السخرية، سوف نجد فيه جنتنا السياسية، فينتام ونتيجتها على المستوى المحلي المتمثلة في ووترجيت، دورة مصحية مختلفة أنهت حرباً وقوضت رئيساً، ومع التطلع إلى الماضي سوف نتكشف تلك الأحداث بمنطق واضح خليق بحلم من أحلام المدينة الفاضلة، في البداية الكشف، يفضح صحفيون جسر جرائم سقيمة متشاكفة القترفتها إدارة نيكسون، ويعددها التحقيق، ليس بواسطة الصحافة فحسب - فهي لم تكن إلا أذنيها، الشرط الأساسي - لكن من قبل الكونجرس والمحاكم، وعليه فإن تحقيقات الحكومة عملت من خلال مؤسساتها على بناء قصة حقيقية كالحية يمكن للمواطنين جميعهم قبولها، وفي النهاية التكمير، إصدار الأحكام والقياد السياسيين في الأصفاد إلى السجن ثم الانفاس المفرط في التوبة أمام العامة، نسيان

جثسيماي Gethsemane

مسرحية من تأليف ديفيد هير افتتحت بالمرح القومي بلندن في نوفمبر ٢٠٠٨.

«جثسيماي» هي الكاتك المقدس هو سنان في شرق أورشليم كان المسيح يتردد إليه طلباً للعزلة، وهو الآن مكان مقدس لأنه كان مكان القبض عليه من قبل الرومان.

بترتيب مع.

The New York Review of Books

ترجمة: هالة صلاح الدين حسين



## دار بيبالي، «يا إلهي، إنها لن تغفل بما تركبته، لكنك دائما...

### جسيماني

ثمة إحماس عام بالعبارة  
حروب تستمر إلى الابد بلا صف  
وسياسات ما هي إلا لغة مسمومة  
لا علاقة لها بالحقائق...  
جسيماني

كيف يستحضر الماريخ تفسير حروب  
اندلعت بعرض تحليلي العالم من  
أسلحة للدمار الضال تبين عدم  
وجودها؟ إنه سؤال مهم... هل ستحتل  
حرب العراق مكانتها بوصفها أعجوبة  
تاريخية إلى جانب حرب جواثو في  
القرن التاسع عشر وحرب كرة القدم في  
القرن العشرين؟ وكيف سيهتم أساذنا  
مرد قل حكومتها الديمقراطية، بجراح  
تحقيقاتها لنسبة لعدايتها ضاها، إن  
معلومات ترفع نفسها من حفر  
الوحد، ويعد سنوات من الجهود  
المتألق - مئات الساعات من الشهادات  
وحصن آلاف الوثائق - اكتشفت...  
ماذا في النهاية لا وجود للأسف، لأي  
دليل،

إنه آخر لوروجيت، تلك الصورة  
المستقطبة لعرسها في عصر أيسب،  
حينما تمكن رجل مخادع كريشاند  
يتكسبون كل ما يبالا - لا تسجيل كل  
كلمة نطق بها - في عهدنا الآن سادة،  
معدونان أن تامل مذكرة داونج سترت  
بمقدونان Downing Street الموصلة  
البيئة وأعداداً لا حصر لها من وثائق  
مضاهية تسربت سريعاً من أصحاب  
السلطة، لقد قد نجدها وفقاً لفضاء  
لعبة التفصيص مضخمة ضخامة  
وواضحة وضوحاً لا يمكن مهما أن تعني  
لأي شخص طبيعي ما تعني لثقتي  
الا وهو أن أصحاب السلطة الراغبين  
في الحرب لا بالدبلوماسية والعاملين  
باجتهاد من أجل، لخداع صدام، نشن  
الحسب كما توضح مذكرة داونج  
سترت بمنتهى الجلاء - كدواء علينا  
تورطونا في الحرب، وقد تورطنا  
الآن في حرب لا ضرورة لها ولا نهاية  
لها

لا ريب أن قانون الدلائل القاطعة،  
يغني أينا بل تلك القضية، مهما  
القصص حبقتها لأعياناً جرمياً،  
يمكن إثباتها بعد إثباتاً لا يتطرق إليه  
التشكي (في حال عدم اكتشاف شريط  
الفيديو) لنسج على الرئيس الأمريكي  
ونيسن الوزراء البريطاني وهمس  
يتوشكان كاتليان طرين على تعليمه كبرى  
يوشكان على ارتكاسها في حق  
الفيديو المضيق  
الجمعة الغصينة لا بد أن تطير  
مستوحاة على الدوام، مزعومة، على  
الدوام، وقوداً لا ينضب لآل التقارير  
والأف والافتكاشات التي تكشف ما هو  
معلوم بالفعل، هل نخرج من سماع  
عجل الضحكة الدائرة إنه موسيقى  
عجرا

لذلك فإن عمل المرء في السياسة  
غير غاية إلاثارة به، هذه الأيام،  
أسف، لتلك لا بد أن تلقى بنا، فلا  
حيار آخر للملك...

### حنسياني

لا يمكن أن تكتمل أية ملححات عن  
الضحية مدور فكر ضحية عصر  
الكبرى الأساسية، الحرب، إلى المرء لا  
يستخدم الأحرار العليقة للإشارة إلى  
مجموعة من الأحداث المتصلة  
مجموعة أناس تقتلهم أو تجرهم أحداث  
عنيفة محددة خلال أوقات محددة - إنما  
للإشارة إلى حالة عقلية. لم يعد الخطر  
مجرد درج سياسي لكنه صار في نهاية  
الأمر ما هو أخطر، صار مصداقاً لتسريح  
الذات يتعدن فهمه، لا يمكن الخطر في  
إصرار دافنا المتعلق أنهم على حق بل في  
استخدامهم الحق على حق لا صرح جورج  
وشن للعالم بجمعة المؤكدة الضخوة أنه  
قد ولد ثانية، كرئيس حرب.

القي جورج أورويل George Orwell  
نظرة شاملة على هذا الموضوع منذ عام  
طويل في روايته الأشهر ١٩٨٤، في حربه  
السردية بين استنحيا ديوروجيا  
وأوشانيا، صراع أبدي لا يسلم الحكما  
فيه من التبدل والتحول. صراع لو حكما  
عليه استناداً إلى معايير الحروب السابقة،  
سوف يلوح مجرد دل وحده. فهو أليه  
بمبارك تشب بين حيوات متحرة تقرب  
مضطوحة في (واحد معينة يعجز عن  
الحيوان من جرح الأذى، لكن على الرغم  
من افتقار هذه الحرب إلى الواقعية في  
لا لعدم الفزى... فهي تساعد في الحفاظ  
على جو عقلي خاص يحتاجه المجتمع  
الهرمي،

يعد محتلو قمة "المتحتمات  
الهرمية، الحروب قيمة لأنهم  
يزودون السلطة بأساس منطقي جوي  
يقضها وتعاطفها. وفي الوقت ذاته  
يتكسبون السلطة ولا سيما بتصيد  
معلومات يجب أن تجعل عليها هذه  
الأسئلة: لا شك أن التحدي على الإزهاق  
لم تحل مطلقاً من الدماء، فقد جسدت  
نفسها في حروب، حقيقيين، على الأقل  
فتحت وعدتها في أفغانستان حتى  
فعل مباحر على الهجوم، والأخرى في  
العراق لتحقيق أهدافها لا تحديداً  
وأكثر عجرة - وذلك جسد نفسها  
في عدد ضخم من عمليات سرية ذات  
مطامح متباينة جرت، في الفضاء، ومع  
ذلك رغم عدم احتصارها مكانياً وزمناً  
وكونها أساساً منطقياً ملائمة لا ينسب  
للسلطة العسكرية، التمزيد، القرب الإزهاق  
على الإزهاق أكثر ما اقتربت حتى الآن  
على جورج أورويل الحكمة المتخيلة  
لتتقاسم سلطة الحاكمين المأزومة للحرب  
إنما يبدو خيالها اللا نهائية. ربما  
تعرضوا لتلك الخصال لو لا أن جلبت  
الحرب في أيديها فضيحتها الجمدة.

بالنسبة لحقنة من الجنود قلابي الحظ  
أصغر المسك الصغير - لم تعقد  
محاكمات عليه ولم يلتقط المصورون  
صوراً لشؤلين كبار عليهم الأصفاد، لا  
بد أن خيبة كمال عقوبة تزلت بمسرى  
الصور المخاطرون بمسقطهم من أجل  
إداعة هذه الوثائق أمام العامة. إذ انق  
أنهم قد ارتكبوا واحدة من أهدج جرائم  
العصر، المثالية غير الحمية، وهكذا  
استمر التعذيب العلوم وغير العلوم لا  
جوانتاناو والمواقع الخلفة، والعديد  
من الأماكن حول العالم فيما ترات  
الحاكم وكأنها تتمسك بأفكار أخرى.  
وفي غضون كل هذا آجاء المراسلون نغل  
القصة ولا سيما في الجرائد - فبعد نغل  
الفورة من العلوم التي سرعان ما أضحت  
أكثيشتات. لم تظهر أية قصة مثيرة بما  
يكفي لشرتبع إلى المستوى النفسي  
للقصة المرئية المتفردة - فبعد توالى نغل  
الفضيحة حتى عندما دلت أي مرحلة  
منظرة الحققة الخاصة التي استحال  
فيها جريمة الحرب إلى القضية  
رئيسية.

لا بد من الإقرار بأن العامة - ذلك  
المتدوع من الحق - أيدوا اهتماماً قليلاً  
نسبياً في الشأن هذا، وكذلك حذا  
السياسيون نحو ناخبيهم. أتى حين جري،  
الترشح للرئاسة في أعقاب، أبو غريب،  
بالكاك أي ذكر السألة. (وعليه فإن أعقاب  
باراك أوباما - بالفضيلة الرئيسية - كان  
عريضاً يعتبر قديماً واضحاً).  
الحق أن أفضح آخر لاجوء أمريكا  
الرسمي إلى التعذيب على الضمير العام  
خلال هذه الفترة في النجاش السابق  
للسل ٢٤ الذي تعرضه قائد فوكس. من  
صمت كل مجموعة من الحقائق في  
دورثها حالة تعذيب واحدة على الأقل  
وأحياناً العديد من حالات التعذيب  
العميل التي ترعها الحكومة. إذ يقوم  
العمل الخارق جاك باور - العامل على  
إفاد البلد من كارة وشبكة - بكل ما يقدر  
عليه في سويل إيجاز المهمة. أنا شخصياً  
أفضل مشهدة يأمر فيه الرئيس وكبير  
عملي الاستخبارات بتعذيب مدير وكالة  
الامن القومي لشكة في حياته داخل  
بديوم البيت الأبيض باستخدام صام  
كيريالي يدي على حين يتفجر القائد  
الاحل للفقوات المسلحة على الأحداث من  
خلال دائرة كيميوزمينة مغلفة. ربما لا  
ينبغي أن نوقع فيها هذه الحماسة  
الدشقة، فقد وقفنا من قبل على الأثر  
الطعن لصور السلطة المتخيلة على  
العامه، على الأقل من نجاح قيام كليت  
ايرستود Clint Eastwood هاري القود  
Dirty Harry (١٩٧١) غير أن هاري كان  
في طرنا شأداً عن غيره بعيد ضد النظام،  
سرميل القعد الثامن من القرن  
الضربن: أما جاك باور فهو يعمل عند  
الرئيس مباشرة كما كدرا المسلسل مئات  
المرات.

ثمة شيء خطأ... ثمة شيء  
خطأ تماماً... لا يعني أن أحد  
إذا ما كانت حكومتك في العرص  
أفإنها الشكل الوسعة، أيا كانت،  
في هيبة...  
حشيماني

ليست المعلومات هي العضة. إنها  
الساسة. لو كنا تعلمنا أي شيء خلال  
هذا البلد العاتق فهو أن الشعب، ذلك  
المتدوع المتهايش من الحق العام  
يكشف دوماً الحقيقة، - أن الشعب  
يستمد وقادر على التعاضد مع الكثير  
والكثير. إنهم يقرعون المطبوعات  
ويشاهدون التلفزيون بل يتصورون إلى  
قوتهم والصلب يصود إلى عصر  
الضحية في معرفتنا الحالية لما قد  
يتعاضد مع العامة. لقد أظهرت الآن  
استقلالية استقلال جديرة بالثناء،  
هكذا أبلغ باراك أوباما يوم ماكين أثناء  
منابرتهما الثالثة، فيما يخص بعض  
القضايا الأساسية - التعذيب على سبيل  
المثال، لقد تم مع صورة التعذيب خلال  
هذه السنوات القليلة الماضية ليختل من  
جريمة حرب مقبلة إلى قضية رئيسية،  
من شيء تحرمة التعاطيات الدولية  
ويدينه القدر العلوي إلى شيء يدور  
حول الجدل، شيء يمكن للمرء أن ينحاز  
إليه أو عنه. شيء يعقدون التعاضد معه.  
أي قضية كيدية حدوث هذا فعولته  
ومعقد لكل الجرايم هو أنها لم تقع بسبب  
الافتقار إلى الصراحة. تعجرت فضيحة  
أبو غريب في ربيع عام ٢٠٠٤ وسرعان ما  
أصبحت قصور الرجل ذي الفلسفة  
والرجل ذي الصد والكلاب ويهد الرجل  
صوراً "مزعجة"، لتفقد أيرر اللقطات  
الإخبارية في نهاية العام وتحتول إلى  
لوحات جدارية باهظة على ميضات المد  
الصغيرة بالشرق الأوسط. وفي تلك المرة  
الأولى والأخيرة التي تجلى فيها التعذيب  
واضحاً، برزت القضية المتفردة -  
اعتبار التعذيب بفضل الصور من ضمن  
النتائج، التعذيب المتفردة - في ربيع  
وصيف ٢٠٠٤ لتتحل محمولاً من الصور  
والوثائق الأسرية. إن تلك الوثائق - ألقا  
من المصحات التي روت بالتصديق لآخر  
الدقيق قصة مسؤولين أمريكيين، بدأ من  
الرئيس ضمن الأقل من نغدة، أسروا  
الأمريكيين بتعذيب العقول في أعقاب  
هجمات ١١ سبتمبر - ما لبثت أن شرها  
فصلون وكتاب، وإن ما بينهم، تورقوا  
ولا شك أنها سرعيا لمجان  
الحقيق وجلسات الاستماع المتفردة  
وأحكام بالنسج.  
وعندما وقع ما وقع، أوقع، أوقع  
التحقيقات بالمثل، أوقع أغير تحقيقات  
أو أكثر، قد ساهمت كثرتها نفسها في  
تحويل القضية من جريمة متخلة إلى  
خبر لا نهاية له إلى قصة ثانوية وفي  
النهاية إلى قضية رئيسية، لكن

# فى الدفاع عن الاقتصاديين



توماس هوبز  
1588 - 1657

## زكريا سالم

قبل عددين شررت «وجهات نظر» مقالا مهماً للدكتور جلال أمين أستاذ الاقتصاد. وقديما له بأنه يعود بكتابته إلى أكاديميته. ليستكمل مابدأه قبل سنوات بكتابه المهم «كشف الآفة» عن نظريات التنمية الاقتصادية. وتوقعنا أن المقال الذي صممه كتاب صدر لاحقا عن «دار الشروق» من شأنه أن يثير جدلا أكاديميا «مطلوبا»... وقد كان.

هنا تعقيب و«مناقشة» لما ورد في المقال / الكتاب من أفكار.

### وجهات نظر

■ هذا أحدث كتب الدكتور جلال أمين، وعنوانه بالتكامل «فلسفة علم الاقتصاد - بحث في تحيزات الاقتصاديين وفى الأسس غير العلمية لعلم الاقتصاد» - أول ما نتوقف أمامه هو ما يقوله المؤلف عن استخدامه لكلمة «فلسفة» إذ يذكر أنه يستخدمها بمعنى تلك النظرة أو الرؤية الخاصة التى رأى من خلالها العالم رواد علم الاقتصاد الأوائل، أو طريقة الاقتصاديين فى النظر إلى الأمور، ونوع نظرتههم إلى النشاط الاقتصادى.

أما العنوان الفرعى فهو منهج الكتاب وطريقته فى التعامل مع الرؤية الاقتصادية المختلفة عبر تاريخ هذا العلم الحديث نسبيا، فالكاتب فى الحقيقة لا يقدم فقط عرضا لفلسفة علم الاقتصاد، ولكنه دراسة نقدية فى الأسس التى قام عليها هذا العلم، أو هو بحث دقيق فى نظرية المعرفة بالمعنى الفلسفى، ومن الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى العلاقة بين «الماء» والعلوم، وعلم الاقتصاد، فكل منهما قائم على نسق متماسك من الأفكار أو التصورات العقلية، ولذلك ليس غريبا إن كان أبو علم الاقتصاد من رجال الفلسفة، ففي عام ١٧٧٦م، ظهر كتاب آدم سميث (Adam Smith) أستاذ الفلسفة فى جامعة جلاسجو والمتخصص فى علم الأخلاق، بحث فى طبيعة وأسباب ثروة الأمم، An Inquiry into the Nature and Causes of the Wealth of Nations.

وقد عرّف هذا الكتاب بداية لتطور علم جديد هو علم الاقتصاد والحديث عن الفلسفة والمسطق يدعونا للإشارة إلى التناقض الواضح فى تعبير «جلال» الأسس غير العلمية لعلم الاقتصاد، إذ كيف يبنى علم على أسس غير علمية؟! وإذا صح كلامه أن علم الاقتصاد قام على أسس غير علمية، فهل يصح أن نطلق عليه اسم علم؟! ويتضمن هذا الكتاب بداخله بحثا آخر عن طبيعة العلاقة بين علم الاقتصاد وعلم الأخلاق الذى يعد التخصص الدقيق لأدم سميث، ففي دراسة د. جلال سمى دائم إلى فهم أعمق للإنسان ومطلباته، وثمة محاولة إلى الوصول لدرجة أكبر من الحكمة فى التعامل مع الموارد الطبيعية وثمرات العمل الإنسانى.

فلسفة علم الاقتصاد - بحث فى تحيزات الاقتصاديين وفى الأسس غير العلمية لعلم الاقتصاد، جلال أمين - دار الشروق - القاهرة ٢٠٠٨

بداية من المقدمة يقرر المؤلف أن للاقتصاديين تحيزات وأهواء، فيبدأ يدعو إليه من سياسات اقتصادية، وفيما يقدمونه من نظريات تقصر عن الإحاطة بالحقيقة! وهذا كلام يثير على الدهن سؤالاً فلسفيا، وهو : من الذى يمكنه أن يحيط بالحقيقة؟!

أما تأثير الفكر الاقتصادى بالأحوال الاقتصادية، والطروف الاجتماعية، ومجموعة الأفكار والمفاهيم السائدة فى عصر ما، أو فى مجتمع ما، فهنا أمر طبيعى وأبدي منه، إذ إن الاقتصاد كعلم لم ينشأ فى أوروبا فى أواخر القرن الثامن عشر، إلا بسبب نشأة تحيزات جديدة، وهذه التحيزات والأهواء لم تكن أكثر من عواطف جياشة، أو معتقدات عامة، أو أفكار مسيئة اعتنقت بدلا، واعتبرها هؤلاء الاقتصاديون من المسلمات التى لا تحتمل الجدل. ومازال علم الاقتصاد، كما يدرس اليوم، يحمل نفس الملامح التى كانت له فى نشأته الأولى! وكل هذا الذى يؤكده المؤلف مرارا وتكرارا يعد جزءا من طبيعة العلوم الإنسانية جميعا.

ويأمل المؤلف فى تحرير علم الاقتصاد من قيود استمرار ميلها لأكثر من ثلاثة قرون، وإذا كان هذا الأمل - فيما أرى - بعيد المال، فإبواب بعض التحيزات غير العلمية للحضارة الغربية الحديثة، يساهم فى تحرير أبنائنا من الاعتقاد بعمومية هذه الحصار، ومن الاعتقاد بصلاحيته كل ما تأخذ منها كمسلمات نافعة لكل زمان ومكان.

وبعض أفكار هذا الكتاب المهم اختلف معها اختلافا كبيرا، فحينما يعبر المؤلف لصفة شديدة الجمال والجادانية عن شعوره وشعور بعض طلابه فى الجامعة - بخيبة الأمل فيما تعلموه من علم الاقتصاد الذى أصبح لهم أنه ليس علما أصلا، كالبناء الجميل للمقال على رسائل متحركة، أى على أسس غير علمية، ومن ثم شعر الطلاب مثلكا شعر أستاذهم بالتحرر منه، وكانهم كانوا فى أسر حب جارف نحو شيء غير جدير بهذا الحب، وبعد اكتشاف عدم جدارته، انطلقوا أحرارا! وأصبحوا على استعداد لرؤية وتقدير أوجه الجدارة والاستحقاق فى أشياء أخرى جديدة، لم يتفهم من رؤيتها من قبل غير تلك الحب الأعمى القديم.

فهل يتناسب مثل هذا الكلام الرومانسى مع التحليل النقدي لأسس علم من العلوم؟ وهل علاقاتنا بعلم الاقتصاد فى علاقة حب أعمى؟! أم إن طبيعة التطور العلمى أنه قائم على المحض والنقد والتحميص من أجل تعديل المنهج وتصحيح الرؤية؟

فكلما تقدمنا خطوات فى نقد مناهج البحث



Edmund Burke



Adam Smith (1723-1790)



David Hume (1711-1776)



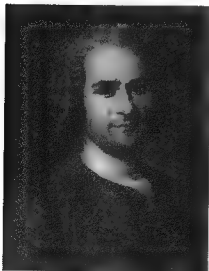
Montesquieu (1689-1755)



Sir William Petty (1623-1687)



A-R-J Turgot (1727-1781)



Jean Jacques Rousseau (1712-1778)



Erich-Fromm



Knut-Hamsun Postcard (1910)

## تَعْقِيبَاتٌ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْاِقْتِصَادِيِّينَ

الدقة، لكنها في الحقيقة أبعد عن الواقعية، وأقل حكمة.



ويقدم الاقتصادي تعريفاً لعملية الإنتاج بقوله: «الإنتاج هو خلق منفعة أو زيادتها، أو create or increase utility لكنه لا يلتزم بهذا التعريف حين يتجاهل بعض أوجه النشاط التي يتوفر فيها شرط خلق منفعة أو زيادتها، كالأعمال المنزلية وغيرها لجرد أنها غير مباحة للبيع؛ وهذا تحيز لا يقوم على أساس من المنطق أو العلم.

وعند تحليل الاقتصادي لمتناقص الإنتاج نرى فيها من التحيز أكثر مما فيها من العلم، ثم العلم بأن الباعث على الإنتاج «تحقيق أقصى ربح» لا يبدو صحيحاً كتفسير لعملية الإنتاج التي لا تتم بقصد البيع، وقد يكون الباعث الأسمى شيئاً مختلفاً عن تحقيق الربح، فكمثالاً ما يفضي المنتج بأقصى ربح إذا تعارض مع اعتبارات أخرى أكثر أهمية، كالنضحية - مثلاً - ببعض الربح في سبيل مبدأ أخلاقي.



وبعد ٢٢ عاماً من صدور كتاب «ثروة الأمم» - ظهر كتاب روبرت مالثس (Robert Malthus) - مقالاً عن مبدأ السكان (An Essay on the Principle of Population) والارضية واسباب انخفاضها الذي يتضمنه الكتاب من العلاقات بين زيادة السكان والإنتاج الغذائي، ويؤيد المبدأ سراً الاهتمام بنظرية مالثس لمدة تزيد على قرنين من الزمان - على الرغم من أنها تكاد تكون بدئية - أن علم الاقتصاد يستوحي على كثير من المقولات التي لا تكتسب مكانتها من دقة أو صحة وصفها للواقع، أو من اكتشافها لشبهه مع بعض معررفا من قبل، بقدر ما تكتسبها من مجاراتها لبعض الأهواء والمصالح القوية التي لا علاقة لها بالعلم، فثمة فريق من فراح مالثس حاولوا استخدام نظريته لإعلاء الرأسماليين عن أي مسئولية في فقر العمال، كما حاول الداروينيون الاجتماعيون استخدام نظرية داروين Charles Darwin مبدأ أصل الأنواع The origin of species لخدمة تحيزاتهم الطبقيّة، فاعتبروا الرأسمالي الناجح هو «الأصلح»، داروينياً، والرجل الفاشل اقتصادياً، محكوم عليه بالفشل لأسباب طبيعية وحتمية!

أخراً، ولكن الأمر كان بحاجة إلى إيضاح أكثر.

أما الظروف التي نشأ وترعرع فيها علم الاقتصاد فظروف خاصة جداً، ذات سمات اقتصادية واجتماعية وثقافية وتكنولوجية معينة، لنبداً بعينها، في فترة تاريخية محددة، وبالتالي يصعب تكرارها بحدديتها في بلاد أخرى، أو في فترات تاريخية مختلفة.

وهذه السمات تعكس أهواء مجتمع معين، وتحيزات طبقية معينة داخل المجتمع، ومن ثم ظهرت تأثيرات كثيرة لكل هذه العوامل في مختلف النظريات الاقتصادية.

ويشير المؤلف إلى بعض المروضات المتفشية لدى الاقتصادي كتمسوس الإنسان الاقتصادي، Economic Man الذي يحركه المصلح وحده، وكذلك السعي إلى تحقيق المصلحة الخاصة فقط لا غيراً لأثانياتها في المحرك الوحيد للسلوك الاقتصادي! ثم افتراض أن سعي المرء لتحقيق مصلحته الخاصة يؤدي دائماً إلى تحقيق المصلحة العامة للمجتمع ككل، بينما ثمة أمثلة كثيرة تؤكد على تعارض المصلحتين في ظروف وأحوال كثيرة جداً.

والسبب وراء مثل هذه الفروض المتفشية، هو أن التركيز على الصفات «الآلية»، في الإنسان يسمح بالوصول إلى تعميمات أكثر دقة، ويسمح بالقول بوجود قوانين تحكم السلوك الإنساني، أشبه بتلك التي تحكم الظواهر الداعية، يعكس الجوانب الإنسانية التي يؤدي الاعتراف بها إلى صعوبة صياغة قوانين منصبطة عن السلوك «الإنساني»، وبالتالي صعوبة التنبؤ به.

وإذا نظرنا إلى فكرة «نظام السوق» الذي يعد حصيلة تعامل إرادات المتحيزين مدفوع بقوى معينة ليصل إلى نتيجة مستقلة عن كل هذه «الإرادات» هذه النظرة الميكانيكية للسلوك الاقتصادي قد سمحت بصياغة قوانين أقرب إلى

المعامل والأثار الأخرى من حساب القارئ كما سقطت من حساب الباحث سبب تحيزاته وإهتماماته الخاصة. وتتجلى التحيزات والأفكار المسبقة في أمور عدة، كنوع الأسئلة التي يختار الباحث إثباتها والبحث عن أجوبة عنها، وكذلك نوع الإجابة المقدمة عن السؤال المطروح، ثم اختلاف سمات التأكيد الذي يركز عليه الباحث أو الأهمية التي يوليها لعامل من العوامل دون غيره، وإيضاً الطريقة التي يختارها الباحث لتصنيف العناصر أو الظواهر التي يقوم بتحليلها وأخيراً لتناول في اللغة التي يستخدمها السامع عند إجراء البحث وحينما يحرض ثلثاته، لتنبئ مدى خضوع البحوث العلمية لأثر اللغة والتعميمات المستخدمة، ولتأكد أنها أكثر بكثير مما تنصو، لاساً - كما يقول المؤلف - وثنويون أكثر بكثير مما نطق، بمعنى أن لدينا ميلاً إلى التعبير عن الأفكار المجردة وكأنها أشياء ملموسة، أي لتجسيد المجردات في محسوسات، وهذا الاستخدام للمفردات الملموسة يمسح مجالاً واسعاً لتفسير التحيزات والأفكار المسبقة من الكاتب أو المتكلم إلى القارئ أو المستمع.



وفي صفحة (٣٨) يعلق المؤلف على التطور الذي حدث بظهور كتاب سميت الشهير «ثروة الأمم» بقوله: «لم يكن بالظبط مجرأاً مواقف غير علمية في شرح الظواهر الاقتصادية وإحلالاً للموقف العلمي محلها، بل كان في الحقيقة أقرب إلى إخلال نظرة غير علمية محل نظرات أخرى غير علمية بدورها». ثم في صفحة (٤٠) يتحدث عن الجزء التقني أو الأقرب إلى روح العصر الحديث التي تبناه سميت في كتابه وأضاف إليه وجعله أكثر علمية؛ وطبعاً المؤلف كان يقصد هنا شيئاً، وهناك شيئاً



وأيضا، جلال إلى ظاهرة نراها في بعض الكتب والرسائل الجامعية التي تعترف في المقدمة أن الظاهرة محل البحث تعود إلى عوامل كثيرة، أو تحدث آثاراً عديدة في العوامل أو الآثار التي يناقشها البحث، ثم يهمل أصحاب هذه الكتب والرسائل هذه الحقيقة المهمة في بقية الكتاب أو الرسالة؛ وهكذا تسقط

العلمي، كلما اقتربنا أكثر من المنهج العلمي السليم القادر على أن يقرنا من الحقيقة، وكلما كشفنا بعض نقاط الضعف في جانب من جوانب النظرية الاقتصادية، كلما اقتربنا أكثر من الوصول إلى رؤية اقتصادية أكثر صحة، ودقة، وشمولاً.

هذا، والتفق تماماً مع ما قاله د. جلال من أن صاحب التحيز هو أقل الناس قدرة على اكتشافه، ومن ثم فالكشف عن هذه التحيزات وهذه الأسس غير العلمية، وإبرازها له فائدة كبيرة، لا تقل عن فائدة دراسة علم الاقتصاد نفسه، لأنها جزء مهم من هذا العلم، وهو يسعي - من خلال هذه البحوث والدراسات النقدية - إلى تصحيح منهجه وتطوير نظرياته.

وعالم الاقتصاد لا يرى الأشياء نقيّة صافية، ولكنه يراها كما يراها سائر البشر، مختلطة بل في ذهنه من الأفكار مسبقة يربطها في قلبه من مشاعر دفينّة. ونحن عادة نتبنى هذه الأفكار والمشاعر كسمات لا تقبل المناقشة، لا تلك فيها ولا تخصصها للتحقق من صحتها، ثم فمن أصعب الأمور أن يكشف المرء تحيزاتنا الخاصة التي يحملها معه كسمات، وهذه المواقف المسبقة مواقف شخصية أو ذاتية أو موضوعية، وهنا يدرك المؤلف تعريض كارل موير Karl Popper للموقف العلمي بأنه ذلك خطأ، الذي توجد طريقة لإثبات إذا كان خاطئاً، ومن ثم فكثير ما يهمل الباحث على الظاهرة محل البحث، لا يمكن اعتباره من قبيل الكلام العلمي.

وهذا الإقدام لشعر وأفكار وتحيزات مسبقة على الظاهرة التي نقوم بتحليلها وما يتركب عليه من تأثيرات على نتائج البحث، يبدو وكأنه أمر حمس لا شكائ منه، على الأخص في العلوم الاجتماعية، ولعله أيضاً أمر حمس على أي علم من العلوم؛ بل في ذلك العلوم الأكثر انضباطاً وموضوعية، ومن ثم فالملحوظ في البحث العلمي هي غياب التحيزات والأفكار المسبقة، فهنا يكاد يكون مستحيلاً، لكن في الوقت نفسه لا يصح أن نطلق العنان لتحيزاتنا وأهوائنا ثم نتمسح بغياب العلم، بل المطلوب فقط الاهتمام بمراجعة الأساطير العلمية والزرائع العقلية.

ويشير د. جلال إلى ظاهرة نراها في بعض الكتب والرسائل الجامعية التي تعترف في المقدمة أن الظاهرة محل البحث تعود إلى عوامل كثيرة، أو تحدث آثاراً عديدة في العوامل أو الآثار التي يناقشها البحث، ثم يهمل أصحاب هذه الكتب والرسائل هذه الحقيقة المهمة في بقية الكتاب أو الرسالة؛ وهكذا تسقط

وعند هذه النقطة يطرح السؤال نفسه : وهل المؤلف ذاته يخلو من أفكار مسبقة ومشاعر دينية، أو أهواء وتحيزات؟ والإجابة عن هذا السؤال بسيطة وواضحة للغاية. فلا أحد منا يخلو من الأهواء والتحيزات، والمؤلف في حديثه - مثلاً - عن طبقة الراسمالين ( الأغنياء ) يبدو منحازاً للغاية إلى جانب العمال ( الفقراء )، وكذلك عند كلامه عن العسكرة الغربية يبدو انحياز الشديدي لبلاد التي تعرضت لسموات طويلة من الاحتلال واستنزاف ثرواتها

سليم

وإذا رجعنا إلى العصر الذهبي للفلسفة اليونانية، سنجد أن الفيلسوفين الكبارين افلاطون وأرسطو قد أثارا قضية الملكية العامة والملكية الخاصة. ففصل افلاطون الأولى تجنباً لسبب من أسباب النزاع والمناقشة، ومال أرسطو إلى الثانية لأنها تحفز الإنسان على بذل المزيد من الجهد.

أما الدكتور جلال أمين فينطلق إلى موضوع الملكية الخاصة من خلال رؤيته الدلالية المستمدة من علمه الفيزي. وثقافته الواسعة، وخبرته الشخصية المتنوعة، فهو يذكرنا بالمعتقدات الشائعة عن الملكية الخاصة كنظام طبيعي يستجيب لحاجة أصيلة عند الإنسان، ومن ثم فهو نظام قديم بل لعله كان موجوداً منذ وجد الإنسان، وسيظل كذلك ما بقي الإنسان على الأرض. وقد تم إبداع نوع من الفلسفة على نظام الملكية تجعل الالتماء عليها بمثابة خروج على مبدأ ديني. ثم يؤكد لنا المؤلف أن كل هذه المعتقدات المتداولة غير صحيحة؛ فالملكية الخاصة نظام بشأ في التاريخ تاريخية معينة، وتغيرت صورة عبر العصور، والأرجح أن هذا النظام ستلحقه تغيرات أخرى بسبب التطور التكنولوجي، وربما أخشى اختفاء تاماً!

ويسير المؤلف ماركس ويجزل عندما قدما لتفسيرهما نشأة نظام الملكية الخاصة، وربطاً بين ظهوره، وظهور نظام الزواج. ثم بصيغة السؤال يطالبن أن نتوقف أن نطرح على مؤسسة الزواج تعبيرات مهمة بتفسير نظام الملكية الخاصة؛ ويندكرنا بإتراض معدلات الطلاق، وما طرأ من ضعف على النظرة التقليدية للزواج كعلاقة أبدية لا تنهى إلا بالوفاة، ومن ثم يرى أنه لابد ستتغير نظرتنا كذلك إلى جريمة السرقة، بل قد يصبح إرتكاب هذه الجريمة غير متصور أصلاً لا خفاء الملكية الخاصة!!! وهنا لا بد أن أعلل بوضوح عن

وكأنما سموت غدا، فتصور أننا إذا لم نحصل على السلعة التي نلها نكون لننا فيها مسممة، وأحياناً نتصرف بالعكس بالصبر، أي كما لو كنا نعيش إلى الأبد. فنستمر في تأجيل الاستهلاك، على أمل أن نستمتع به في المستقبل، ثم نصابنا بان الصرصة المتاحة لهذا الاستمتاع قد ضاعت، بالمرض أو الشيخوخة أو الموت؛ ومن ثم فمن الحماسة أن نتخذ قرارات الاستهلاك نفرض أننا نموت غداً أو أننا نعيش إلى الأبد.

ويحتج المؤلف في بعض الأحيان إلى نعمة ساهرة، وهي بالفعل شقيقة ومعمرة ولكنها تقوده - فيما يرى - إلى المبالغة التي تتجاوز الحقيقة، إذ يقول مثلاً : إن الإغناء الذي أصبح يصيب المستهلك (أو المستهلكة) وقد عدا (أو عادت) من رحلة الاستهلاك كثيراً ما يزيد على الإغناء الذي يصيب الرجل العامل أو المرأة العاملة عند عودتهما من يوم انفق في الإنتاج. وهذه بالتأكيد مغالاة ومبالغة، وإن صدقت في بعض الأحيان، فتستعير عن إسماعيل واضح إلى طبقة عالية جداً، لا تعمل إلا في أحواء من الرفاهية المطلقة

وقد داب الكتاب الاشتراكيون على الكلام عن الاستغلال، وكأنه يتمثل فقط في علاقة المنتج الراسمال بالعمال، ولم يشر أكثرهم إلى استغلال الراسمال للمستهلك الذي يتعرض لعمليات تأثير وحداغ واسعة من وسائل الدعاية والإعلان حتى يخلص ويشتري ما قد يحتاجه، وما لا يحتاجه أيضاً!

ونمة مغالاة ومبالغة أخرى حين يقول : إن نظام التعليم يتحول الآن أكثر فأكثر، إلى نظام وظيفته تخريج (المستهلك الكفء) الذي يتطلع إلى نفس ما يتطلع إليه المجتمع بأسره، وقد لا يبعد العمل ولكنه يجهد الاستغلال والتمتع بالبحث، وهنا نساء، إن أي نظام تعليم يتخلى عن أهدافه - كما فهمت - بقصد نظم التعليم جميعاً، فهل يمكن أن نضم نظام التعليم عندما عدا أي نظام للتعليم في أي دولة متقدمة؟! ويشير المؤلف إلى ظاهرة شديدة للتأمل، وهي وجود أعداد متعاظمة من الناس قد أصبحوا يحصلون على دخول كبيرة جداً لا تتناسب على الإطلاق مع ما يسهونونه من إنتاج؛ فشمس عصرى، يجيد الحديث في المحلات، ويحسن اختيار ملابس وطعامه، ويتقن الكلمات الختامية في التجمعات، ويعرف أكثر من لغة، ولا يتساهل عن الهدف مما يعمل، ويرسل أباطفاله إلى مدارس أجنبية، سوف يدعى إلى كثير من المؤتمرات، يصرف النظر عما إذا كان لديه شيء أو مال



تكون أفضل، بسبب هذه البراعة نفسها. مما يقدمه علماء الاقتصاد. وهذه ملاحظة رائعة، ولكن برغم استخدام المؤلف لمصطلح "قد، مرتين إلا أن فكرة أصلية إجابات الطلاب الجدد على إجابات المعلماء أمر يحمل قدراً من المبرخية. فيما يرى - أكثر مما يحمل من دقة العلم!

إن إلى الاقتصادي يصر على تحديد هدف واحد ينطبق على جميع صور الاستهلاك، وهو : تحقيق أكبر قدر من النعمة أو أقصى قدر من الإشباع، بينما إجابات التلاميذ إلى الهدف يختلف من سلعة لأخرى. وهو - كما يرى المؤلف - أفضل! أما تعريف عالم الاقتصاد فريد بالغة العمومية وخالياً من المصون!! ثم يؤكد المؤلف على أن المستهلك في الواقع أبعد ما يكون عن صورة "المستهلك الرشيد" الذي يفترضه الاقتصادي ويشير. جلال إلى ملاحظة ثاقبة تخص السلوك البشري عام، وهي أننا نتصرف أحياناً كما يتصرف الأطفال الذين لا يستطيعون تأجيل استهلاكهم إلى الغد،

اختلافه النام مع تصورات المؤلف المستقبلية. وكذلك مع رأيه القائم على أفكار مسبقة ومشاعر دينية، وتحيز واضح من ناحيته تجاه الفكر اليساري، ولا أنكر أيضاً - أفكاره المسبقة، ومشاعري الدفينة، وتحيز واضحاً من ناحيته تجاه الفكر الديني القائم على احترام الملكية الخاصة، والمجرم لعل السرقة، والداعى إلى تقديس مؤسسة الزواج

يقول المؤلف : لاحظت على تلاميذي هي نغمة عهدهم بدراسة الاقتصاد، وقبل أن يتعرضوا لأي نوع من غسيل المخ الذي يتعرضون له بالتدريج مع تقدم دراستهم لهذا العلم، أنهم في هذه المرحلة المبكرة من دراستهم يتمتعون بقدر عال من البراءة والاستعداد لاستلام المبرهنة بدلاً من ترديد ما سبق لهم تعلمه، وأنهم لذلك قد يحطون إجابات عن الأسئلة التي توجه إليهم، قد

## تعقيبات في الدفاع عن الاقتصاديين

ويؤكد د. جلال على ملاحظة شديدة الأهمية، وهي أن زيادة الدخل القومي، أي التنمية الاقتصادية، ليست بالشرط الكافي ولا الضروري لحل مشكلة فقر العراق. فالتنمية الاقتصادية دون غيرها، الأغنياء فقط دون أي تحسن في أحوال الفقراء، وقد تحسن أحوال الفقراء على حساب الأغنياء، ودون أي زيادة في الدخل القومي.



ولهم ظاهرة الفقر في البلاد المتخلفة لاند من النظر إلى طبيعة علاقاتها مع الدول المتقدمة، وقد اهتم المؤلف بنباي أثر التدخلات الخارجية على استمرار مستويات الفقر في الدول النامية، فالنظام الاستعماري القديم قد حل محله نظام جديد، حيث لا تزال بوابع الاستعمار التقليدية قائمة، فمازال الحصول على المواد الأولية، بالخصوص، وعلى كذا العمل البشري، وعلى مجالات محورية لا استمرار فائض رؤوس الأموال كل هذه البواعث مستمرة في العلاقة بين البلاد الأكثر تقدما والأقل تقدما، مع الأهمية النسبية للوصول إلى أسواق جديدة لتصريف فوائض السلع المنتجة في البلاد المتقدمة، وهذه السلع تطورت كثيرا جدا، من السيارات الخاصة والسيارات الفاخرة وأدوات التجميل إلى الأسلحة ومختلف الآلات والأجهزة الحديثة. ومن ثم أصبح تحقيق زيادة في متوسط الدخل في البلاد المتخلفة شرطا لاستمرار معدل النمو المرتفع داخل الدول المتقدمة.

ومن هنا لاند من انتشار ظاهرة التفرغ، لكتاسبات التنمية، ولكن الأكثر فائدة في حالة كثير من البلاد المتخلفة الاهتمام بالتحسين التعليمي والقضاء على الفساد، وتحقيق استقلال سياسي واقتصادي.

فند بحث مشكلة الفقر في بلادنا لا يصح - فيما أرى - أن نركز فقط على الأسباب والعوامل المرتبطة على التدخلات الخارجية، وشمه امتية داخلية كثيرة، وصحيح أن تراكم رأس المال شرط ضروري من شروط التنمية، ولكن الأكثر فائدة في حالة كثير من البلاد المتخلفة الاهتمام بالتحسين التعليمي والقضاء على الفساد، وتحقيق استقلال سياسي واقتصادي.

فند بحث مشكلة الفقر في بلادنا لا يصح - فيما أرى - أن نركز فقط على الأسباب والعوامل المرتبطة على التدخلات الخارجية، وشمه امتية داخلية كثيرة، وصحيح أن تراكم رأس المال شرط ضروري من شروط التنمية، ولكن الأكثر فائدة في حالة كثير من البلاد المتخلفة الاهتمام بالتحسين التعليمي والقضاء على الفساد، وتحقيق استقلال سياسي واقتصادي.

الذي يخلق العرض، ويخلق المؤلف على هذا التناقض بقوله، «الأرجح أن رغبة تجديده في الوصول إلى نتائج عملية معينة، دفعت الاقتصاديين إلى التحيز لسياسة أو فلسفة اقتصادية دون غيرها. وأن هذا التحيز هو الذي فهمهم إلى تبني نظرية معينة تؤدي منطقيا إلى اتخاذ هذه السياسات الاقتصادية المضللة». ويشير المؤلف إلى تكرار ظاهرة حدوث انقلاب عسكري أو سياسي في دولة بعد أخرى من دول العالم الثالث، يظهر بعد حدوثه أنه أتى لحساب شركات عملاقة ترتعب في وضع يدها على بعض الأصول، أو توجيه السياسة الاقتصادية إلى صالحها. فشمه اسبقية للمصالح العملية على التفكير النظري. أو اسبقية للأهواء على العلم.



ولعل من أجمل وأهم فصول الكتاب تلك التي تتناول مشكلة الفقر، وإساليب التنمية الاقتصادية، وتوزيع الدخل، ويعرض الكتاب صورتين للفقر، الأولى: هي العجز عن إشباع الحاجات الضرورية، والأخرى: الشعور بالحرمان بالمقارنة بأشخاص آخرين. ومنذ القدم الحضارات ومع ما تحت عليه الأنبياء تتدخل الدولة لإجبار الأغنياء على التنازل عن جزء من ماله لتوزيعه على الفقراء. أما ماركس وتباعه فندعوا الفقراء إلى الثورة، لأن الراسمالين لن يتنازلوا عن ملكياتهم إلا بالقوة.

فمع قيام الثورة الصناعية وظهور علم الاقتصاد، انحاز الاقتصاديون لصالح مالكي الثروة، واستتر هذا التحيز برداء العلم، ومن ثم ظهر في مواجهم الفكر الاقتصادي الماركسي الذي لم يكن أقل تحيزا ولا أقرب إلى العلم. وفي نظر المؤلف لا تستحق أي من المنطقتين، الاقتصادية الاشتراكية، أو الرأسمالية، أن توصف بالعلمية.

حين قال: «إن المؤلف ذو قيمة عالية لا لأن الناس يعصون في الماء حننا عنه، بل إن الناس يعصون في الماء حننا عنه لأنه ذو قيمة عالية». فتحييد ضمن السلفة لا يقا فقط بمقابلة الإنتاج، إذ شمة تفسير شخصي أو نفسي للقيمة. ويشير د. جلال إلى ملاحظة مهمة خاصة بافتتان كثير من الاقتصاديين لعلم الرياضيات، واستناد الميل إلى تقديم تفسيرات للسلوك الاقتصادي في صياغة رياضية، لإكساب نظريتهم مسحة مما تتمتع به العلوم الطبيعية من درجة عالية من الدقة واليقين، ومن القدرة على التعبير عن قوانينها تعبيرا رياضيا. ومن ثم فكثيرا ما توضع معادلات رياضية، وجدول حسابية، ورسوم بيانية لا تكلف لتضفي أي شيء إلى معلوماتنا. لا تقدم لنا أي الحقيقة سوى مجموعة من الديديتات!

ثم يذكر المؤلف عبارة كاشفة عن معارضة حين يقول، «من الممكن أن تحول بقاء إلى اقتصادي بتقنيته كلمتين فقط: العرض والطلب». وفي هذا التعبير الساحر يكمن راض لهيمنة فكرة السوق على تفكير الكثير من الاقتصاديين. إذ إن جدلية نظرية العرض والطلب مرتجلة باستقلال كل من جانبي العرض والعرض عن الآخر، وقد تطور الأمر فأصبح أحدهما قابعا للآخر، ومن ثم لاند من إعادة صياغة نظرية العرض لتؤكد على جانب المنتج والبائع وتمهل جانب الطلب.



وشمة ما يعرف بفائض ساي Say هي الأسواق، ويمكن تلخيصه في هذه العبارة: «العرض يخلق الطلب». وقد وصفه جون ستورنار ميل بأنه: «أشد مبادئ الاقتصاد صوحا وأقربها إلى الحقيقة»، حتى جاء جون مينارد كينز J. m. keynes في 1933م. وقلب الأمر رأسا على عقب. إذ قال: «إن الطلب هو

يقوله ولعده من الرحلات مدهوشه التكليف، ولن يكون هناك حد أقصى لما يمكن أن يصل إليه راتبه، بصرف النظر عما يؤديه من عمل». وتأمل التوسع الهائل في عدد موظفي الهيئات الدولية، ولتشار مرتباتهم بما يؤديونه بالعلم من عمل. أو فلتأمل ركاب الدرجة الأولى في الطائرات أو نزلاء الفنادق الذين لم يدفعوا شيئا من تكاليف سفرهم أو إقامتهم، وعدد المؤتمرات التي تعقد في كل عواصم العالم دون أن تنتهي إلى شيء، أو بدلات السفر الشخصية التي يحصل عليها موظفو المولة الكبرى أو ممثلو الشركات في تنقلاتهم اليومية. إن القدرة الحقيقية التي يبرزوها هؤلاء جميعا ليست هي القدرة على الإنجاح بل هي القدرة على الاستهلاك! والحقيقة أن هذه الظاهرة العجيبة جدية براءة مستقلة تقودنا إلى فهمها وتفسيرها بطريقة علمية دقيقة.



بعد أرسطو نحو ستة عشر قرنا غير القديس توما الأكويني (T. Aquinas) عن رايه في بعض الأمور الاقتصادية، وميز بين الثمن العدل وغير العدل، وبين الأمر العادل وغير العدل، ومناقشته هذه الأمور على رايه الأخلاقي، حتى، وإن التحير كامل للجانبي الأخلاقي. ثم جاء الفيلسوف جون ستورنار ميل John Stewart Mill الذي اعتبر أن علم الاقتصاد لا يمكن تصور وجوده ما لم يعترض وجود نظام المنافسة الكاملة الذي يؤدي إلى تفاعل كل من العرض والطلب للوصول إلى الأمان الحقيقية للسلع والخدمات. أما ماركس (K. Marx) فقد اعتبر أن الاقتصاديين التقليديين مجرد أبقواق للرأسمالية، وراي أن مدعوم، إلى الحرية الاقتصادية مجرد دفاع عن مصالح البرجوازية، وهكذا سار على خطى ريكاردو (Ricardo) في اعتبار العمل البشري هو المحدد للثمن، وفي القول بأن اختلاف ثمن سلعتين لا يفسر إلا باختلاف كمية العمل الذي يحتاجه إنتاج كل منهما.

وهذا التصور يتفق أيضا مع الاعتبارات الأخلاقية، ويتضمن إثبات حق العمال ذوي شريهم في الحصول على كل ما ينتج من عملهم. وهذه الإضافات تتمثل في نظرية ماركس في مفهوم «فائض القيمة».

ولعل أبلغ رد على هذا التصور - الجني على التحيز واضح - جاء من خلال تعبير مدعش لأحد الاقتصاديين الحديثين

لعل أهمها هو الاستبداد السياسي، وثمة  
شروات البلاد لصالح طبقة الحكام  
وإبائهم، وتفتقر الفساد بشكل غير  
مستوفى، وضعف أو انعدام القدرات  
الإدارية على يتحكمون ويديرون دفة  
الحكم على هواهم. وقد شاهدنا  
مجتمعات أخرى تتقلب على المؤثرات  
الخارجية، وتنهض وتنقلب من العقر إلى  
الغنى في خلال عقد واحد، أو عقدين  
من الزمن.

وإذ رجعنا إلى سنوات السبعينيات والستينيات، نلاحظ أن البنك الدولي وصندوق النقد الدوليين كانا متفقين على أن الدول النامية في ذلك الوقت بحاجة إلى حلول سريعة. وقد وافق البنك الدولي على أن التنمية في هذا المجال لا يمكن أن تتم إلا من خلال الإصلاحات الاقتصادية. وقد وافق البنك الدولي على أن التنمية في هذا المجال لا يمكن أن تتم إلا من خلال الإصلاحات الاقتصادية. وقد وافق البنك الدولي على أن التنمية في هذا المجال لا يمكن أن تتم إلا من خلال الإصلاحات الاقتصادية.

وهنا يحسن بنا أن نشير إلى ما قد يفرضه الواقع بقوة على مختلف نظريات الفكر الاقتصادي، كما حدث في الأزمة الاقتصادية العالمية في الثلاثينيات، وكما يحدث الآن بصعل الأزمة المالية الأمريكية، والتي تلقى بظلالها القاتمة على اقتصاديات العالم أجمع.

في محاصرة ألقاها ستانلي فيشر (Stanley Fischer) كبير الاقتصاديين في صندوق النقد الدولي، جاء ذكر لسؤال مهم: هل توجد نظرية اقتصادية

واحدة، يجمع كل الاقتصاديين على واحدة، دون أن تكون بينهما وصورة تتصلب حاصل؟ وإذا يعني أن النظريات الاقتصادية ليست أكثر من تعبير عن خبير شخصي، فلابد أن يختلف حولها الاقتصاديون باختلاف تعبيراتهم، وإذا كان ذلك فيشر أنكره، وقال إن لديه الكثير من الأمثلة على أن نظريات اقتصادية ليست تتصلب حاصل، ويجمع الاقتصاديون على صحتها، وهي مقدمة هذه النظريات نظرية الخواص النسبية في التجارة الدولية، فقد حاول الدكتور جلال عبد صفحات عدة أن يبين لنا أن هذه النظرية ما هي إلا تعبير حاصل من أحجية، ومن ناحية أخرى فإن الاقتصاديين غير متفقين على صحتها وأحد أن يوضح هنا نتالصل مع فكرة كثيرا ما ترددهن عن الأملاق أو الاختلاف بين الاقتصاديين، وتأتي مجرد اختلافهم، أو عدم اتفاقهم، يعني ضمنا أنهم على خطأ، وهذه هي الحقيقة نظرية هي صالحة للفكر الاقتصادي، والنظريات الاقتصادية المختلفة، فمنها يتناهى - على سبيل المثال - ما قاله افلاطون مع ما قبله أرسطو، هنا يعني انهم على خطأ؟ أو أحدهما بالضرورة على خطأ؟ وهل هناك اتفاق الفلاسفة جميعا على فلسفة واحدة يعني فساد كل ما قدموه لنا، أو ضلال كل ما وصلوا إليه؟

ويجئ المؤ  
الأحيان إلى  
وهي بالفعل شقة و  
فيما أرى - !  
التي تتجـ

الفكر الإنساني العظيم القابل لاحتواء  
شئى الاختلافات والمتضادات والمتناقضات  
معا

ومن الموضوعات الحديثة نسبياً في علم الاقتصاد، موضوع تحليل النفقات وتنافع، (Cost / Benefit Analysis) أو دراسة الجدوى (Feasibility Study) فلذلك على صلاحية أي مشروع يتم حصر كل نتائجه، وبمختلف أنواعها، وتقييمها بالأرقام، وجمعها، وحصر كل النتائج التي يمكن تحقيقها منه، بجميع أنواعها، وتقييمها بالأرقام، وجمعها، ثم مقارنة مجموع النفقات بمجموع المنافع، فإذا زادت المنافع على النفقات اعتبر المشروع مربحاً.

سأفي بعض  
مة ساخرة،  
ميرة، ولكنها تقوده -  
المبالغة  
الحقيقة

الحديثة. والمسئولة عن احتفاظها  
الاخلاقي الراهن. وهذه النهاية للكتاب  
إبما تعنى صمنا انحيارا واصحا من  
جانب المؤلف نحو الاعتبارات الاخلاقية

وفي النهاية أحمد أبو عبيد عن  
سعادتي بقراءة ودراسة هذا الكتاب المثير  
للتنافس. والذي يعد علامة بارزة في إنتاج  
مفكرينا الكبير الدكتور جلال أمين. كما  
يعد إضافة حقيقية لكل الباحثين  
والدارسين لعلم الاقتصاد بمختلف  
ممارسه

وهذا الكتاب من ناحية أخرى - يعبر  
كتاباً في الثقافة الحديثة، فهو يعرض  
ويقدم مختلف الحركات الاقتصادية  
والعلمية خلال عصر النهضة وحتى  
العصر الحديث والمعاصر والكتاب  
محمل بحصيلة رؤية ثقافية واسعة  
وعميقة، ومن ثم فهو ضروري ومهم لكل  
من يريد أن يهيئ ويدرك، ويتعلم الكثير  
عن حركات التطور المعرفي، والعلمي،  
والاقتصادي، والسياسي، والثقافي عبر

عقدوا وقرروا عدة،  
لا الكاتب مفكر موسوعي. لا  
يحصرنه في داخل الفكر الاقتصادي  
وحده، ولكنه ينطلق إلى آفاق واسعة  
للفكر الإنساني بمختلف تجلياته، فلا  
يجد غضاظة - مثلا - في الاستشهاد  
بجرواية أدبية لإبراز حقيقة اقتصادية.  
ويكاد لا يوجد كتاب من الكتب المهمة  
التي اثرت وبغيرت وحركت العقول منذ  
عصر النهضة، وحتى الآن، ولم تهم  
الإشارة إليه، وتقديمه بساطة  
وضوح للقارئ غير المتخصص.

وأرى أن شهابنا في أشد الحاجة  
للتعلم من هذه الروح النقدية المتأففة،  
والتي تسيطر على كل صفحة من  
صمحات هذا الكتاب القيم. إذ إن  
نظاما تعليمي العقيم لا يقدم لهم  
سوى مواد صماء للحفظ والتلقين. فلا  
يؤهلهم للتفكير، ولا إعمال الفكر، ولا  
شخص ما يعرض عليهم بدقة وتحليله  
ونقده.

والكتاب يتميز بلمة أدبية بديعة، بعيدة تماماً عن جفاف اللغة العلمية التي اعتدنا عليها في الجوانب والدراسات الاقتصادية، فألفه لنا شديدة الجمال والوصف، والحادية، تأخذ بيد القارئ الهادي لتعلم ببساطة من أستاذ القارئ عدة سنوات طويلة في البحث والدراس والفهم، ثم خرج علينا ليقدم لنا خلاصة عمله الفخير، وفنائه الواسع، وخبرته الحياتية، ورويته الخاصة بتواضع وبساطة وحكمة. ■

# عن ماذا يبحث الخليجيون والأوربيون في مصر؟

## ليسلاون

والذهاب إلى الطحاسم والمسارح والديسكوتيك ميرة ليل هنا. ومن الممكن للمرء أن يذهب مع عائلته في العوامات التي تبهر في النيل لمشاهدة الرافعات. إضافة إلى الفرجة على العرض الروسي، حيث مجموعة من خمس أو ست حسان من الكتلة الشرقية يقفن على خصورهن سيوراً كالأسود فوق جوارب مخرومة، وأغطية للراس صنعت من الريش. ويؤدين رقصة متزامنة لافتة في مزيج من الحان عربية وغربية. ربما لا يروى المرء الأهرامات لكنه يراها من البعيد، من شارع الهمد الذي يقصده البشر وكأنهم يمشون الأمكنة القديمة في رحلة حج. وتتسابق الملاهي الليلية والكباريهات

موكب تشبيها، ويكي، الست، العالم العربي برمت. مصر هذه قوة سياسية كان على رأس ديبلوماسيتها وزير خارجية واضح وصريح (يتراس الآن الجامعة العربية) اعتاد أن يتوسط في النزاعات الإقليمية. وثمة مطرب شفى حق نجومية نين ليلة وضحاها الوحيدة، أنا بكرو إسرائيل، نذكرنا مصر هذه برؤى الرافعات الشرفيات الضائبات اللواتي يرقصن بأزياء لامعة تتلألأ مثل سطح نهر النيل في الليل عندما يعكس أضواء القاهرة اللونة.

وهناك يرى المرء دينيا الرافضة الجميلة ترصع قدمها الملونة، ماسة

الأفضل أن يخلد للنوم باكراً ويستيقظ مع طلوع الشمس، كي يتسنى له أن يرى النصب والعالم التاريخية صباحاً قبل أن تمكس الصحراء الزجاجية أضحة الشمس التي تبهر الأنياس وتجعله ينوي في قبض الظهيرة. لكن المساءات تختلف، فهي مكرسة للجولات في خان الخليلي والسوق الذي يشبه متاهة، هناك يمكن للمرء أن يشتري الحلوى الذهبية والفضية وأن يكتب اسمه عليها بالهبروغليزية. ويساوم أصحاب المحلات على التذكارات التي يصنعها فنانون محليون، شأن الصناديق والعلب الرصعة بأصداق تسمى اللانق، أو الزهور التي صنعت من المرمر، أو الفوارير الزجاجية

منها ٣ = لتخيل مصريين. الأولى منهما أرض غامضة غنيضة، صحراء فضيحة متألثة شطرها شق ضيق امتلا أخضراراً متفجراً قطعها من الشمال إلى الجنوب، وعلى طول أهداب وادي النيل الخصيب اسلقت آثار حضارات عريقة، تعود لأكثر من خمس الفيات، صالت أهراماتها ومعابدها وأضرحتنا عبر القرون الرمال والمناخ الصحراوي الجاف. تضم الأهرامات ممرات خفية ومسالك منخفضة لا يمكن للمرء عبورها إلا بنفسه حيث تنفتح إلى حجرات خبيئة داخلية فيها توابيت هازغة، أما الهول العتيقة فحسرها المسلات وتماثيل أود الهول. وهناك يرى المرء أضحة الشمس التي جمدها

## سياحة النيل .. وسياحة النصار

المشروع على جانبي الشارع الطويل الذي يمتد إلى مسافة طويلة من القاهرة إلى الأهرامات التي تشرع أبوابها من ساعات المساء المتأخرة حتى السادسة أو السابعة من الصباح. وهناك يجد الزائران بأعجابههم رافضتهم المضلة ويمطرونها بالتقود، ويمنون برزمة من نقود من فئة العشرة جنيهات على مدير الصالة الذي يدب فيهم الحماس من خلال تلوينه بالتقود. ليسمح لهم أخيراً بأن يتدفقوا ويتنقروا على جسدها وهي ترقص. لكن النادل لهم بالمرصاد حيث يجمعهم في الوقت الذي تخطو فيه إلى طولة المعجين وتكرهم بإستامعة وإيماءة. ويحين وقت العادة عندما تبدأ الشمس تنشر خيوطها الأولى. ويتفكّن التوارب إلى فنادقهم، في الوقت الذي تتلّ في حفلات السباح الذين قدموا من الغرب الداهين إلى أهرامات الجيزة أو سفارة أو إلى المتحف المصري. تُعد الأهرامات أروع إسماتمات الخليجين الذين يزورون مصر. فالعرب عموماً يتمتعون بصور وحيات ماعصرة تمثل في حفلات السباح التي تأسف واشتهرت بترويجها للمغنين والغناء والرافعات الشرقيات والرقص السيمفا في تلك الأجزاء من العالم العربي. يعرف عن السياح

وزنها أربعة فراريد. أشيع أن أحد الأثرياء من المعجين بها، أهداها تلك المسلة التي شيكها بنحتم البسته أصبح قدمها، أذراء له.



في مصر هذه، الصيف هو الوقت المناسب للزيارة، إذ تأتي الحشود من كل أرجاء العالم العربي إلى القاهرة طلباً لقضاء العطلات والإجازات. المهارات هنا مضجرة وفائضة ما يجعل المرء يفضيها في النوم يستيقظ في وقت متأخر من الظهيرة و يذهب إلى المقاهي المنتشرة في حادق الصناديق من أجل وجبة إفطار تحتوي على الفول المحمص الساخن، ويجلس هناك ويراقب الصبايا اللواتي يتجرتن بين الطولات بينما يسترخي يدخن الشيشة (الترجيلة) التي تنبعث منها رائحة التفاح. تنهض مصر هذه من غفوتها بعد الغروب، عندما يتبدد اللون الأسمر لهدب المدينة العبرية ويتحول إلى ليل عذب يارب ذي لون نيلي مخملي. ترقرقه بقع من ضوء ينبعث من مصابيح الشوارع وأبنية تضم المكاتب الحكومية الصملافة ومن لا فاستح الحلات الكهربائية، كما أن المساء طوال الليل

الدقيقة المصنوعة دينياً وتحوي ريوتا عصرية في ذات الأريج الذي عطر أجساد فتريتي. وكليوبالرا على دمة الباعة.

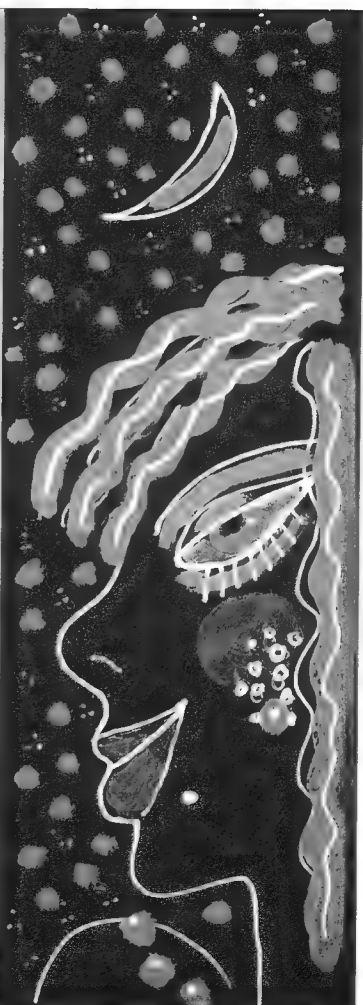
أما مصر الأخرى فهي نابضة بالحيوة، ما اطراها العصرية سوى خلفية لدراها أكثر حداثة. تُعد الأهرامات الواقعة على أطراف القاهرة أمكنة لقاء رومانسية، يراها المرء في العديد من الأفلام المصرية حيث يجلس العشاق القبل على كومات من أبحار منخفضة، في مصر هذه، تقبع القاهرة القلب النابض للعالم العربي، وهي مثل هوليود ونيويورك، تتحول إلى مدينة كبيرة مغيرة مكثفة يلفظها أكثر من خمسة عشر مليون نسمة. أحياء المهندسين والزمالك الأنيقة التي تقع بجوار القاهرة، يقي البشر العاديون منهم مفتوحة عليهم يرون ممثلاً أو مغنيا مشهوراً. لايد أن الناس يتذكرون أن عمر الشريف ومنذ أربعين عاماً خلت، ما بالمشلة المصرية فاتت حماية حتى أنه اعتنق الإسلام ليتزوج بها. لكنهما انفصلا بعد ذلك بسبب ما قيل عن إدمانه الخمر. أما الآن فيعكث عمر الشريف في شقة في حي المهندسين بعد أن تقاعد. عندما توقيت أم كلثوم في عام ١٩٧٥ اعتنقت الملايين في الشوارع تمشي أكثر من ميل في

الحجر، كما تهيمس التماثيل الجرائنية الموهلة للووك وملكات قسوا منذ أمد طويل، على قاعات واسعة ترد صدى معابد في الجنوب، للمرء أن يعبس هذه الآثار التي هيمنت عليها أعمدة جيزة رصمتها نقوش أزارار الموتى، ويرد صدى طرق عقبيه على الأرض الحجرية ويتخيل بأنها كانت قبوراً لمرق من سحرة صالليق انقرض منذ أمد بعيد، كان أولئك البشر العريقين معرفة هازرة ودقيقة بمسلم الضلك، فقد بنوا نصهم ومعالهم لتتماشى مع الشمس والاندحور في الانقلاب الشمسي والاعتدال الربيعي.

يسكن أرض مصر الحاضر أبناء سلالات أولئك الفارضة، الشتاء هو الوقت الأمثل لزيارة تلك الآثار، لكن إن رغب المرء بزيارتها صيفاً، فمن تصدّر الدراسة قريبا عن دار قدمي لطباعة والنشر - دمشق بعنوان: «أهرامات وشوارع الهرم: أنثروبولوجيا الصراع الأوروبي والخليجية في مصر»

ترجمة: صحر الحاج حسير  
مراجعة: زياد مني









« كنت في العشرين من العمر عندما حبرسي والى ما سوف نرجس الى المملكة السعودية في ذلك الوقت كتب حبل العنق العربي » اليست هي السلاذ حيث مكة اذادعوا سور مكة . كان علي والدي ان يشرح لي عن مكة مكان للمسلم فقط . لكن اعراف هذه الحقيقة على سكان حديد وعريب كنية وما سانه كنت حرة ومصر على الدهاب الى مكان حديد وعريب كنية وما سانه عريب واحسن . سرعان ما اصبح مالها درست عن السعودية والاسلام وعرفت الكثير منهما . كما حصلت على عمل في مدرسة لتعليمات صباك و منتف محصور . جيوغرافية مع احدى السيدات السعوديات . في الوقت الذي كانت تدب فيه عروق كبيرة بيننا فيها يتصل بالدين والثقافة . كان هناك الكثير مما يشترك به . فقد نشأت في بيئة مسيحية معارضة تشبه بيئة الاسلام في العديد من التواحي . صدرت بعض ريميلات وطائيات صديقاتي حبيبات ونشيا على اتصال حتى عندما نأبذرت لمتكبة وذهبت إلى موشيريل لأهني تلميضي الحامضي وتخصيص رجعت ثوبارة و لدى في حدة . ومن خلال طالباتي السعوديات نمت اهتماما كادهايا بالخرقة التي يتأخذ فيها الشأن والشايات السعوديون سر غير ههنا يتحدون معايير حول أنثيا . الثقافية

عندما مضيت إلى الجامعة . أرتدت الحوزة وبعثي في مكان ما من العالم العربي . لكنني لم أعرف أين . ثم وجدت صديق مقبلة إلى مصر لادرس اللغة العربية ووقعت في حب « أم الدب » كما عمل كثيرون من قبل . في القاهرة . وجدت كل شيء تحت الشمس . فقد حفرسني تنوع القاهرة وثقافتها . كما ألهمت البشر هناك حموين برحاح قلب . اتخذت قرارى حوثنا . أقوم بعثي الأثريولوجي في القاهرة . ولأني أيضا أعرف أن العديد من أصدقائي من السعودية يهمن إنجازات الصيف هناك . بدأ في ذلك فرصة طيبة كي أدرس حاب من المجتمع والثقافة السعودية التي يتصددان حاد حدود المملكة . سرعان ما حضرت لي فكرة القيام بمشرو بحث ثريولوجي عن السياحة والسرعة العارضة لأزلام الحدود في مصر

عندما أحسست لعة في البداية . عثدت ناسي أعرف مسقت محصلة بعثي قلقد عرمت على . في حدى مقاربة بين تلمحيين وإسباح العريبي من مصر كما اعتقدت أن المارقة سندو . بل وهدفة تلمحيين يشكرو باللة والدين والثقافة . ولوسوف يضاعفون مع مصر المعاصرة . أما العريبي . فيمتدو إلى اللغة والثقافة ومثقلو بتاريخ من « عرورات الاستعمارية . ويصعب اهتمدهم على تاريخ العريبي من دون أن يولو . أي اهتمام بالحدة والمحتف في مصر . انحصار توفقت حثلافا سيمطة بين مصر . أينة وتلك الناقية على قيد الحياة . وكما هو الحال دائما . يبدو الواقع أكثر تعقيدا من الترفعات والأمال لبسطة

وبعينا من المصحح أن العريبي همون جدا بمصر العريوية . وجدت أيضا عماء المصريات القريبي الذين عثروا على التطلب على إرتباطات مهتمهم بالثقافة العريوية . ولأني اعتقت بمحورهم بالسياسة المصرية المعاصرة والنازعة القومية/العربية . كما وجدت أن المواقف حيال الروا من اللطحيين كانت متطرفة . وحلاية إلى حد ما . فاعلمد من أصدقائي صديقاتي العريبي كنوا متشككين في الأسباب التي تدفع اللطحيين إلى القدوم إلى مصر في الإجازات . لكنني كنت أعلم بحكم عارقاتي الوثيقة بصديقاتي السعوديات أن إجازاتهم في مصر لم تكن أبدا لغارسة الرذائل . عندما وضعت كتابا حول هذا . قررت أن أصور وجهات النظر جميعها على نحو متصف ومتعاطف مع كلا الطرفين

أجريت هذه الدراسة كأمريكية تمشق الفعالم العربي وعندما طرحت فكرة بشر أطروحتي تلك بالعربية . بلغت مسامحتي إقصاءا . لكن خشية انتراشي في أن مانا لو أسه هومي . ثمة أناس قالوا لي إن الكتاب سيصبح جدل وسيتبرر إصلافا لأن موسوعة الإصباحة الخليفية في مصر . لكنني اعتقد أن لقرارا سيحدون مصحح أقل كثيرا ما يتوقعون . ليس في الكتاب أسلال ولا أنمال ما يحويه فقط هو مرجع من وجهات نظر وراة و سلطات سياسية واقتصادية . وأمل أن يظهر أنا الطريقة التي تمسلا لمتحزمو كل الأراء . حتى لو لم تمبر عن وجهة نظركا . يهمني أيضا أن أكون أنس كتبت هذه الدراسة بوسعي طالانه الدول العلوم الانسانية والثقافة والشرق الأوسط . وشأن يجمع الطلاب . فلنا لازال أكسب المتعلم . والتم . ولذا أرجو من القارئ العريز أن يفرغ لي أي أخطاء أو زلات وقتها ههنا

ليسا و  
سملو - استراليا تموز ٢٠٠٨

أعيش هناك آنذاك . وكأنها شيدت لتضمحل فيما بين الثقافات . كانت للنساء خلصها حرية أوتداء ما يرغبن من دون أي إساءات أو نظرات متطفلة . عملا فيها . لذا انصرف العديد منهم إلى رياضة التنس أو إلى السياحة في مسابح المحمات . وغالبا ما كانت أسر المفترسين وهاتلاتهم تتحد فرارها بالدهاب إلى هناك عندما يصبح لديهم أطفال صغار . وهناك تترك الأم عملها في بلادها لتتصرف إلى تربية أطفالها . أما الرجال فيصطلمون مع زملائهم السعوديين . ويصحبون على صلة من خلال حوار بين ثقافي مع زملائهم . كانت الشخيرة التي يحمل فيها والدي تتلقى وجبات طعام سعودية تقليدية تحوي لحم الضأن والكسة . لقد علم السعوديون الأجانب في تقطيع شرائح اللحم وصنع كدة من الأرز باليد اليمنى من دون أن يستخدموا أي أدوات طعام قيل للأجانب إن مقشئ الخروف طعام الأطلمة المشوية والثرقة . وتذوقها بعد ضرا من شجاعة . كنت أسمع في الغالب متعريين لا يتناولون لحم الخنزير عادة يتحدون عن طرق مختلفة للنش يطلقون عليها بالإنجليزية goat grabs غير إشارة تسمى أن الطريقة من الأكل في مصر متخشرة . هناك شهدها وذكروا بالاسم من تناول مقشئ الخروف . تتميز الحياة في المملكة السعودية بفضل صامد فيما بين الجنسين . هس الوقت الذي يصل فيه الأجانب من الرجال ويقيمون علاقات اجتماعية مع زملائهم السعوديين في العمل . فهم لا يلتصقون بنساء سعوديات . كما أنهم يقعون في محظوظ السؤال عن صحة روجة السودي . فذلك يعد وقاحة حتى لو طرح السؤال بطريقة محم . هي سن السادسة يذهب صبية السعوديين وقتياتهم إلى مدارس منفصلة . وأما الرجال والنساء هناك فلا يختلفون في العمل إلا فيما ندر (وحتى في تلك الحالات الطارئة يبقون أدمر أسرا لتجنب غضب العالمة التي يرفضون الدين والتقاليد كما أن السعوديين يتجنبون الاحتكاك مع زوجات الأجانب من زملائهم في العمل ويتجنبون انخلاقا من تهذيب وبالتالي لا تتسنى للنساء الأجنيات فرصة التعرف على النساء السعوديات . بما أنهن لا يتعرضن إلى

زوجات وملاء أرواجهن في العمل . تعد النساء السعوديات لعرواحية لجميع الأجانب الذين يعملون في المملكة . كما صير عن ذلك امريكيون استخدموا عبارتين للإشارة إلى النساء السعوديات UBOS, Unidentified Black Objects أي أشياء سوداء مجهولة . أو أنهم يستخدمون عبارة « أكياس قمامة سوداء تستسى » walking black trash bags . إرداء للحياة الحريرية السوداء والطرحة اللتين تظهر بهما السعوديات في الأسواق والحالات . وما يزيد في توسيع الهوة فيما بين السعوديات والأجانب ويكرس الحواجز الثقافية التي تحول دون أي تفاعل أن القليل جدا من العريبيين من يتحدث العربية (بالفعل في الوقت الذي أشار فيه العديد من الكتاب المعروفين وعلماء الاجتماع إلى أهمية إمالة اللسان من الصندوق الأسود للثقافة والمجتمع السعوديين . ثمة مشروع آخر يعادل إظهار الثقافة السعودية إلى العلن والأجانب يتجلى في توصيف وتحليل ثقافة المفترسين الأجانب في المملكة السعودية والتعليق على تلك تغلج بها واستطرفة صوراً تتصل بأشكال اللباس الأخر السعودى (كما يتجلى ذلك في الدمي الصغيرة التي تمكها أسرواعالات المفترسين الأجانب . بمن فيهم امرئى . واتى تظهر رجلا ونساء سعوديين يرتدون لباسهم التقليدي . المؤلفة .

دات يوم وبعد وصولي إلى المملكة بوقت قصير اتصلت بي إحدى النساء الأمريكية . روجة زميل لوالدي في العمل . تعرف وهدت من السعوديات عاشت سنوات عديدة في ولاية كاليفاريا الأمريكية . كانت السيدة السعودية تبعت من مدرسة تصيد وأخرى تعلم اللغة الإنجليزية لدراسة نبات كانت هي مديرتها . تقدمت لكلا العملين . ودرست لعام كامل اللغة الإنجليزية لمتخصص الرابع والخامس والسادس . كما درست في التصوير من الصف السابع إلى الثاني ثانوي .

في ذلك العام تعرفت إلى مدرسات أخريات في المدرسة وأصبحت علاقات حميمة مع بعض طالبات قسم التصوير . الواتى كنت أكبرهن يصعب سنوات فقط . كما تعرفت إلى سوزان أيضا و هي المسؤولة عن دروس التصوير في المدرسة



الحكايات التي كنت اسمعها فناعثي بالزئمة الملاحظة الصارمة السائدة في المملكة، وجعلتني أرى بأن الجيل الأصغر من النساء والرجال، الحُرّ كان يتحدى المعايير الثقافية السائدة التي تفصل فيما بين الجنسين والتي فرضها النظام بالقوة.

لم يكفّ الشبان والشابات بالمواودة للحصول على بعض من متّع، بل أفلحوا أيضاً في التخلص من الزيجات الرقبة وفي أن يختاروا شركاهم بعلمه إرادتهم Wynn، ١٩٩٧ (تضمّن أفيال التي عالجت الصرافات الثقافية فيما بين الأجيال في المملكة السعودية التركية ١٩٨٦ - الرشيد ٢٠٠٢ الحريسي ١٩٩٤ Doumato ٢٠٠٠ واليهامي ٢٠٠٠، المولفة).

عندما انتقلت إلى الجامعة لأدرس الأنثروبولوجيا، التابنتني شكوك دائني لن أتمكن من الحصول على أدنى يمكنني من البحث العلمي والعمل الميداني في السعودية، لكنني لم أتلخ عن الفكره، فبدأت القيام بإبحاث شعوراني في السعودية، لكن موقع عملي الميداني سيكون مصر. قمت بعملية سير استكشاف للإجراءات الصيفية التي يقضيها السعوديون في مصر بوصفها نافذة مشرقة تمكنني من الدولوج إلى التغيرات والتحويلات التي طرأت على الأجيال في الثقافة السعودية والاستقصاء إلى ألى درجة دعم فيها لديهم أو انصرفوا عنها في أثناء وجودهم في إجازاتهم في بلد عربي أكثر ليبرالية.

عندما حاولت أن أعثر على أدب أكاديمي عربي يتحدث عن السياحة العربية في مصر، ألاحظت، إذ لم يكن سوى القليل من هذا الموضوع، اعتقدت للوهلة الأولى أن مرء ذلك هو قلة الكتابات نسبياً في العلوم الاجتماعية حول المملكة السعودية بشكل عام. وهي الوقت الذي يوجد فيه كثير من الاختصاصيين، الذين كتبوا عن مصر، ليس هناك سوى حفنة من علماء الاجتماع من كتب عن المملكة السعودية، وقلّة منهم قامت ببحوث في البلاد وحسب فيما يتصل بالفرغريسي الذين يتحدثون العربية، فإن الفحات المحلية في السعودية ليست متوفرة إلا على نطاق محدود جداً، (بعض أفضل الدراسات في العلوم الاجتماعية التي

إلى العصر. ما جعله يعلق على شعره انذاك الذي جعله يبدو وكأنه يرقى قدم من منطقة جيزان) مقاطعة في جنوبي غربي السعودية). يظهر عمرى الصورة وهو متكئ على خزائنه في غرفته في الفندق يساقفني متصالبتين كيفما اتفق عند الكاحلين، مطلقاً ابتسامة عريضة. أما عبد الله فيبدو على سيمانه الجدد وكسوى وجهه ملامح غطرسه، كان شعره طويلاً في مؤخرة رأسه وقصيراً في المقدمة وعلى الجانبين ووسم وجهه شرايان رفيحان. كان يرتدي قميصاً حريريّاً من نوع فيرراتشي Versace موزن بالأحمر والأصفر والأخضر. من الواضح في الصورة أنه كان يهزم بالخروج، انهلستني في الاختلافات بين هذه الصورة وتلك التي للسياح الغربيين آخرهم في زوارا مصر. فصور أولئك الآخرين تبرز الأهرامات وأدو الهول والمعابد المرعونية. أما الصور التي بحوزة عمر فلم تظهر أي من النصب والمعالم التاريخية. هناك فقط الفنادق والمساح.

حكى لي عمر عن قصص مذهبة في أثناء إجازته في مصر. وكنت سمعت حكايات كانت في دهشة أكثر في أثناء وجودي في السعودية، لكنني في هذه المرة جات على لسان النخبة الليبرالية في الطبقتين الوسطى والعليا. (هي الطرف الآخر كانت صديقتي نجوى، وهي امرأة سعودية محافظة متزمنة تغطي وجهها بخمار وطرحه، وحتى عينيها لم تسلم من اللؤلؤ الأصفر، فقد قبعتا تحت نظارة سوداء خفيفة أنظار الرجال العرياء المتطمعة). لقد زرعتم

اصداقاً آخرين أو في المراكز التجارية في جدة، أو على الشواطئ في منطقة «ابحر»، وهي منتجع مائي يقع إلى الغرب من جدة الأرض ملكية خاصة مما يمنح المطاوعة، الشرطة الدينية، من أن يفرضوا فضلاً صارماً بين الحنسين كما هو الأمر في امكنة أخرى.

ثمة مكان آخر يلتقي فيه شبان وشابات الملكة ويتواعدون في إجازات الصيف، إنها القاهرة. وفي الغالب يخطط الأصدقاء السعوديون لإجازاتهم من أجل أن يلتقي بعضهم ببعض خارج البلاد. مصر هي المكان الذي يتكثرون من التردد عليه حيث يذهبون إلى القاهرة والإسكندرية، وأحياناً إلى شواطئ الفردقة.

كانت مريم قد أمضت جانباً من الصيف مع خطيبها في مصر، كما التقت هناك اصداقاً وصديقات لها عرفتهم في جدة. واحدة من صديقات مريم التقت بصاحبها، أصبح فيما بعد خطيبها، أثناء إجازة في القاهرة. ما كنت أسمعه أفهنتني، سألت صديقاتي من السعوديات ما كن يعلنه في مصر، وما هي الشباب التي كن يلبسمنها (أو كن يرتديس العبايات والطرحات؟) وكيف كن يلتقن أصحابهن من الرجال. وكيف يتدمن ويهرين من أبائهن ليخرجن من شلة مختلطة صبية وصبايا. لا تزال أحتفظ بصورة أعانيتها عصر التقت له في آخر مرة كان فيها في إجازة في القاهرة مع اصداقائه السعوديين، تظهر الصورة عمر وصديقه المقرب عبد الله في غرفة في أحد الفنادق في مصر. كان عمر قد عاد لتوه من الحج يرتدي الشورت وتي شيرت أصفر أو برتقالياً بشعر موج أقرب إلى الطول منه

كانت توقّف أحداث المدرسة والعديد من حفلات الخطوبة لطلاب بالصور الفوتوغرافية. عملت معها في تصوير حفلات الخطوبة والأعراس عندما كانت تلتزم بتصوير إحدى المناسبات. بعد عام أمضيته في التدريس، عدت إلى الكلية. لكنني كنت قد أمضيت موسمي صيف في المملكة قبل أن أبدأ دراستي الجامعية. اعتدت لقاء اصداقائي السعوديين وأعمل في الصيف مع سوران.

بدأت علاقة حميمة مع عائلة مريم إحدى طالباتي السابقات. اعتدنا الخروج مع والديها في العديد من أمسيات الصيف عندما يخلي القبط مكانه لوجو باره مريض. كنا نذهب إلى مراكز التسوق الأضخمه ونشترى الأيس كريم لأشقاء مريم الصغار ونجول بين المحلات المتخلصة. أما والدنا وبوجهه الصالح الذي تجتمع كل تجاعيد الدنيا في عينيّه، فقد كان دالم التمتع لي بأطفال ما يمعن سماعه من الفناء العربي، براه كان راشد الماجد مطرباً جيداً لكن الأفضل ودائماً بحسب رأيي، هو المطرب المصري محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ. مرة ذهبت بسيارته إلى الكورنيش حيث ترجمنا ومشينا ليغمرنا التسيم العليل هناك. كنت أرثدي الزي السعودي التقليدي البهية والطرحه كما مريم. أما والدنا فاكنتي جلابيته البيضاء واعتمر كوفيتيه الموشاة شقيق مريم الأصغر الذي ارتدى بنطالاً وتي شيرت. مرت بنا مجموعة من الشبان يلبسون الجلابيات ويشترهون في العشب الحاصل بين الطريق وروصيف المشاة. عندما حاد بناهم انطلقت فشافهم طهليل ومديح. جندت مريم طرف حبرتها بخضر وحياه وفعلت بها وجهها الذي لكشف عن ابتسامه عندما أخبرني بأنهم كانوا يرددون بعضاً من شعر يمتدحون فيه حسننا. تجاهل والدنا بكل لباقة كلمات الغزل التي كانت تلاحقنا. هكذا كنا نمتع أنفسنا في الصيف.

التقيت بعمر الذي عرفني على العديد من اصداقائه، ككور وناثا، بمن فيهم اثنان غير متزوجين كان يتواعدان في السر بالبطيح، لكن ذلك لم يكن جديداً على كايه، ذلك أنني علمت أن بعضاً من طالباتي السابقات في المرحلة الثانوية كن يواعدن اصداقاهن عبر

## مصر هي المكان الذي

## يكثرون من التردد عليه

## حيث يذهبون إلى القاهرة والإسكندرية.

## وأحياناً إلى شواطئ

## الفردقة





العدد ١٢٠ - يناير ١٩٩٦ م



وهو عصفو في حركة ثقافية نيويوركية يسافر في الغالب ضمن مجموعات في أسكنة لها دلالات روحية، المترجم) وإمارة السعودية شامة أيام الصيف في مصر حيث كان والدها يعيش ووالدها التي كانت تجيء وتروح ما بين عملها في جدة وأسرتها في القاهرة. وهذا يعني أن نرى إرتحال هذه الشخصيات وهوياتهم الهجينة على أنها جوانب أصيلة للمجموعات والثقافات في نهاية القرن وليس بوصفهم أناسا كوسموپوليتيين على نحو استثنائي وأن تضمهم مقابل شخصيات أصيلة إلى الصعيد الثقافي. وهكذا فقد أثارت دراسة السياحة مسألتين نظريتين رئيسيتين فيما يتصل بالأنثروبولوجيا. إحداهما موقع الهوية. وربما موقع ، الثقافة، بعدد ذاتها. تكشف مقارنة الشجارب العربية والغربية في مصر عن الطريقة التي خلقت فيها الهويات القومية عبر اللقاءات مع الهويات الأخرى.

أما المسألة النظرية الثانية التي أثارها الدراسات السياحية تلك التي تتصل ، بالأصل، الثقافية وموقع الأنثروبولوجيا بعد ذاتها: ماذا يجدر بالأنثروبولوجيين أن يدرسوا وما عليهم أن يوجزوا في وصفهم، ثقافة، أو شعباً؟ لقد أكد عدد من الأعمال النظرية الحديثة كيم أن السفر واللغات في المتقاطعة ثقافياً ساهمت في إنتاج ذاتيات في مشروعات بناء الأمة. عندما تلتقي جماعة جماعة أخرى، تعرف كل منهما الذات والأخر، وترسم الحدود بينهما الاختلاف. وبحسب ملاحظة كيريس برينشون «إن تأسيس ،الذات» ،والأخر، لا يتصلص على إفسادهما لبعضهما البعض». ١٩٩٤: ٥٠.

من المفيد أثناء دراستنا لسياحة أن نجتمع مجاز السياحة، إلى هي مجارات السفر والاحتكاك المتقاطعة ثقافياً بعية فهم سيرورات بناء الهوية التي ذلك. رغم أن للسياحة الغربية في مصر جذورها في اللقاءات الاستعمارية المفروسة فيما مضى، وأحياناً عنيفة، لذا للسياحة في أيامنا هذه أساس مختلف من السلطة، السلطة، السلطة الاقتصادية التي استخدمتها بخرعة طبقة المستعمرات العالمية التي تسفرها في بلد قديم حيث ربيع (الدخل الناتج عن) السياحة تأتي في طليعة المصادر الثابتة التي تعود على البلد بالنقد الأجنبي، هذا لإيعني الحديث عن

دالماً مسألة عاتقة، بوصفه طريقاً لتحمي أصالة الأنثروبولوجي وسلطته كمؤول وناطق ثقافي. يستخدم جيمس بون (James Bon 1992) المقاربة الاستكشاف الإمكانات العابنة للمواجهات غير الأصلية المتقاطعة ثقافياً التي تتبنى سلطة أكثر اكتمالاً. ويقترح أنه، ومن خلال قبولنا بالمواجهات السياحية بوصفها موضوعات صالحة للدراسة الأنثروغرافية، فمن الممكن لهم.

أي، الأنثروبولوجيين أن يعللوا في الكشف عن بعض من أفكارنا التي أقامتها الأعراف حول ما يؤسس لمصدر معلومات أصيل وهو لقاء ميداني ملالمة ومادة حقيقية للملاحظات ميدانية. هي هذه الدراسة، مدى واسع من الهجاء؟ مصادر المعلومات، بين في ذلك راقصة أسرتالية تحدث قانوناً جديدا في الحكمة المصرية يحظر على غير المصريين ممارسة الرقص في مصر قروية من نزل السمان - قرية تقع بجوار الأهرامات والتي عاشت لعقود طويلة في الغرب كمكانة صالحة لقمار صناعية صغيرة وعادت الآن لتفتتح ، بإزارة، سياحياً على بقعة من أرض رعب الجيجولوجيون بها وأرادوا أن يحمروا هناك بحثاً عن بقايا فرعونية وجيولوجية أمريكية دخلت في جدال أقصيه بالنزاع بشأن تاريخ إيجيبتولوجي لنصوب الجزيرة ومعالجها التاريخية والتي جاءت إلى القاهرة من أجل القيام ببحوث وإلقاء محاضرات عن مصر العربية بالاشتراك مع كتاب نيوايجي (New Age) حركة حديثة تؤكد على العامل الروحي في الحياة. ظهرت هذه الحركة في عهد الفاشينيات وأكثت على الوعي الروحي ومؤوس تبايعها بالتقصص وعلم الفلك وممارسة التأمل New Age traveler أن مسافر نيوايجي

على قدم المساواة كما هو حال الأنثروبولوجي. لقد وصف شتراوس، عندما قدم لأول مرة إلى مدينة ساو باولو ويبدأ يبحث عن أناس كي يدرسهم. « لقد أرضت فضولي الأنثروبولوجي قرية ندائية تبعد حوالي خمسة عشر كيلومتراً عن ساو باولو لسكانها المهلهلين شعر فاتح وغيون زرقاء أظهرت أصولهم الجرمانية حديثة العهد، Levi-Strauss 1981 " ١٩٥٥" 139 قبل توجهي إلى الميدان مباشرة التهمت كتاب جيمس كلوفر (Routes)، الذي صدر في عام ١٩٩٧ في أثناء ذلك الوقت، عدت إلى جامعة برنستون بعد أن أمضيت سنوات في هذا الميدان، وأدركت في وقت متأخر أن إرث الأنثروبولوجيين الذين يكتتبون حول السفر واقترحال لم يترسخ بما فيه الكفاية.

في فني أن أحد الأسباب التي ساهمت في عدم إتاحة الفرصة للسياحة أن تتحول إلى مسألة على جانب كيبس من الأهمية في الأنثروبولوجيا يكمن في أن السياح هم اقرباء نوع، فهم يتصرفون شأن مرأة مطلقاً نستطيع من خلالها أن نرى شيئاً من النظام الاجتماعي الذي يفرض أنثروبولوجيين إضافة إلى سياح. وعلاوة على ذلك، يذكرونا السياح ببعض السياقات والدوافع والالتباسات التجريبية والبلاغة التي تشترك في جعل المرء أنثروبولوجياً (ibid: 78)». رغم ذلك وفي الوقت الذي يستخدم فيه كرك مفهوم السياحة، حيث الأصلية

هذه بدأ المصريون ينظرون إلى الأهرامات بوصفها جزءاً من إرثهم القومي كما أن العديد منهم يعتز بأهماد الماضي الفرعوني. لقد ساهم الاهتمام الغربي التاريخي بمصر القديمة من دون زيب في توسيع وتضخيم الهوية المصرية بوصفها أرضاً فرعونية قديمة. لكن الماضي الفرعوني ليس سوى مكون واحد فقط من الهوية القومية المصرية لعظم المصريين. فمصر هي موطن لم كلشوم بقدر ما هي موطن للأهرامات. وليست المسألة في إيجاد مصدر أو مصدرين للهوية المصرية أو اكتشاف أي موعة في الأكثر أصالة، بل هي رؤية الطريقة التي خلقت فيها الهويات المتعددة المتصارعة أحياناً وحدت عبر نقاط من الاحتكاك العابر للأمام مع الدخلاء.

## إثنوغرافيات السفر والسياحة

عندما انتسبت إلى الجامعة في منتصف عقد التسعينيات كان بعض المفكرين يدمجون إثنوغرافيا بعية الاستناد إلى أبعد من دراسة القرية المحلية التقليدية. لذا دعوا يدرسوا حركة الشعوب والأشياء وراضين أفكار الثقافة والسكني المحددة الثابتة زماناً. وكأنا. تأتي أنا تسع في كتابها Realm of The Diamond Quest ١٩٩٣. من هذه المقاربة. مقاربة أخرى كنت قد وقعت في غرامها هي إثنوغرافيا أميتاف غوش (Amiav Ghosh) الذي وصف قرية في دلتا نهر النيل على أنها انتقلت بكل القلق المحوم الذي يستولي على مسافري الخطوط الجوية القابعين في ردهة المبور (إثريت)، ١٩٩٢، Ghosh cited in Clifford 1997: ١.

كان لجيمس بون وهو أحد أساتذتي، فهم تاريخي على نحو أفضل فيما يتصل بالكتابات الأنثروبولوجية، وأشار إلى كيبسيسته بأن جيلس من الأنثروبولوجيين، وجهله، لم يكونوا أول من كتب عن الهويات الهجينة والشعوب المتشكلة. بل يعود إلى عام ١٩٥٠ كان كتاب كلود ليفي شتراوس (Tropiques، واحد من أول وأعظم الإثنوغرافيات فيما يتصل بالسفر والترحال التي صورت الموضوع الإثنوغرافي بوصفه متزاخاً وهجيناً

## أكد عدد من الأعمال

### النظرية الحديثة كيف

## أن السفر واللقاءات المتقاطعة ثقافياً

### ساهمت في إنتاج ذاتيات

## في مشروعات بناء الأمة





الممثل الهلبودى هرس فور و خرجها ستيفن سيلبرغ تحتخت هذه السلسلة من الأفلام عن عالم أثار مخامر يهرب من الخطر في اللحظة التي يقع فيه إنديانا جور وهو اسم البطل في الفيلم شخصية معارمة تركب المخاطر يشدها شغف البحث عن كنوز العالم، المترجم، إنهم مسلمو المصور الوسطى بالماضى الفرعونى، وعدوه دليلاً على عرق قديم من السحرة العالمى، لكن الفرعون تسيديا ميدان علم المصريات لقرون عديدة، وحتى في أيامنا هذه لا يزال علماء المصريات المصورون محبرين على نشر كتاباتهم بالأسلحة الإنجليزىة والفرنسية والألمانية، هي الوقت الذي تحدثت ثلة من علماء المصريات الفرعبيين العربية وقليل منهم من يكتبهم، لا يفسر ذلك بقلعة الاهتمام الذي يبديه العرب لمصر الفرعونية، بل مصر وسيطرتها على المؤسسات التي تنظم عصور مصر القديمة.

في إنترتة الفرعونية التي تتعاضى مع مصر التاريخ القديم، هي أصل رئيس للفرقة القومية المصرية الحديثة. فقد قلعت الصحافة المصرية لاكتشاف عالم المصريات زاهى حواس قبور بناء الأهرامات في تسعينيات القرن المنصرم لإقامته الدليل على أن بنى الأهرامات هم عمال مصريون وليسوا عبيد بنى إسرائيل، وهي لحظة مجد في وجه مزاعم إسرائيلية تقول أن أسلافهم هم من بنى الأهرامات، لكن وبحسب مصريين آخرين لا يستحضر فرعون، ماضياً ثقافياً يدعو للبخر، بل على العكس فهو يثير فيهم قرفاً مرده الطفيلان والاستبداد الوثنى. لقد صرخ الطغيان الرئيسى المصرى السادات بفخر مآلات الفرعون، كما رفض بعض السياح المسلمين أن يزحفوا عبر المعرات الداخلية الضيقة للأهرامات، خشية أن يظهروا وكأنهم ينحنون لفرعون، سيتخصص هذا الفصل والمصل الذي يليه هذه المواقف المتصارعة حيال الجد والعزة القومية في ماضى مصر المصري

يعالج الفصل الثالث، أطلنطس والزئبق الأحمر، سياسات علم الآثار من زاوية محكمة، يدعى إعادة كتابة التتويجين للتاريخ الفرعونى. للغرب والغربيين خيالات غامضة فيما يتصل بمصر

الإثنوغرافى يجمع الفصل الأول. هذا الخيط ثانية عن نقاش، علم الأخلاق ومنهجية الأنثروبولوجيا عابرة الأمم، يتناقض هذا الفصل الظروف التي أحاطت بإقامتى في مصر والبحوث التي قمت بها هناك وبعض المسائل الأخلاقية فيما يتصل بالقيام بحوث إثنوغرافية بين جماعات صغيرة من كبار المتقصرين والمشهورين من مصادر المعلومات الذين يمكن أن تتأثر حيواتهم الشخصية ومنهم بنشر هذه الدراسة الإثنوغرافية. كما يتصدى هذا الفصل لبعض الشكالات المنهجية الكامنة في الإعداد الإثنوغرافيا عابرة للأمم متعددة المواقع في بيئة مدنية.



كما تصيدت للقضايا المنهجية في الفصل الثانى. حيث سردهت بعض الشكالات التي صادفتها أثناء محاولتي لإيجاد مصادر معلومات يستسنى لهم الوقت للتحدث إلى أنثروبولوجية غير ملزمة بمبادئ التي تعمل عليها. وفي الفصل الرابع، حيث ناقشت صعوبة دراسة السياح، خصوصاً لأنثروبولوجية أمريكية تريد أن تعرف لم يأتي السياح الخليجيون إلى مصر.

يراجع الفصل الثانى «الكنز المدفون، تاريخ علم المصريات الذي أطلق في تلك الأيام حيث كان سعيًا وراء كنز مباح لجميع الأوروبيين أكثر منه سعيًا وراء علم الآثار. ثمة حكايات هامة تزام أن ندرها، شأن سابق على طراز إنديانا جونز بين عالم أركيولوجيا ألماني وآخر فرنسي للحصول على دائرة بروج دندرا» سلسلة من الأفلام قام ببطولتها

والأمريكية على المنطقة وبالثانى الهيمنة عليها ثقافياً (1991: Asad). وما قدوى المبرك إلى العالم العربى بوصفى تابعة لعالم أمريكى هي المملكة السودانية إلا جزءاً من ذلك.

إذا كانت مشاهد الوصول هي مادة أنيقوية خام للشكالات الإثنوغرافية التي تصور الاحتكاك الأول الذي قامت به تلك الإثنوغرافية (التي هي أنا) مع موقع عملها الميدانى الذي تم التخطيط له سابقاً (Pratt 1986: 18) فإن الأنثروبولوجيين المعاصرين لا يمتثلون في الغالب بغير من القليل من مشاهد الوصول، حتى قبل أن ينطلق العمل الميدانى الرسمى. بما أن اكتساب المعرفة الأنثروبولوجية يتم اقتراسه دائماً من قبل أشكال حدثية (وعاميد حدثية) أخرى من اللقاءات الثقافية، شأن أولئك الأنثروبولوجيين الذين زاروا موقع عملهم الميدانى بداية كسياح أو موظفين لوكالة تطوير دولية أو منظمة غير حكومية، أو مدرسين لغة الإنجليزىة، أو راقصة شرقية أو... (يمكن أن تستمر لائحة من اللقاءات الأولى، إلى ما لا نهاية) ولأنثروبولوجيين أصلياً، (Abu-Lughod 1991: 1) بعد العمل الميدانى عودة أكثر من لقاء أول أو ثانى أو أخيرا.

بالانجماع مع هذه الحالة المعاصرة من الاستقصاء الإثنوغرافى، هاب مشهد الوصول الذى وصفته في بداية الفصل الثانى، «الكنز المدفون، هو مشهد سلسلة وصلات تعود إلى اللحظة التي قررت فيها أن أراقق والذى إلى المملكة السودانية. تلك الحقيقة وجوانب أخرى من الظروف التي أحاطت بحياتى في مصر تستحق مزيداً من التوضيح، وهكذا قبل البدء في التوضيف

الاستهلاك الماعنى الذى اقترحه بعض المنظرين الأوائل للسياحة، حيث يلوث التبادل الاقتصادى مع السياح ثقافة أصيلة محلية إلى حد ما، بل يهين رؤية الكيفية التي هيا فيها السياح المستهلكون المواقف لأولئك الذين يشتغلون بالسياحة، هي الصناعات الخدمية والإنتاج الثقافى وحتى هي علم الآثار (مع الرافعات الشريقات إلى رقص الدراويش، الذى يؤدى أمام جمهور من السياح الفرعبيين قرب خان الخليلي إلى الإنتاج المسرحية للسياحة الضميمة العربية)، تيشركوا في خيال بعينه عن مصر.

في بداية هذا الفصل تقريباً، كنت قد وصفت الطريقة غير المباشرة التي جعلتني أهتم بموضوع بحثى، بعد أن مكثت وعالمتى هي المملكة السودانية (هى إنشاء ذلك كنت ساذجة في اليمن والأذن). إن الوقت المأم للسياح للمعربة هي جدة والتي كنت أشكل جزءاً منها، مع حماسة لتسابق على الفور باكثير قطعة لحم، والدمى الإثنية السودانية والوصف الخزرى للسودانيات ليست مجرد انصراف غريب الأطوار في لحظة مسجحة من ماضى قبل أن أصبح أنثروبولوجية، ومن المثير أن انى اكتسبت منظروا أكثر تطوراً وثقافة فيما يتصل بالفروق الثقافية. فالتأسيس لسردى الخاص هنا فى تاريخ مجد من الخيالات العابرة للأمم هو جهد مبرور، وهو أيضاً رسالة تنكريت لى بأن الأنثروبولوجيا هي التشرق الأوسط تمشى يدا بيد مع أشكال أخرى من اكتساب المعرفة والحوارات السياسية والاقصادية في المنطقة، وحتى الاحتلال العسكرى الغربى، إن المغتربين والسياح النشطاء لأنثروبولوجيين، فهم يظهرون مثل، مرة مؤسمة نستطيع أن نرى فيها شيئاً من النظام الاجتماعى الذى يفرغ أنثروبولوجيين وسياحاً، (Crick 1985: 78). وكما يتنبأ المجتد المشرقى بالطرق التي اشتغلها أنثروبولوجيو الحقبة الاستعمارية من مواقع بعينها كانت مزيجاً من التعاون مع السلطة الاستعمارية، والاعتماد عليها، ومعارضتها. يجدر أيضاً بأنثروبولوجيو الشرق الأوسط المعاصرين أن يأخذوا في الحسبان الطرق التي كان فيها دخولنا إلى العالم العربى مشروطاً ومُعقداً ومعاقلاً من خلال الفزوات العسكرية الأوروبية

## رقص بعض السياح

### المسلمين أن يزحفوا عبر

#### المعرات الداخلية الضيقة للأهرامات.

### خشية أن يظهروا وكأنهم

#### ينحنون لفرعون





لحظات الاحتكاك المتقاطع ثقافياً والتي تدفع البشر إلى صموده وادراك، ويطلق أخرى إلى تقاليد ثقافية معقدة من خلال المقارنة مع تقاليد الآخرين، ومن ثم عنيت باستكشاف ما يفعله البشر بهذه الفروق. فمثلاً، أبين في سري للحكايات الأسلوب الذي يصف فيه المصريون الطريقة التي يتناول فيها الخليجيون طعامهم ويتحدثون لباسهم، التهديد التي يستخدمها المصريون عندما يتوجهون بكلامهم إلى شخص آخر وكيف واجهت هذه المؤشرات المصرية على الاختلاف الثقافي الذي يكشف عن المعايير الثقافية لكل منهما. ثم أظهرت كيف أثارت هذه الفروق الاختلافات في التقاليد الثقافية بين الطرفين. فكلما الطرفين يتخلفا على توارخ سياسية وحضارية بين أشياء أخرى، باختصار جللت الطريقة التي ارتبطت فيها الثقافة بالسرديات الحضارية، أو الطريقة التي ارتبطت فيها «العصابات» والتقاليد، بالحصارة».

أما الفصل الأخير وهو بعنوان «مستنقعات مخطوطات قديمة، المصريون، الجرافيتي، صور، فيتخصص ظاهرة الرافعات الشرقيات الأجنبية لقد بات الرقص الشرقي شائعاً، بل ومرغوباً خارج العالم العربي والنساء الأمريكيات والأوروبيات واليابانيات اللواتي احترفن الرقص الشرقي في أروبة وشرق الأوسط يؤديهن في جميع أرجاء أوروبا والشرق الأوسط، لكن أعجاب المنشودة هي أن يرقصن في القاهرة، فيحسبن، من ترقصن في القاهرة يستمكن من الرقص في أي مكان آخر، تجمع هذه الظاهرة بفرادة عناصر الخيالات والصور الشرقية والغربية منها عن مصر. فالرافعات الشرقيات يقدمن استعراضاتهن لجمهور السياح عرباً وغربيين، في فنادق القاهرة وملاهيها، وعواماتهن التي تعبر نهر النيل، كما أن العديد من الرافعات جئن إلى القاهرة في البداية بوصفهن ساحات، ورحلتهن تلك كانت نقطة علام قديمتهن في البداية إلى الرقص الشرقي. يكشف

إجرائهم في مصر تظهر أن إجابة هؤلاء السياح العرب الصيفية في مصر غايتها لقاء السعوديات، إضافة إلى الاستمادة من الحريات التي توفرها لهم البيئة المصرية. كما أن الشابات السعوديات يرغبن بالجلوس إلى مصر بغية مواصلة الشبان في جو أكثر تحراً من مملكتهم رغم ذلك لا يزال هذا الجو محكوماً بالمعايير الثقافية والاجتماعية السعودية. ويوصفها ظاهرة ثقافية سعودية على الأساس وتحدث خارج حدود المملكة، فإن إجازة الصيف في مصر هي مثال غير عادي على الثقافة العابرة للام.

يصور الفصلان الرابع والخامس اللقاءات بين المصريين والخليجيين بعمق إجراء مقارنة بين الحيات التي يكونها عن الطرفين عن الآخر. إن لحظات الاحتكاك الثقافي تصبح فرصاً لتجريب الذات والآخر، فالصريون يقدون الصور النمطية التي يجسد من خلالها الخليجيون انتهاك الآداب الاجتماعية، بينما يرى السعوديون المصريين على أنهم مرتزقة خائنون. وتصور كلتا المجموعتين بعضهما الآخر على أنه مفترس جنسياً. لقد خلطت الفروق اللغوية والثقافية بين المصريين وأهل الخليج على أساس الاقتصاد القلبي لونه حجرة اليد العاملة والتباين الشديد في الشروات.

وهي كلا الفصلين، تظهر هويتا الذات والآخر على أنهما شأن مركزي. رغم ذلك فنقش الهوية ليس غاية بحد ذاته، بل هو استراتيجية لدراسة، الثقافة، وهي الميدان التقليدي للبحث الأنثروبولوجي. كتبت عنيت بوصف

إلى مصر للانغماس بما هو محرم ومحظور في بلادهم من المسمى وراء المومسات إلى الانحراف في حفلات جنس جماعي، واحتساء الكحول وصولاً إلى القمار. ومن هنا فهم يرتبطون في التصور العام للمصريين مع ملاهي شارع الهرم الليلية. كما أن قصصاً وحكايات تنتشر عن حفلات جنس جماعية خليجية تقام في الفنادق. في عام 1999 علت مآثر أمير سعودي يعيش في القاهرة مع حاشية كبيرة من الخدم والحراس الشخصيين اشتروا بعنفهم ومخاضتهم لكل من المصريون. إن أساطير المدينة هذه حول الجنس والقوة والثروة والاستغلال حولت هذا الأمر إلى نموذج بدائي أسطوري لصورة العرسي الشري الخليجي النمطية الذي يعتقد بأنه يستطيع شراء كل شيء. هذه الصور السلبية عن الخليجيون يمكن أن تفهم فقط في سياق الهوية العربية والسياسة وحجرة اليد العاملة والاقتصاد السياسي القلبي. لقد قمت باستكشاف هذه الصور النمطية عن السياحة العربية ضمن سياق بحث وتحقيق أنثروبولوجيين لأساطير وشائعات وشررات مدينة.

في الفصل الخامس وهو بعنوان «مواعيد عابرة للام، ترى السياحة الخليجية من منظور مختلف لشابتيين سعوديتين. إن الصورة النمطية المصرية الشائعة عن السياح الخليجيين تبنى بأنهم يأتون إلى مصر للانغماس في نشاطات مخزنية، إضافة إلى أنهم يستعملون المصريون الفقراء. لكن نظرة إلى الشبان السعوديين الذين يعضون

القديمة، كما يرجع هذا الفصل لتطافاً واسعاً من الأساطير والخرافات عن مصر القديمة، من أيام أطلنطس افلاطون إلى الوسيط الروحي (النفس الراضية) إدغار كايس الذي كان يعتقد بأنه تقمص لأحد كبار الكهنة المصريين في تلك الحقبة القديمة، وتنبأ بأن حجرة مع أسرار حضارة صامدة ستكتشف تحت مخالب «ابو الهول». يظهر هذا الفصل السبب الذي جعل نظريات النيوإيج تمارس أدبتها على المصريين الوطنيين كما يفسر هذا الفصل بعضاً من نظريات المؤامرة التي طورها النيوإيجيون فيما يتعلق بمستنقع البيروقراطية التي تفسر أولئك الراغبين بالحفر والتقيب في ما يجع عالم المصريين ومسطرى النيوإيج، بغض الطرف عن محاولات علماء المصريات الجادة بالابتعاد عن المظنرين النيوإيجيين، فقاومهم تيدا من التاريخ الكولونيالي المشترك الذي يمارس تأثيره على السردين الأكاديمي والشعبي لصر القديمة، إلى جمهورهم المشترك من السياح الغربيين الذين يستهلكون نظريات كلا الطرفين.



ويظهر الفصلان الثاني والثالث أن جوانب مصر والهوية المصرية التي سلم بها الغربيون وكأنها أشياء طبيعية كانت قد تأسست على من التاريخ. فالغربيون يزورون الأهرامات ليس لأنها نصب ومعالم تاريخية فقط، بل لأن تلك النصب والمعالم أقيمت من خلال السروريات والاستعمارية الأوروبية وميحت علم المصريات والطريقة التي يشيد فيها تاريخ الحضارة من قبلها. كما يستكشف هذا الفصل الطريقة التي ارتبطت فيها علم الآثار بمشروعات سياسية وثقافية واجتماعية شأن النزعة القومية.

ويختتم الفصل الرابع وهو بعنوان «حفلات الجنس الجماعية، الأمير الغابري، وشائعات أخرى عن السياحة الخليجية، إلى اللقاءات التي تمت بين المصريين والخليجيين ومثلاها. تنتشر بين المصريين صورة نمطية عن الخليجيين مفادها أن الآخرين يأتون

## يكشف التحيص

### في جذور الرقص الشرقي

### في مصر أن تاريخاً من اللقاءات المتقاطعة

### ثقافياً ساهم في تشكيل

### هذه الظاهرة الثقافية





# كتاب الزاوية



## التحدث بنعمة الله

### فضل الشكر

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعد، فإن التحدث بنعمة الله تعالى مطلوب شرعاً. قال تعالى: «وأما بنعمة ربك فحدث». وأخرج عبدالله بن أحمد في «زوائد السند» والطبراني، وابن أبي الدنيا في «كتاب الشكر»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: التحدث بنعمة الله شكر وتركتها كفر». وأخرج ابن جرير الطبري في «تفسيره» عن أبي نصره، قال: «كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يصعد بها». وأخرج سعيد بن منصور في «سننه» عن عمر ابن عبد العزيز، قال: «إن ذكر النعم شكر». وأخرج ابن أبي الدنيا، والبيهقي عن الحسن البصري، قال: «أكثروا ذكر هذه النعمة فإن ذكرها شكر». وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن الجريري، قال: «كان يقال إن تعداد النعم من الشكر». وأخرج البيهقي عن طريق مالك بن أنس عن يحيى ابن سعيد، قال: «كان يقال تعدد النعم من الشكر». والتحدث بنعمة الله تعالى يورث المزيد منها لأنه شكر كما ثبت ذلك بالأدلة المذكورة، والشكر يقتضي الزيادة لقوله تعالى: «لئن شكرتم لأزيدنكم» أخرج ابن مريويه في «تفسيره» عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أعطى الشكر لم يحرم الزيادة لأن الله تعالى يقول: «لئن شكرتم لأزيدنكم».

التي تأسست فيها فكرة مصر ومكنت بوصفها مكاناً، وثقافة، وتاريخاً، وشعباً وبلداً وأمة من خلال أخذنا بالحسبان هذه السيرورات التي تؤسس لتاريخ من اللقاءات العابرة للأمم. ■

### هوامش

- (١) Halfie ويمكن أن ترجمها إلى «التنصيص»، وهو استخدام اضطررنا إلى اللجوء إليه بما أن كلمة، هجيب، Hybrid، لا تلي ما نفرض. فالهجين في الأندولوجيا من له جنسيتان وفي رسالة من الأمانة إلى المخرج أتبنت شرحها لكلمة كالتالي، «ابتكرت هذه الكلمة الأندولوجية ليلى أبو لعد وهي وعلى حد تعبير الأمانة، نصفها فلسطيني ونصفها الآخر امريكي، والنتيجة أن يطفئ عليها صمة المواطن الأصلي (الأصلائي) فعندما تكون، ليلى، في فلسطين أو في العالم العربي ينظر إليها بوصفها امريكية ولكن يصنف أياً من هذين العالمين في الولايات المتحدة بطور أنها بوصفها فلسطينية. وأضافت الأمانة، بأن ليلى أبو لعد هي أول من استخدم المفردة كصياغة لتضمين عن الأندولوجيين المستعبيين، في مقالاتها الأكاديمية، الفارقة بين الثقافة Writing against Culture، وتقر ليلى أبو لعد أنها استقت فكرة اليوميه معبراً عن المستعبد من الأندولوجية أخرى في كيرن نارايان ( Narayan) (أسس خلال اتصال شخصي)، المرحوم
- (٢) Culture and culture في سوانى للمؤلفة عن لعمري ما استخدمت المفردة في Culture لاتين كال جويابا التالي، فترتبط الدلالة الأولى وهي التي يستخدمها الأندولوجيون على وجه التحديد ونعمى العادات أو الطريفة التي يطرأ المرء من خلالها إلى العالم بما هي ذلك المقطوع اليومية معبراً إلى احتكاك بين الناس أما الدلالة الثانية وهي الشائعة والتي لا يستخدمها الأندولوجيون فتشير إلى التدهيب والكياسة (إضافة إلى المدينة Civilization) كوس هنا نارايان أن نترجم الأولى بالعادات والتقاليد والثقافة بالمعاصرة المرحوم
- (٣) Traditional درجت العادة في استخدام المفردة Tradition سوسمها «تقليد»، Traditional، فلكي في ميادين شأن الأندولوجيا وعلم الآثار والأنثروغرافيا وحتى في الدراسات التاريخية والتأريفة تبذل هذه المفردة إلى الدلالة على التواتر ومن هنا يمكن لنا أن نضع المفهوم لكلمة Tradition، يث، والtraditional، وحتى، المرحوم.
- (٤) أقرنا استخدام مصطلح صور، مقابلاً لكلمة الإمبريية (images) وخيالات وصور، مقابل الكلمة الإمبريية، imaginations، المرحوم.
- (٥) The Grand Tour هي الرحلة التي يتم فيها زيارة العديد من الأماكن، أو تلك التي يتم فيها مسح كامل لجميع أصناف المكان، المرحوم

التمحيص في جنود الرقص الشرقي في مصر أن تاريخاً من اللقاءات الثقافية ثقافياً ساهم في تشكيل هذه الظاهرة الثقافية «الإربية» بين مصر والغرب ومصر والعالم العربي، تلك اللقاءات التي أجرت تغييرات جوهرية على شكل الفن كما يؤدي اليوم.

ورغم أن مادة البحث تركز على القاهرة، فإن هذا الكتاب يقتضي أثر الشخصيات عبر المواقع والأمكنة ويعبر المعسورة من الشابات والشباب السعوديين الذين يأتون إلى مصر في الصيف ليشغلوا (إلى مواعيدهم الدسمة وقطوس العزل والتودد، إلى العلماء آثار وجماعات النثويانيين الذين ينتجون تواريف متصارعة لأهرامات الجيزة تعرضها على التلنان، إلى الرافضات الشرقيات الأوريات اللواتي يحاولن خلق اسم وصيت لهن في القاهرة. تسعى هذه الفصول لرسم بعض النقاط بالتفصيل فيما يتعلق بمسارات شبكات متنوعة عابرة للامم تتقاطع عبر القاهرة حيث تشكل السياحة فاسماً مشتركاً لجميع تلك الشبكات. لكن هناك أكثر من مجرد تصنيف نظري للسياحة، كما أن الأندولوجي يجمع هذه المواضيع التباينة. هذا الكتاب دراسة لصور وخيالات «مختلفة عن مصر كشعب وثقافة وتاريخ. هو يقيم صلة بين التاريخ السياسي، والاقتصاديات الإقليمية والدولية، والإنتاج الثقافي من سيرة رابحة من بناء هوية قومية. هذا الكتاب رسم خلق شبكات عابرة للأمم ولفقات متفاعلة ثقافية بين شعوب وقوميات ولغات وطيقات وأديان وأندولوجيات وخيالات وصور محتملة تتشابك جميعها في مصر.



إن تاريخ الأندولوجيا هو تاريخ السفر والترحال واللقاءات المتقاطعة ثقافياً. كما أن السياحة تنوع على أنواع السفر والمنشآت المتقاطعة ثقافياً والإمبريالية، والاستعمارية والحجيج والفكرين والرحلة الكبرى) «وعلم الآثار والأندولوجيا وأكثر، والتي كانت لقرون عديدة عناصر حاسمة في بناء الأمم والدائيات، بإمكاننا البدء بفهم الكيفية



# أسئلة في تاريخ السينما المصرية

عن البدايات

## هاشم النحاس



لا أطمح من هذه المقالة الموجزة، إلى أكثر من وضع إطار مناسب، يكون بمثابة مدخل لدراسات متعمقة عن بدايات السينما المصرية وبدايات ازدهارها. وهي البدايات التي ظلت حتى الآن تحتاج إلى نظر، أو إعادة النظر. أملاً في الوصول إلى تاريخ صحيح للسينما المصرية.

■ ظل حتى عهد قريب الاعتقاد السائد بأن عام ١٩٢٧ هو بداية تاريخ السينما المصرية. وهو العام الذي عرض فيه فيلم «ليلي» إخراج استيعان روستي أول فيلم مصري روائي طويل. ثم اكتشف أحمد الحضري بعد ذلك في كتابه «تاريخ السينما في مصر» أن أول فيلم مصري روائي طويل ظهر قبل فيلم «ليلي» هو فيلم «في بلاد توت عنخ آمون» إخراج فيكتور روسيتو الذي عرض عام ١٩٢٣.

كما رأى الحضري أن بداية تاريخ «السينما المصرية» لا يجب أن يرتبط بأول فيلم روائي وإنما بأول إنتاج لفيلم مصري حتى وإن كان قصيراً. ومن ثم ذهب إلى أن بداية تاريخ السينما المصرية يجب أن يكون عام ١٩٠٧. وهو العام الذي ظهر فيه أول فيلم مصري قصير إخراج محلات عزيز ومويس بالإسكندرية وعنوانه «زيارة الجناب العالي» إلى المعهد العلمي بمسجد أبي العباس بالإسكندرية.. وتم اعتماد ذلك التاريخ باحتفال السينما المصرية بمتوحيها العام الماضي ٢٠٠٧. بينما يذهب محمود علي في كتابه الذي ظهر مؤخراً «هجرة السينما في مصر» إلى أن أول الأفلام المصرية القصيرة يرجع إلى عام ١٩٠٥. ويتضمن في جريدة «في شوارع الإسكندرية» التي كان ينتجها مسيو إدوارد دي لا جاربي. والخلاف ما زال قائماً بين الباحثين على هذه البدايات لتاريخ السينما المصرية. وقد تأتى الأيام باكتشافات جديدة، وإعادة النظر في تحديد البدايات التاريخية للسينما المصرية.

ولكن من المؤكد - في رأيي - أن عام ١٩٢٥ هو البداية الحقيقية لوجود السينما المصرية، بغض النظر عن بدايتها التاريخية المختلف حولها. وهو العام الذي افتتح فيه استديو مصر. وبعد عاماً فارقاً في تاريخ السينما المصرية. فالسينما المصرية لم تعد بعد هذا كانت من قبله، حيث كانت في الغالب تقوم على جهود فردية يغلب عليها روح الحامارة وتأكيد الذات. ولعل هذا ما يفسر لنا - نوعاً ما - ظهور الأفلام التي تنتجها الممثلات، بهيجة حافظ وآسيا ومن ممثلات المسرح عزيزة أمير وفاطمة رشدي. بينما بدأت السينما المصرية بعد

١٩٢٥ طريقها نحو المنهجية والاعتماد على المؤسسة.

وتوفر للسينما المصرية مدد هذا التاريخ شروط النجاح الأربعة التي لا بد من توفرها لنجاح أي صناعة حديثة والسينما واحدة منها. وأول هذه الشروط توفر رأس المال المناسب. وهو ما تحقق على يد شركة مصر للفيلم والسينما التابعة لبنك مصر. وكانت الشركة قد بدأت منذ ١٩٢٥ في إنتاج أفلام تسجيلية قصيرة للدعاية لشركات بنك مصر برأس مال قدره ١٥ ألف جنيه. ثم بدأت بصنع الميزانيات اللازمة لإنتاج الأفلام الروائية (الطويلة) (رفعت رأس مالها عام ١٩٣٣ إلى ٤٠ ألف جنيه، ثم ارتفع عام ١٩٣٧ إلى ٧٢ ألف جنيه. ثم وصل إلى ١٠٠ ألف جنيه عام ١٩٤٣). وكان أول إنتاجها هو فيلم «وداد» ١٩٣٣ إخراج فريترز كرامس وبطولة أم كلثوم. ومن شركات الإنتاج الكبيرة نسبي التي توالى ظهورها بعد ذلك، شركة استديو الأهرام عام ١٩٤٦ برأس مال قدره ٢٢٠ ألف جنيه، والشركة الشرقية للسينما في نفس العام برأس مال ٢٥٠ ألف جنيه.

وإذا كانت أي صناعة حديثة لا تقوم إلا إذا توفر لها المصنع الذي يحتوي على المعدات والأجهزة الحديثة، فقد تحقق هذا المصنع لأول مرة للسينما المصرية بإنشاء استديو مصر الذي استورد أحدث أجهزة التصوير وغيرها من المعدات اللازمة. ويعددت استديوهات كبيرة أخرى مثل جلال ١٩٤٤، للأهرام ١٩٤٥، ونحاس ١٩٤٨.

وتوفير الشروط الثالث لنجاح هذه الصناعة وهو توفر الكوادر البشرية أرسل استديو مصر مبعوثه للخارج (أحمد بدرخان ومويس كساب ومحمد عبد العظيم وحسن مراد)، واستعان بالخبراء الأجانب والمصريين الذين درسوا بالخارج (ليازي مصطفى وولي الدين سامح ومصطفى والي) أو اكتسبوا الخبرة من خلال عملهم في المحاولات السابقة (محمد بيومي وأحمد سالم وكامل سليم وأحمد كامل مرسي). ولم يقتصر عملهم على الأفلام المنتجة من خلال استديو مصر ولكن من خلال أفلام أخرى تابعة لشركات أخرى (كما فعل أحمد بدرخان بإخراج فيلم «نفيد الأمر»). وبناتى الشرط الرابع وأخير لنجاح المشروع



# رأى الحضري أن بداية تاريخ السينما المصرية لا يجب أن ترتبط بأول فيلم روائى وإنما بأول إنتاج لفيلم مصرى حتى وإن كان قصيرا

السينما المصرية



عدهم في هذه المرحلة إلى رقم قياسى بالنسبة لتاريخ السينما المصرية كله، ومنهم: محمد عبد الوهاب ، أم كلثوم ، لىلى مراد ، فريد الأطرش ، محمد فوزى ، شادية ، نجاة على ، رجاء عبده ، نور الهدى ، عبد العزيز محمود ، نجاح سلام، هدى سلطان وغيرهم. ومازالت هذه الأسماء تمثل قمما في عالم الفناء العريس حتى الآن وهو ما ضمن النجاح لأفلامهم حتى وإن قامت على موضوعات بسيطة أو مكثرة.

والى جانب هذا الملح الأساسى من أنواع الأفلام التى انتشرت في هذه المرحلة وميزتها، نجد الأفلام الكوميديا التى شارك في بطولتها اعلام الكوميديا المصرية أمثال نجيب الرحمانى وعلى الكسار بالإضافة إلى شالوم وفوزى الجازيرلى وشرنق وخالد شفيق ولحق بهم إسماعيل ياسين الذى أصبح نجما لامعا فيما بعد.

ومن الأنواع البارزة في هذه المرحلة على نحو لا نجد له مثيلا في المراحل التالية نوع الأفلام التراثية ومنها ما قام على أحداث تاريخية مثل شجرة الدر ٣٥.

صلاح الدين الأيوبي ٤١، كليوباترا ٤٣، مشمون الجبار وقبض مصر كلها ٤٨، ظهور الإسلام ٥١، اختصار الاسلام مصطفي كامل و حكم قراقوش ٥٢ والخرى دارت في جو تاريخي عام مثل وداد ٣٦، لىلى البديوى ٣٧، لاشين وشيء من لاشيء ٣٨، فنانير ٤٠، سلامة ٤٥، أمير الانتقام والعصر ٤٥، ومنها أيضا، قيس وليلى والف ليلة وليلة و زاسحة ومحاربات عنتر وعيلة وشهرزاد والشاطر حسن.

كما كان من الأفلام المميزة للمرحلة الأفلام الاجتماعية، ومن أبرزها العزيمة ٣٩، والسوق السوداء ٤٥، والثلاث العلام ٤١، ومنها أفلام قلب المرأة ، حياة الظلام، البؤساء ، الجليل الجديد ، بابا أمين، الولاكو ومديحة ، الأستاذة فاطمة، الاسكندر حسن.

وقلب على أفلام المرحلة الطابع الميلودرامى لإثارة مشاعر الجمهور. وكان جمال منكور أول من عالج قضية المهر والنفقة في فيلم «الحياة كلها» وكان الدفاع عن الفقراء يقابل من الجمهور بالتصميم. ومن الأفلام الميلودرامية البارزة فيلم «رجاء» إخراج عمر جميعى الذى وصلت الميلودراما فيه إلى اقصاها. وهذا ما جناه أبى، إخراج بركات ورغم غفلة الموضوع إلا أن التقنية والأداء جعل

الاستيعاب الواسع للأعداد الفيرة من جمهور السينما الذى يؤكد ازدهارها بدوره (٢ مليون عام ١٩٣٨ ثم ٤٢ مليون عام ١٩٤٦ ثم ٩٢ مليون عام ١٩٥١).

ويزداد هذا الاتساع لجمهور العرض إذا ما أضفنا التوزيع الخارجى، الذى بنا مع بداية السينما الناطقة وخاصة مع الأفلام الفئانية (الوردية البيضاء ١٩٣٣)

الذى حقق أكبر دخل لفيلم وقتها. وقد أخذ هذا التوزيع في التزايد على نطاق العالم العربى كله على أثر الإقبال على الأغاني المصرية التى ينفثها أصحاب الأصوات الفئانية لشهرة، ويوجد الشعب العربى في الفيلم مصرى تعبيرا عن روح قومية تريد أن تعلن عن نفسها، كما يقول أحمد يوسف في كتاب «مائة سنة سينما».

وتعتبر الأفلام الفئانية التى تم تطعيمها بالرقص الشرافى من أهم الملامح المميزة لأفلام هذه المرحلة، حيث أدى نجاحها التزايدى في الداخل والخارج إلى تزايد عددها بحيث أصبحت تمثل النسبة الأكبر بين أنواع الأفلام الأخرى التى تم إنتاجها في هذه المرحلة، كما شجع نجاحها المتتبعين على إثراء السينما بالعديد من الممثلين والمغنيات الذين قاموا بأدوار البطولة ووصل

١٩٥١ إلى ٥٢ فيلما، بينما لم يتجاوز ٧ أفلام عام ١٩٣٤. ووصل متوسط إنتاج الأفلام في الأعوام السبعة الأخيرة من المرحلة إلى ٥٠ فيلما في العام. وهو متوسط مرتفع لم تستطع السينما المصرية أن تحافظ عليه دائما ولم تتجاوزته إلا في حالات محدودة.

ومن مظاهر هذا الازدهار، التدفق البشري للعاملين في هذا المجال، ويكفى أن نذكر أن عدد المخرجين الجدد في السنوات السبع الأخيرة من هذه المرحلة بلغ ٤٥ مخرجا جديدا (مدخل إلى تاريخ السينما العربية - سمير فريد ٢٠٠١) ومنهم أسماء تركت بصماتها الواضحة في تاريخ السينما المصرية أمثال أحمد بدرخان وفازى مصطفى وكمال سليم ويوسف وهبى وحسين فوزى والذروجدى وركات وحسن الإمام وصلاح أبو سيف ويوسف شاهين. ومنهم من استمر عمله في المرحلة التالية (بعد ١٩٥٢) ومثلت أعمارهم دعائم السينما المصرية على امتداد تاريخها كله.

ولعل التزايد الكلى لنور العرض كما سبق ذكره يعتبر مؤشرا واضحا على

الخاص بإنتاج أى سلعة صناعية حديثة وهو توفر منافذ للتوزيع، وتشتمل هذه المنافذ بالنسبة للسينما في دور العرض التى أخذت في التزايد بعد عام ٣٥ حتى وصلت إلى ٣٤٠ دارا للعرض عام ١٩٥٢ ويمكن إدراك ضخامة هذا العدد بالنسبة لعدد السكان وقتها الذى لم يتجاوز ٢٠ مليون نسمة. وخاصة عند مقارنته بعدد دور العرض الآن التى تقل عن هذا الرقم رغم تزايد عدد السكان إلى أكثر من ٧٥ مليون نسمة

ولعل توفر هذه الشروط الأربعة لقيام صناعة السينما في مصر بداية من عام ١٩٣٥، لا يؤكد فقط أن هذا التاريخ هو البداية الحقيقية لسينما المصرية. وإنما يشير أيضا إلى الازدهار المبكر الذى حققته السينما المصرية في هذه الفترة

فى ما بين ١٩٣٥ - ١٩٥٢ .

## عن الازدهار المبكر

« بين النوعى والكلى »

يتجلى ازدهار السينما المصرية في المرحلة ما بين ١٩٤٥ و ١٩٥٢ في عدة مظاهر. أولا ارتفاع مستوى الإنتاج سواء من الناحية التقنية (التصوير والمونتاج خاصة) التى وطرها استديو مصر والاستوديوهات الجديدة الأخرى من بعده، أو من ناحية التعبير الفنى الذى تحقق بتوفير الكفاءة الفنية (الإخراج والتمثيل خاصة).

ومن الملاحظات أن بعض المراجع السينمائية تجمع على أن الفترة بين ١٩٣٥ و ١٩٤٥ تمثل فحر الازدهار الفنى للسينما المصرية، وتشمل المرحلة التالية ٤٥-١٩٤٢ مرحلة هبوط فنى بسبب التزايد الكبير لعدد الأفلام المنتجة التى أصبح معظمها يبدو حول موضوعات مكررة بعينها ولعلنا من ضعف البناء الدرامى، بينما أميل إلى وضعها مع الازدهار النوعى، وما يؤكد هذا هو تواصل إنتاج الأفلام الجديدة كما تكشف عنه قوائم أهم الأفلام المصرية على مدى تاريخها وتعرض لها تفصيلا فيما بعد والتزايد الكلى لنفسه في إنتاج الأفلام كان أحد مظاهر الازدهار البارزة في هذه المرحلة، فقد وصل الإنتاج عام

## القيمة الفنية ليست المعيار الوحيد لأهمية الفيلم. هناك من القيم الاجتماعية والسياسية والأيديولوجية وغيرها ما يضفي الأهمية على الأفلام

لمصطفى المصري



من الفيلم تحفة الموسم الفنية (رسالة في تاريخ السينما المصرية - جلال الشرفاوي).

### عن اختلاف معيار الأهمية،

حظيت مرحلة الازدهار المبكر للسينما المصرية فيما بين عامي ٣٥ و٥٢، بمعدن لا بأس به من الأفلام الهامة. ويلاحظ القارئ بوضوح أن هذه الأفلام تتواصل على امتداد المرحلة كلها، مما يؤكد وحدة المرحلة على خلاف ما ذهب إليه بعض الباحثين، ونحرص على ذكرها لنضعها في بؤرة الاهتمام لتكون موضعا للدراسة، ونعتمد في تحديدها على مصادر ثلاثة موثوق بها. وإن اختلفت معايير الأهمية في ما بينها.

في الاستفتاء الذي أجراه مهرجان القاهرة السينمائي الدولي عام ١٩٩٦ عن أهم مائة فيلم في تاريخ السينما المصرية، التي أصدرته مكتبة الإسكندرية مؤخرا يذكر منها ١٣ فيلما منها ٧ أفلام مكررة مع قائمة مهرجانات القاهرة، ويضاف ما ذكره سمير فريد في كتابه «مدخل إلى تاريخ السينما العربية»، عن الأفلام الهامة التي تخص هذه المرحلة يصل عددها «إجمالا» إلى حوالي ٥٠ فيلما.

يتميز كتاب «أهم مائة فيلم» إلى جانب ذكر بيان الفاعلين في الفيلم بتقديم ملخص قصة الفيلم ثم تحليل مركزه ليدكر فيه أسباب أهميته ومن ثم أسباب اختياره. ونكتفي بذكر المصحب الأهم منها.

الأفلام في حسب ترتيبها التاريخي الذي حافظ عليه ترتيبها:

- ١- نشيد الأمل عام ١٩٣٧ إخراج أحمد بدرخان أول أفلام المخرج الذي أصبحت له أهمية في تاريخ السينما المصرية، كما اسم الفيلم بتصريحات سينمائية مميزة.
- ٢- سلامة في خير ١٩٣٨ نيازلي مصطفى: أول أفلام المخرج، حوار بديع خيري، مشاهد مثيرة للضحك دون الاقتصاد على حوار، تمثيل نجيب الريحاني.
- ٣- عثمان وعلي ١٩٣٨ توجو مزרחي: يصل الفيلم إلى درجة ملحوظة من الإتقان، تمثيل على الكسار.

أهم أفلامها (مع عدم تكرار الأفلام التي سبق ذكرها) أفلام عبد الوهاب العنانية (٧ أفلام)، الهارب بدر لاما ١٩٣٦، ليلى بنت الصحراء ١٩٣٧، قبس وليلى وكلاهما إبراهيم لاما ١٩٣٩، وأفلام ليلى مراد (٧ أفلام منها ٥ إخراج توجو مزרחي)، العرسان الثلاثة ١٩٤٠ والف ليلة وليلة ١٩٤١ والفيلمان من إخراج توجو مزרחي، صلاح الدين الأيوبي ١٩٤١ إبراهيم لاما، عريس من استانبول ١٩٤١ يوسف وهبي، العامل ١٩٤٢، بنت الشيخ ١٩٤٣ والفيلمان من إخراج أحمد كامل مرسي، رابضة ١٩٤٣ نيازلي مصطفى، البؤساء ١٩٤٣، شهادة الغرام ١٩٤٤ والفيلمان من إخراج كمال سليم، ومن الأفلام الهامة في القسم الثاني

من هذه المرحلة، حسب تقسيم سمير فريد، (٤٥-١٩٥٢)، فامرات منزعجة ١٩٤٨، داليا في قلبى ١٩٤٦ والفيلمان من إخراج صلاح أبو سيف، شهزاد ١٩٤٦ فؤاد الجزائري، أفلام فريد الأطرش وخاصة حبيب العمر ١٩٤٧ ولحن الخلود ١٩٥٢ والاتقان من إخراج بركات، فتح مصر والشاطئ حسن ١٩٤٨ فؤاد الجزائري، فتاة من فلسطين ١٩٤٨ محمود ذو الفقار، أول فيلم سياسي، أوكولتو مدينة ١٩٥٠ يوسف وهبي، بلباي أمين ١٩٥٠ يوسف شاهين، بابا عريس ١٩٥٠ حسين فوزي، أول فيلم أبيض، ظهوا الإسلام ١٩٥١ إبراهيم عز الدين، أول فيلم ديني، الأستاذة فاطمة ١٩٥٢ فطيس عبد الوهاب.

ومن الملاحظ أن الأفلام التي سبق ذكرها تقتصر على اختيار فيها على الناحية الفنية، ورغم العدد الكبير المذكور منها فهو لا يعنى أنها الأفلام الوحيدة الهامة ومن حق أي ناقد أو مؤرخ أن يضيق إليها أفلاما أخرى يكتشف فيها قيمة فنية.

كما أن القيمة الفنية ليست المعيار الوحيد لأهمية الفيلم. هناك من القيم الاجتماعية والسياسية والأيديولوجية وغيرها ما يضفي الأهمية على الأفلام، والأفلام التي يتقبل عليها الجمهور كتعبير أهميتها من قيمتها في التعبير عن نطق الجمهور واتجاهاته حتى وإن تددت مستوياتها الفنية. وإن كانت القيمة الفنية تظل هي المعيار الأساسي لمكانة الفيلم في مسار التاريخ الفيلمي، إلا أن اختلاف المعايير يوسع/يقصر من نطاق هذه دراسة من الأفلام وغيرها على قدر ما بها من تنوع. ■

ونود أن إتقان التمثيل من مسرحية المامية.

١١- غزل البنات ١٩٤٩ أنور وجدي: درة الأفلام القتالية لمخرجها، جمع باقة من عملاقة السينما والفناء، يوسف بك وهبي وعبد الوهاب وليلى مراد، نموذج فريد لتمثيل نجيب الريحاني، والقصص والحوار لبدیع خیری.

١٢- مصطفى كامل ١٩٥٢ أحمد بدرخان: أول فيلم من حياة زعيم سياسي، أسلوب رصين في الإخراج، كتب قصته حتى رضوان.

١٣- لحن الخلود ١٩٥٢ بركات، يمتاز رغم تعدد الأغاني فيه بإيقاع جيد متوازن، وفكرة حقيقية على خلق جو رومانسي مشير، ربما كان أكبر نجاحات فريد الأطرش في مجال السينما.

أما الأفلام الهامة التي تخص هذه المرحلة ضمن قائمة استفتاء مهرجان القاهرة السينمائي الدولي، فيما عدا ما سبق ذكره فهي:

١٤- دنانير ١٩٤٠ أحمد بدرخان، سى عمر ١٩٤١ نيازلي مصطفى، أمير الانتقام ١٩٥٠ بركات الممثل رقم (١٣) ١٩٥٢ كمال الشيخ، زينت ١٩٥٢ محمد كريم، ابن النيل ١٩٥٢ يوسف شاهين.

ويقسم سمير فريد هذه المرحلة إلى قسمين الأول من ١٩٣٦ حتى ١٩٤٤ ومن

١٥- لاشين ١٩٣٨ فريتز كرامب: أضخم إنتاج في حينه وأول فيلم سياسي، مستوى فني غير مسبوق، عناية خاصة بالنيكيتورات.

١٥- العزيمة ١٩٣٩ كمال سليم: قدم صورة واقعية غير مسبقة، يعتبر نقطة تحول في تاريخ السينما المصرية، ذكره الناقد الفرنسي جورج سادول ضمن أحسن مائة فيلم في تاريخ السينما العالمية.

١٦- غرام وانتقام ١٩٤٤ يوسف وهبي، الضلم الثاني والأخير لأسفهان تمثيلا وفناء، ويصمم ستا من أغانيها الكلاسيكية.

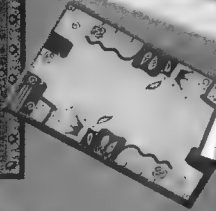
١٧- عنتر وعبد ١٩٤٥ نيازلي مصطفى، براعة في نوعية أفلام الفروسية والحركة.

١٨- السوق السوداء ١٩٤٥ كامل التلمساني: من كلاسيكيات السينما السياسية في مصر والعالم.

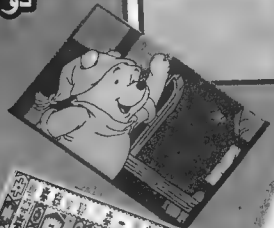
١٩- لعبة الست ١٩٤٦ ولي الدين سامح: فيلم جميل لا يملأ الجمهور به ثلاث أغنيات أصبحت من كلاسيكيات الفناء القوي... ويعتبر بامتياز من مصر الليبرالية ٢٠٠٠ ١٩٥٢.

١٠- الفاتح العام ١٩٤٦ أحمد كامل مرسي: من كلاسيكيات السينما المصرية كما هو مذكور في جميع المراجع.

سنة ١٤٢٥ هـ  
سنة ١٤٢٥ هـ

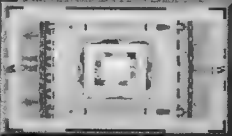
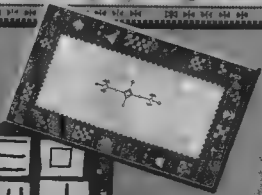


دواسات حمام



متواجد في مراكز بيع بواقى

قطع موكيت



سجاد أطفال



تصامير المنتشرة في كل ارجاء مصر

شرقي

مطبوع

مشايات

جادة صلي

www.maccaprl.com



# فرقت بالقوانين





الى بيت الرب نذهب

كنائس مصر

# كنائس مصر

مينا بديع عبد الملك  
تصوير: شريف سنبل

**لقد أهدت مصر إلى العالم المسيحي وإلى الحضارة ثلاثة مظاهر لذلك الإيمان الذي تغفل في قلوب المصريين واختلط بدماهم وهي: معلم اللاهوت والشهيد والناسك**



الكتاب بقولها. (أمل أن تشاركني في إعجابي ببساطة وجمال تلك الأماكن المقدسة التي صمدت لمئتين عديدة حامية للمسيحية في مصر في الماضي وهي البوابة نحو المستقبل).

## مصر والمسيحية

كلمة: أقباط، جاءت مباشرة من الكلمة العربية، أقباط، المحورة من الكلمة اليونانية: إيجيبتوس، أي، مصر، والتي جاءت بدورها من اللفظ الفرعوني القديم، هكيبتاح، التي هي أحد أسماء «مفخوس». وفي البداية كانت الكلمة تشير إلى غير الناطقين بالعربية غير المسلمين.

وكما يسجل أوسابيوس - في القرن الرابع الميلادي - أن القديس مرسس كثر بالمسيحية في الإسكندرية وكان أول من أسس كنائس في أرض مصر. بعد ذلك انتشرت المسيحية بالتدريج في أنحاء ريو مصر بفعل مدرسة الإسكندرية اللاهوتية التي تأسست نحو عام ١٨٠م والتي تولى إدارتها عظماء العلماء والعلمين والكتاب وذلك في نهاية القرن الثاني الميلادي وبداية القرن الثالث والذين منهم بثنيسيوس وكليمنس وأوريجانوس وبوسنيوس. فمدرسة الإسكندرية هذه كانت ميداناً تجلى فيه بشكل واضح حيوية الكنيسة المصرية من الناحية الفكرية، إذ تكون فيها للمرة الأولى آداب مسيحية وأقراة الحصول، قوية المبنى، ويحتوي تاريخها على صفحات رائعة تعلم الكنيسة الأوائل، تلك الشخصيات التي ذاع صيتها وتركت لنا آثاراً خالدة كانت الإسكندرية في ذاك الوقت من أكبر مدن العالم، هي ملقبة ثلاث قارات، وكانت المركز الرئيسي للثقافة الفلسفية في ذلك العالم بعد أن تسبورت

والساحلين والكنائس والأماكن المرتبطة بزيارة العائلة المقدسة لهذا البلد العظيم مصر. كما تأثرت أيضاً ببساطة إقتناحية التي كانت عليها الكنائس الأولى في مصر التي على النقيض تماماً من الكنائس القائمة بالمرمر والحلابة بالذهب والموجودة بكنائس روما. فالكنائس الأولى مبنية من الحجر الجيري والطوب وأسقفها مصنوعة من الخشب واللونها متطابقة مع رمال الصحراء الشاسعة المحيطة بها، وأيقونتها اللاعبة معلقة على شيايبك خشبية أو بداخل قبو صغير بالهيكل القدس والتي يمكن - في بعض الأحيان - رؤيتها بصعوبة.

قصة زيارة العائلة المقدسة لأرض مصر جاء ذكرها بالتفصيل في إنجيل القديس متى ومنها نستنتج أن العائلة المقدسة أقامت في مصر نحو ثلاث سنوات ونصف السنة. في عام ٢٠٠٠م اهتم قداسة البابا شنودة الثالث ومعه أساقفة الكنيسة القبطية بالاستقبال بهذه الزيارة التاريخية والتتبع الدقيق لمسار هذه الزيارة. لهذا اصطحب معي المصور الفنان شريف سنبل ليسجل بضع صور هذه الأماكن المقدسة والتي تم طبخها في هذا الكتاب. ثم اختتمت قصتها في تسجيل هذا

القسم الثاني: خاص بكنائس مصر العليا والموجودة بالحد الأدنى، الفيوم، بني سويف، المنيا، أسيوط، أخميم، سوهاج، نقادة، الأقصر، أسوان، بالإضافة إلى أديرة البحر الأحمر.



بأسلوب شيق تعرض كارولين لوديفج قصة هذا الكتاب الذي قامت بإعداده ومتابعة طباعته فتقول: خلال زيارتي للعديد لأرض مصر في الخمس والعشرين سنة الماضية، أعجبت شديد الإعجاب بالحضارة المسيحية التي نسجت عبر التاريخ بتاريخ مصر. هذه العظمة يعود تاريخها إلى الأيام الأولى للمسيحية في مصر حينما ضرب إليها - قادمة من الناصرة - العائلة المقدسة هرباً من بطش الطاغية هيرويس. ومن هنا أصبحت هذه الزيارة جزءاً أساسياً في الثقافة المصرية المحبوبة لدى المسيحيين والمسلمين على حد سواء.

لقد تأثرت كثيراً بالتواحي الإنسانية الرائعة في الروايات التي مازالت تتردد عن تلك الأيام التي قضاه السيد المسيح في أرض مصر بالإضافة إلى اهتمام المصريين

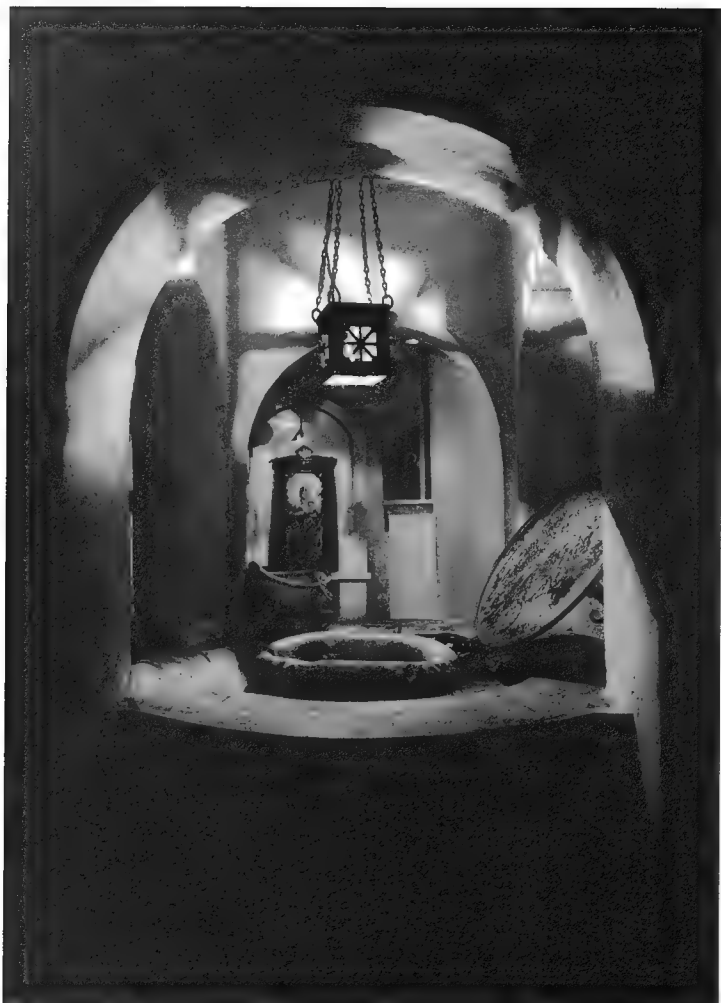
■ ■ ■ كتاب من القطع الكبير يقع في حوالي ٢٢٥ صفحة مزود بأكثر من ٢٠٠ صورة بعدسة المصور الفنان شريف سنبل، قام بتحرير مواد العلمية، جودت جيرة، المدير السابق للمتحف القبطي بالقاهرة والمؤلف للعديد من الكتب التي صدرت عن دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة في موضوعات مصر المسيحية، كنوز الفن القبطي الموجودة بالمتحف القبطي بالقاهرة، وحالياً يعمل أستاذاً زائراً في الدراسات القبطية بمعهد كليرمونت بولاية كاليفورنيا الأمريكية. أيضاً - جرتروود فان لون، المتخصصة في الفن القبطي والآثار القبطية، وتعمل حالياً بجامعة ليند الهلوندية. وقام بإعداد الكتاب ومتابعته طباعته كارولين لوديفج مؤلفة كتاب كنائس لوس انجلوس الصادر عام ٢٠٠٣.

بعد المقدمة وتاريخ المسيحية في مصر الذي سجله جودت جيرة، عمارة الكنائس القبطية التي سجلتها دارلين بروكس هدستورم، الفن في الكنائس القبطية التي سجلتها جرتروود فان لون، ثم عرض شامل للكنائس في مصر بقسمين:

القسم الأول: خاص بكنائس مصر السطى وسيناء. وهذه الكنائس موجودة بالحد الأدنى: بوسعيد، بلفاس، الإسكندرية، سخا، القاهرة، بالإضافة إلى أديرة وادي النطرون ثم سيناء.

The Churches of Egypt: From The Journey of the Holy Family to the Present day

(كنائس مصر: من رحلة العائلة المقدسة حتى اليوم)  
Gawdat Gabra, Gertrud J. M. VanLoon, Carolyn Ludwig  
Photographs: Sherif Sonbol  
American University in Cairo  
Press, 368pp., \$59.95, 2007



## القديس مرقس كرز بالمسيحية في الإسكندرية وكان أول من أسس كنائس في أرض مصر. بعد ذلك انتشرت المسيحية بالتدريج في أنحاء ريو مصر بفصل مدرسة الإسكندرية اللاهوتية التي تأسست نحو عام ١٨٠م

الآلات، بالإضافة إلى أشكال للصليب المقدس. هذا بالإضافة إلى حصر بعض مناظر القديسين. أما على العمود القبطي فقد تمت زخرفته بأشكال الرموز القبطية المتنوعة.

اما بالنسبة للاديرة فالدير - من الناحية المعمارية، هو عبارة عن مجموعة من الأبنية المتعددة ذات الطابع الديني، وهو يضم بداخله مجموعة من الأبنية تشمل الكنائس والقلل والحصن والمائدة والطواحين والكنبة، بالإضافة إلى الأسوار والتي تعد من العناصر المعمارية المهمة وهي التي تحيط بالعناصر المعمارية الداخلية، وتبنى عادة بارتفاع كبير حتى لا يمكن تسلقها أو اختراق الجدران. ومعظم أسوار الأديرة القديمة بنيت من مادة الطوب اللبن مثل سور دير القديس الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر، وذلك لجودة مادة الطوب

### عمارة الكنائس

ينحصر تخطيط الكنيسة عامة في ثلاثة أنواع رئيسية، هي التخطيط البيزنطي والتخطيط القبطي، والكنيسة القبطية استخدمت عناصرها من الطرازين البيزنطي (الذي تعود أصوله الأولى إلى أنواع العمار الرومانية القديمة التي كان يمثلها أساساً مساحة العدل عند الرومان) والبيزنطي (الذي استمد اسمه من اسم الدولة الرومانية الشرقية أو البيزنطية)، تخطيط الكنيسة القبطية قائم أساساً على البازيليكا، وأهم التغييرات المعمارية التي طرأت على جوهر التخطيط البيزنطي تكمن في النهاية الشرقية من جسم الكنيسة، ففي النهاية الشرقية من جسم الكنيسة توجد عدة هياكل يختلف عددها من كنيسة إلى أخرى، وإن كان يغلب وجود ثلاثة هياكل في البهاء الكنسي، بينما يوجد في بعض الأحيان خمسة هياكل وأحياناً سبعة هياكل. كذلك توجد لكل هيكل من هذه الهياكل عناصر معمارية ثابتة تتمثل في: حنية صغيرة تتوسط الضلع الشرقي للهيكلي، يتقدم هذه الحنية مدج رخامي، يغطي هذه الهياكل قباب لها مميزات خاصة. كما تفصل هياكل الكنيسة في الناحية الشرقية من جسم الكنيسة الرئيسي في الناحية الغربية بواسطة أحجية خشبية تعرف باسم - حامل الأقنوتات، وتعد هذه من أرق خصائص الكنيسة القبطية.

ومن العناصر المعمارية الثابتة في الكنيسة القبطية، تيجان الأعمدة القبطية. فالعمود القبطي يتألف من ثلاثة أجزاء، القاعدة، الجذع، والتخت. وتخت قاعدة العمود القبطي الشكل المربع أو المستطيل ويتخلله زخرفة محصورة بنقاية أو هندسية. أما بدن العمود القبطي فتتميز بوجود زخارف مختلفة جمعت بين الكتابات القبطية والزخرفة النباتية وأهمها أوراق

شكى علماء مدرسة الاسكندرية اللاهوتية من استحداث ما نسميه الآن باللغة القبطية، التي هي في الواقع اللغة المصرية الدارجة لذلك العهد، كتبت بحروف اعرقيه. واصبحت اليها سبعة حروف مأخوذة عن الديموطيقية. ثم وضعت لها قواعد النحو والهاء. فكان عملاً هتياً رائعاً، قام به ولا شك لعويون على جانب كبير من الخبرة اللغوية، ويقطن ان بنتنوس كان احدهم

ما ان اشرق القرن الثالث الميلادي حتى بدأ بعض المسيحيين يولون ظهورهم للعالم، ويتوغلون في الصحراء، ليتفردوا في خلوة مع الله، وليعضوا البقية الباقية من حياتهم، في صوم وصلاة واسراع ان انتشرت هذه العادة في أرض مصر. وبعد تلك الحياة المرحمة، حياة الدعة والترف التي اشتهر بها المصريون في عهد الوثنية، انقلب كثير من المصريين، في تلك الأيام - إلى نساك يعيشون في الصحاري والقفار في فقر وجهاد. ويقضون معظم أوقاتهم في صلوات وانتالات، بالإضافة إلى أعمال يدوية ليقناعتها منها

مؤسس الرهبنة المسيحية هو الانبا انطونيوس لا سبب انه كان الأول الذي تودع في الصحراء، إذ سبقه آخرون إلى ذلك أهمهم الانبا بولا. ولكن بسبب كونه الأول الذي تجمع حوله جمهور من النساك برغبة اتباع تعاليمه، لم يكن لهم من قوانين سوى ما نصليه عليهم ضمنانهم وكانوا يتتبعون خطوات معلمهم في القيام بواجبات النساك والعبادة. واستمرت الحال كذلك إلى ان قام بتنظيم تلك الحياة القديس الأنبا باخوم بقوانينه وانظمته الرهبانية الرهبانية. لقد أصدرت مصر إلى العالم المسيحي وإلى الحاضرة ثلاثة مظاهر لذلك الإيمان الذي تغلغل في قلوب المصريين واختلط بدمائهم وهي: معلم اللاهوت والشهد والناسك.

الكلمة الأدبية لأثينا. فكانت تصب فيها الفيدات المصرية من الشرق والغرب، فحوت أناساً من أهم مختلفة، نتج من احتكاك أفكارهم وأخلاقهم ودياناتهم وغلغليهم ريد عجيب. فكانت فيها مدارس فلسفية وثنية كان يتردد فيها على وجه الخصوص اسم افلاطون. ومدرسة فلسفية يهودية يرأسها الفيلسوف فيلون الذي كان معاصراً للقديس بولس الرسول، كان متشبعاً بالفلسفة الأفلاطونية ومتعمقاً في دراسة الكتاب المقدس.

وعندما جاء القديس مرقس إلى مدينة الإسكندرية وجد نفسه أمام مناهج فلسفية يهودية أو وثنية، فكان عليه أن يوضح ما يتناهى من مناهج هذه الفلسفات مع تعاليمه، وبذلك تجنب القديس مرقس منذ بدء نشاطه في الإسكندرية أن تتخلط تعاليم المسيحية أو متزج بالمداهب الأخرى التي كانت منتشرة، وضمن بقاءها وسط ذلك الخضم ديانة سماوية قائمة بذاتها. من هنا كان دور مدرسة الإسكندرية في البداية هو إعداد الدخائين في المسيحية سواء من اليهودية أو الوثنية، وكان على علمائها أيضاً الدفاع عن المسيحية ضد مهاجميها، وإلى علمائها يرجع الفصل في محاربة الهرطقة التي انتشرت في القرن الثاني في الإسكندرية وأهمها المنوطلية والأفلاطونية الجديدة بعد ذلك، حتى ان الإمبراطور هادريان - الذي زار الإسكندرية حوالي عام ١٣٠م - قال: زينا لا نجد هناك كهنة مسيحيين لم يكونوا علماء ورياضيين.

كانت البشارة بالمسيحية أولاً في الإسكندرية باللغة اليونانية، وكان لايد من إيصالها إلى المصريين الذين يتكلمون القبطية، ويكاد يكون مؤكداً أن اللغة المصرية كانت لغة التبشير في الدلتا، وكان ذلك مؤكداً دون شك في مصر العليا، ولم ينته القرن الثاني حتى كانت المسيحية قد انتشرت انتشاراً واسعاً بين المصريين الوطنيين، ولذلك



اللين والتي تقاوم البرودة والحرارة هي أن واحد.

## الفن في الكنائس القبطية

تميزت الكنيسة القبطية بالبراعة في استخدام مادة الأخشاب الجيدة في صنع وزخرفة ما يعرف بالأحجية الحشبية (حامل الأيقونات) والتي تفصل هياكل الكنيسة في الناحية الشرقية عن الأروقة الطولية في الناحية الغربية، وهي بذلك قد انضمرت في هذا العنصر المعماري الزخرفي عن الكنائس المسيحية الأخرى. زخرف الفئان كل الحشوات الخشبية على مسطح حامل الأيقونات، بواسطة الحفر البارز العميق، وقد شملت هذه الزخارف مناظر أدمية وحيوانية وأشكال الطير ونباتية وهندسية. هذه الأشكال

المتعددة من الزخارف كان يقصد من ورائها توضيح العقيدة المسيحية وإبرار دور شهداء الكنيسة فيها، بالإضافة إلى ما عرفه في الفن القبطي من استخدام الرمزية ولاسيما في أشكال الحيوانات والطيور.

هنا الزخارف النباتية تظهر الأوراق النباتية المختلفة كالورقة ذات العنصر الواحد والعصين وأوراق العنب الثلاثية والخماسية والمحاطة بتصريمات نباتية والمراوح النخيلية وأصنافها. كذلك الأوراق التي تظهر بها التعرقات النخيلية والمقوب قصها الأوسط والورقة الأكاسية الثلاثية والأوراق الرمحية وتمرة الزمان، وغير ذلك من العناصر النباتية العديدة التي تظهر بكل وضوح بكنائس منطقة مصر القديمة.

وفي الزخارف الأدمية والحيوانية، نجد أن الحشوات التي تزئنت بها

الأحباب تمثل شخصيات دينية ذات تاريخ مهم، يتضح فيها عدم مراعاة النسب التشريحية لحجم الإنسان. حيث تعتمد الفنان القبطي حصر الشخصيات الرئيسية بحجم أكبر من الشخصيات الثانوية. ومن أمثلة هذه الحشوات: حشوة الميلاد التي تمثل قصة ميلاد السيد المسيح وهو موضوع شاع وجوده على التحف المختلفة، وحشوة العشاء الأخير أو العشاء السري وهو يتعلق بالشهد الأخير من حياة السيد المسيح، وحشوة تمثل قدسيا على صهوة جواده وهي بذلك تمثل حال القديس العارص كالتصامير المسيحية على الوثنية وتحليله ذكرى هؤلاء القديسين الذين كان لهم دور كبير في الاستشهاد المسيحي. أما أشكال الطيور فقد كان تظهر الطاووس القليلة على بقية الطيور إذ إنه يرمز إلى الفردوس.

أما في الزخارف الهندسية والكتاتبية

فإنه من المعروف أن الفن القبطي ياتي في مقدمة الفنون التي تميزت بوضوح الزخرفة الهندسية. إلى حد كبير، وفي هذه الزخارف تظهر أشكال الدوائر وأنصافها والمربعات والمعينات والمستطيلات والأشكال الخماسية والسادسية والأشكال العقود بأصواعها المختلفة والأشكال النجمية والمتعددة الرؤوس وأشكال الأواني والزهريرات، بالإضافة إلى استخدام عنصر الصليب في الزخرفة.

وفي الزخارف الكتاتبية، فإن الكنيسة القبطية تميزت بكتاتبتها بوصف الطابع الكنسي، سواء في الكتابات القبطية أو العربية. إذ إنها مستمدة من الكتاب المقدس. فمن أمثلة الكتابات التي تزخر بها الكنائس، هרכת بالقائلين إلى بيت الرب نذهب..



## نماذج من الكنائس

(أولاً): كنائس منطقة مصر القديمة  
(١) كنيسة القديس مرقوريوس. تقع هذه الكنيسة شمال حصن بانيليون وتحمل اسم الشهيد القديس مرقوريوس المعروف بابى سيديس.

هذه الكنيسة الكبيرة تتميز بكثير من العناصر والتفاصيل المعمارية والزخرفية والتي تجعلها تختلف عن كثير من كنائس منطقة مصر القديمة. الكنيسة بها ثلاثة مداخل متماثلة. ويقابل المدخل الأوسط محور حنية الكنيسة الرئيسية. يملو لداخل الصنف الأول من فحات التوافد، حيث يشاهد ثلاث نوافذ متماثلة، يتكون كل منها من فتحيتين مستطيلتين الشكل، يتوسطهما عمود رخامى له تاج وقاعدة. ويمطو النوافذ عتب خشبى.

تنشئ أروقة الكنيسة الرئيسية فى الناحية الشرقية منها بثلاثة عقود كبيرة ممتدة تفتح على الهياكل الثلاثة، الأوسط منها هو عقد الحنية الرئيسية. ويتميز بإرتفاعه عن العقدين الجانبيين، ويرتكز هذا العقد على عارضة خشبية سمكية تقوم على عمودين رخاميين تيحانها كورنثية الطراز.

(٢) كنيسة أبى سرجة. تقع هذه الكنيسة وسط الحصن الرومانى تقريبا، واتخذت تسميتها على اسم قديسين لهما شهرة كبيرة فى تاريخ الاستشفاء الدينى المسيحى فى أوائل القرن الرابع الميلادى وهما القديسان سرجيوس وواخس اللذان استشهدا فى عهد الإمبراطور الرومانى مكسيميانوس. وفى هذه الكنيسة أحضرت العائلة المقدسة: أثناء زيارتها لمصر، بالغيرة التى تقع أسفل الكنيسة.

والكنيسة من الناحية المعمارية تتكون من وحدتين أساسيتين، الكنيسة الكبيرة الرئيسية ومغارة الكنيست. فالكنيسة الرئيسية مستطيلة الشكل تتكون من الواجهة والأروقة الداخلية الراسية والمستعرضة ثم فى النهاية الشرقية من البناى حنية الكنيسة الرئيسية. يعلو المدخل الأوسط الرئيسى والمدخل الجوى نافذتان تتكون كل منهما من فتحة مستطيلة من الرخام المخرق بالزخارف الهندسية ويتوسطها عمود رخامى له تاج وقاعدة هرمية الشكل، كما يعلوهما عتب خشبى يبدأ من عتده الطابق الثانى للكنيسة.

أما مغارة الكنيسة فتقع على عمق ٩٠.٣ متر من مستوى الرضفة الكنيسة، وتخطيطها مستطيل ويبلغ ارتفاعها ٤٠.٢ متر محصورة فى صخر جبل المنطقة ويعطيا قبو حجرى محدب. وهى مكونة من ثلاثة أروقة راسية، وتتميز أعدها هذه المغارة بوجود طراز معين لتكفيها باستثناء عمود قديم واحد من الطراز الكورنثى.

(ثانياً): كنائس وأديرة مركز نقادة  
تبنى من عائل الأديرة والكنائس هى مركز نقادة حاليا سبعة أديرة، حيث تقع فى الناحية الغربية وتكاد تكون على محور واحد من الشمال إلى الجنوب فى الصحراء الشاسعة، وفى جبل معروف عند الأقباط باسم -جبل الأساس المقدس-، فقد كانت هذه الصحراء فى وقت ما مأهولة بنسك ومتعبدين مثل القديس إيليا (قديس جبل بيشوا)

والقديس صموئيل (قديس جبل نهدي)، وقد ورد فى الكتاب عرض رابع لخمسة أديرة من مجموعة أديرة مركز نقادة وهى: دير الصليب، دير القديس اندراوس (المسروف باسم اندراوس أنواليف)، دير مارجرس، دير القديس بستاناوس، دير القديس بقطر، ودير الملك ميخائيل.

(١) دير الصليب: يقع هذا الدير حاليا فى قرية حاجر دنفق - إحدى قرى مركز نقادة، يمتد هذا الدير بوجود ثلاث كنائس على صف واحد من الناحية الشرقية من سور القديس أهمها الكنيسة الجنوبية من الناحية المعمارية، هسى مستطيلة الشكل مقسمة إلى ثلاثة أروقة راسية تنتهى من الناحية الشرقية بثلاثة هياكل، والهيكل الرئيسى للكنيسة مغطى بقبة. يقسم أروقة هذه الكنيسة صال من البنايات إلى ثلاثة هياكل، بكل صف مجموعة من الأعمدة الحجرية، حيث

يقوم فوقها عقود حجرية نصف دائرية الشكل تحمل باب الكنيسة.

(٢) دير مارجرس المعروف بدير الجمع: هذا الدير يعد من أهم أديرة مركز نقادة من الناحيتين التاريخية والمعمارية. تسميته بدير الجمع ربما يعود إلى أنه الدير الوحيد بالمنطقة الذى يوجد به خمس كنائس قديمة والتي اختصت ببعض الظواهر المعمارية الصرية فى الكنيسة القبطية. وهذا الدير يتوسط أديرة جبل الأساس المقدس، وفيه كان يتم جميع المؤن الخاصة بهذه الأديرة وتوزيعها عليها. (٣) دير القديس بستاناوس: يقع هذا الدير عن دير الجمع بحوالى مائتى متر، إلى الجنوب الشرقى منه. ويعد القديس بستاناوس من أشهر قديس مصر العليا عامة ومنطقة نقادة خاصة، فقد كان أسقفاً لمدينة قبطى فى القرن السابع الميلادى.

تعتبر كنيسة هذا الدير الأثر الوحيد الباقى حالياً من أثار عمارة الدير القديم، بالإضافة إلى بقى الدير القديم.

الكنيسة من الداخل مقسمة إلى ثلاثة أروقة راسية، تنتهى فى الناحية الشرقية منها بثلاثة هياكل متميزة، الهيكل الأوسط يتميز بسقف جدرانته فى الناحية الشرقية والذي يصل إلى حوالى مترين!! وقد فصل هذا الهيكل عن الهيكلين الجانبيين فى الناحيتين البحرية (أى الشمال) والقبلىة (أى الجنوب) بواسطة جدران قصيرة لا يتعدى ارتفاعها ١.٣٠متر، الهيكل البحرى يتميز بجوفى جداريه الشرقى والبحرى ويتوسط الجدار الشرقى حنية مماثلة لحنية الهيكل الأوسط، أما الهيكل القبلى فهو يشبه الهيكل البحرى إلا أنه يوجد به مدخل قديم صممت بيلع ارتفاعه ٧٥ سم كان يعلوه فى الأصل عقد نصف دائرى الشكل، وذلك فى الجدار القبلى. يعطى هذا الهيكل قبة مماثلة للقيتين السابقتين اللتين لعلوان الهيكل الأوسط والبحرى.

أما بئر الدير القديم فتقع فى الناحية الجنوبية الشرقية بالنسبة لكنيسة الدير وهى بئر واسعة يبلغ قطر فوهتها حوالى ٤م ويتوسطها عقد قديم نصف دائرى.

الكتاب فى مجمله رحلة شيقة إلى كنائس مصر المختلفة وأديرتها وبالأخص فى الأماكن التى زارها العائلة المقدسة واستقرت بها فترة من الزمن، بالحقيقة سجل إشتعاء النسي كلمته المناشورة، «مبارك شعبى مصر»





# ”أن تورث الحكم لشخص ما.. فكأنك تورثه شعباً“

by James Gillray, Published by: H Humphrey, March 2nd 1795





# كما يُورثُ قطيعاً من الأغنام أو البقر

توماس بين،

## قصة ديموقراطية

محمد يوسف عدس

عن مدى كراهيته للانتخابات العامة وعمق التماثل الطبقي وعطرسه واحتقاره (للعوام) الذين أدلوا بأصواتهم لأول مرة في انتخابات البرلمان الفرنسي إذ وصمهم بأنهم مجرد فلاحين (جراييع) لا يهتمون بالحكمة التي تتمتع بها الصنوعة وفي هذا يقول: «المثقفون وحدهم هم الذين يمكنهم اكتساب الحكمة.. هؤلاء لديهم متسع من الوقت ويستمعون للاسترخاء والتأمل.. فكيف يكسب الحكمة من يسير خلف المحرث وهو مشغول بالعمل اليدوي طوال الوقت.. وكل حديثه لا يدور إلا حول الشيران والافشار...» كان إدموند بورك يسخر من مطالعة الفقراء والبسطاء بحقيهم في اتخاذ القرارات السياسية والمشاركة في القسام الثروة الوطنية. فمن رأيه أن هذه أمور تخص «الغنى المالكه هالمملكية عنده هي معيار القيمة الأعلى للإنسان (قل لي كم تملك أقل لك كم تساوي) وبناء على هذه النظرية المادية الخالصة يعتبر أن الغنى العاطل هو النموذج الأعلى للإنسان.

رداً على هذا الموقف العنصري المضرط في علولائه ألف توماس بين، كتاباً نشر في فبراير سنة ١٧٩١، بعنوان حقوق الإنسان، يعتبر من أشهر الكتب التي ظهرت في تاريخ بريطانيا كله.. اقتتح الكتاب بهجوم كاسح على صديقه السابق بيرك والتهمة بأنه منموم تشويسياً مغتاطيسياً.. فهو عاجز عن أن تمتد رؤيته الطبقيّة خارج النظام الملكي الساقط في فرنسا.. ولا يستطيع أن ينتزع حباله المتسمر في النظام البرلماني العفن في

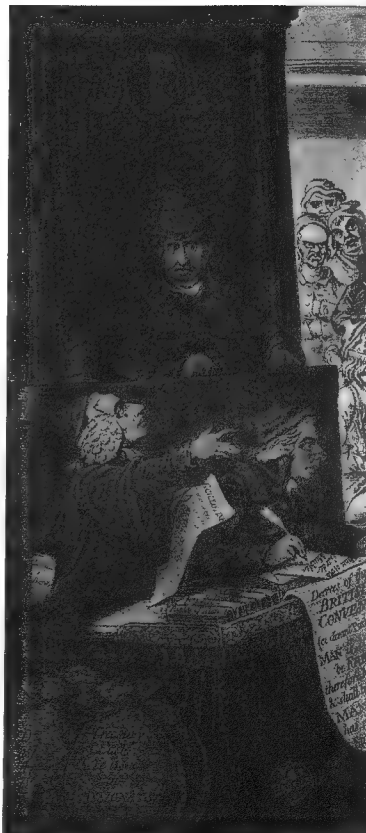
■ ■ ■ توماس بين، الكاتب البريطاني كان واحداً من أعظم الكُتّاب الثوريين في القرن الثامن عشر.. لم يقتصر تأثيره على بريطانيا فقط بل امتدّ تأثيره إلى الثورة الفرنسية التي انطلقت في صيف عام ١٧٨٩ وإلى الثورة الأمريكية ضد الاحتلال البريطاني (١٧٧٦-١٧٨٤) رحل إلى باريس ليفدى ليهيب الثورة هناك كما لحق بصديقه جورج واشنطن لينخرط معه في العمل الثوري بقلمه ونمسه.. كان له أسدقاء آخرون في كل من بريطانيا وفرنسا، ظن في مرحلة مبكرة أنهم يشاركونه فكره الإصلاحى الديمقراطية، ولكنه وجد نفسه في تصادم مباشر معهم عندما اكتشف حقيقة توجهاتهم العنصرية وعدلهم الحرية والديمقراطية، من أشهر هؤلاء الماركيز دى لافايت، الفرنسي و إدموند بورك، عضو البرلمان البريطاني.. نشر الأخير كتاباً بعنوان:

أعلام في الثورة الفرنسية، عبر فيه

The Vote: How It Was Won and How It Was Undermined  
Paul Foot  
Not Avail, 2005

—  
CAPTIVE STATE, the corporate takeover of Britain  
George Monbiot  
Macmillan (2000)

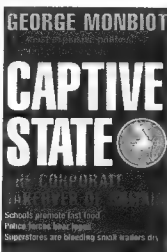
—  
The Blair Revolution  
Peter Mandelson and Roger Liddle  
London, Facer, 1996





.. لم تتطرق التصريحات الرسمية أبداً إلى الأسباب الحقيقية لفلاء العيشة والاستبعاد والقهر...

سول هود



الحكومة عليهم بالسجون أو الغرامات وغالباً ما كن يرفضن دفع الغرامات فيودعن في السجن

تطورت حركة النساء السياسية لتتبع قمة اشتغالها في عامي ١٩٠٨ و ١٩٠٩م. وفي هذا كتبت واحدة من رائدات الحركة النسائية في بريطانيا تصف هذه الحالة من تاجح المحاسن

شعريا في ذلك الوقت بأننا جره من حركة الحياة المدهشة فأصبح لنا هدف ومعنى نسعى لتحقيقها. كنا نتحرك في كل مكان ونوع مشنرات ونحدث إلى الناس لنشر قضيتنا... وفي ٢١ يونيو سنة ١٩٠٨ دعا الاتحاد النسائي إلى اجتماع في هايد بارك، وصف ناه أكبر اجتماع نسائي حدث في تاريخ بريطانيا. احتشد فيه مئتان وخمسون ألف متطاهرة، وبرزت هناك مظاهرات جماهيرية يتكلم قوة البيان وسحره مما جعل أعداء الحركة ينهضون إلى قوة النقطة ويتقاطعون مع أهداف الحركة النسائية.

ومما هو جدير بالذكر كدليل على الإصرار والاستعداد للتضحية أن النساء كن إذا قبض عليهن لا يتسلطن على يعضن لقهر الشرطة بل كن يتحدن السلطات ويرفضن دفع الغرامات ويؤثرن على ذلك الإصرار وهذا ما زاد من تاجح الحركة النسائية بالعصب والشوة صد الأوضاع القائمة.

استمر الصدام واستمر إبداع النساء في المظاهرات والسجون حيث كثر عددهن هيدات حركة إضرابات نسائية داخل السجون لسوء المعاملة. وشمل هذا الإضراب عن الطعام مما اضطر سلطات السجون إلى اللجوء لقهر النساء على تناول الطعام بالقوة دون جدوى.

وأما من هذا أن يتشبتن بحققن ان يكون لهن رأى خاص مستقل عن أروجهن... ثم يستفكر متعجبا: «ماذا يحدث لو أن المرأة خالفت رأى زوجها. إنها لصعبة؟! والأسوأ من كل هذا أن تشب الزوجة ضد رغبة زوجها... ويخلص الرجل إلى التفتية المنطقية فيقول: «وعلى ذلك لا بد من منع المرأة من التصويت في الانتخابات...»

هستمد النساء حبا عن وفقهن وعواطفهن وكذا مقلاتهن المنزلية... وهكذا هزم مشروع جون استوارت...!

لا في البرلمان ولكن فقط في المجالس المحلية. ومع قانون التعليم الصادر سنة ١٨٧٠ حصلت النساء على حق التصويت

كان لا اعتقاد السائد بين الرجال في ذلك الوقت لا يزال متأثرا بأفكار طرحها عضو برلمان سابق سنة ١٨٧١ قال: «ينبغي على المرأة المتزوجة أن تمنح زوجها كل ما تملك بما هي ذلك نفسها في السراء والصراء على السواء... وينبغي عليها أن تكون تحت سيطرة زوجها بصفة كلية ومطلعة. ليس فقط فيما يتعلق بملكاتها ولكن في كل ما يتصل بحركتها الشخصية... فإذا تمرت علم فإن من حق زوجها أن يحبسها...»

يتابع قائلا: «ويرى بعضهم ضريها. إلا أني لا أنصح بذلك. وإذا سألتني أحدهم باعتباري محاسبا قانونيا فلن أنصحها بالصبر... ولكن لا شك عندي أن الزوج له حق الهيمنة الكاملة على شخص زوجته وعلى ملكاتها...»

ويحاجج «هنري إيرتون، عضو البرلمان البريطاني لا ضد حق النساء فقط بل بلحقه بحق الفراء أيضا فيقول: «لو أن كل إنسان حصل على حق التصويت فإن الأغلبية الفقيرة ستلجأ إلى مصادرة ممتلكات الأغنية... وعلى هذا المنوال أحتج عضو آخر بقوله: «إذا نالت النسوة حق التصويت فسوف تسمح الزوجات ملكياتهن من الأرواح»

#### ظهور الطبقة العاملة النسائية:

ظهرت الطبقة العاملة النسائية في بريطانيا في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين... ووجدنا نساء يقتنمن البرلان والأجتماعات الحزبية العامة ويعلنن بالكلية... أو يصنن في وجه أعضاء البرلان: «لم لا تمنحن المرأة حق التصويت...» وهنا تدخل الشرطة لتخرج النساء من قاعة البرلان ويقيصن عليهن ثم تقدمهن إلى المحكمة بتهمة (تعزيز صمو السلم الاجتماعي) فتحكم

١٩١٨ قدم الميلسوف (عضو البرلان) حول استيوارت مل. مشروعا لمنح المرأة حق التصويت... وتلاحظ هنا أن عوامل على علاقة الرجل بالزوجة بعيدا عن معايير العصرية البريطانية المتمثلة في الأرستقراطية البريطانية... بعيدا عن صراع الأغنياء مع الفقراء... صراع المالكين مع المخدمين... فقد ساد خوف الرجال من أن إعطاء المرأة حق التصويت قد يؤدي إلى أن يفقد الرجال سيطرتهم على ممتلكات زوجاتهم

كان الاعتقاد السائد بين الرجال في ذلك الوقت لا يزال متأثرا بأفكار طرحها عضو برلمان سابق سنة ١٨٧١ قال: «ينبغي على المرأة المتزوجة أن تمنح زوجها كل ما تملك بما هي ذلك نفسها في السراء والصراء على السواء... وينبغي عليها أن تكون تحت سيطرة زوجها بصفة كلية ومطلعة. ليس فقط فيما يتعلق بملكاتها ولكن في كل ما يتصل بحركتها الشخصية... فإذا تمرت علم فإن من حق زوجها أن يحبسها...»

يتابع قائلا: «ويرى بعضهم ضريها. إلا أني لا أنصح بذلك. وإذا سألتني أحدهم باعتباري محاسبا قانونيا فلن أنصحها بالصبر... ولكن لا شك عندي أن الزوج له حق الهيمنة الكاملة على شخص زوجته وعلى ملكاتها...»

ويحاجج «هنري إيرتون، عضو البرلمان البريطاني لا ضد حق النساء فقط بل بلحقه بحق الفراء أيضا فيقول: «لو أن كل إنسان حصل على حق التصويت فإن الأغلبية الفقيرة ستلجأ إلى مصادرة ممتلكات الأغنية... وعلى هذا المنوال أحتج عضو آخر بقوله: «إذا نالت النسوة حق التصويت فسوف تسمح الزوجات ملكياتهن من الأرواح»

ثلاثة ملايين ونصف مليون توقيع.. وكانت استجابة البرلان بالمعاطلة ثم الإهمال.

وهنا يتبادر إلى الذهن هذا السؤال: لماذا الاحتقار والإهمال لمصالح الجماهير وليس من المفروض أن البرلان يميز عن مصالح الشعب ويسعى مطالبه...؟! والإجابة المباشرة هي أن هذا البرلان في ذلك الوقت كانت عضويته مقصورة على النخبة الفنية. وكان حق التصويت احتكارا مقصورا على المالكين وليس حقا لكل أبناء الشعب... ومن ثم استمرت القوانين تصدر من البرلمان لصالح القلة الثرية من أصحاب الأملاك وصعد مصالح الأغلبية المبرومة من حق التصويت... وفي هذا يصفق سول فوت قائلا: «لقد تم كل هذا تحت سقم البرلمان ببجاجة شديدة وتحد سافر لشاعر الجماهير الشهية...»

كان شعار الحركة الإصلاحية حتى هذه اللحظة من التطور التاريخي للديمقراطية البريطانية هو (رجل واحد صوت واحد) ولم يكن هناك إشارة أو ذكر لحق النساء في التصويت فلم تكن الحركة النسائية قد تبلورت بعد في بريطانيا... الحركة النسائية نحو الديمقراطية، كان الشعار فيسلي ويتسامل في استنكار: «هل يمكن للرجل أن يكون حرا إذا كانت المرأة قبيحا...»

ووجدت بالذكر أن سنة ١٨٨٤ شهدت انضاجا كبيرا حيث قدم إلى البرلمان مشروع بقانون للإصلاح السياسي تحول إلى قانون أصبحت فيه الانتخابات العامة متاحة لـ ٦٠٪ من الرجال البالغين... بمعنى أن هؤلاء الرجال من حقه التصويت لا اختيارا لأنهم وحكومتهم... أما المرأة فقد استمرت محبوسة عن صندوق الانتخابات لمدة ٢٤ سنة أخرى... ففي سنة





تأميمها.. واختتم كل الوعود السابقة في برنامج حزب العمال خلال انتخابات سنة ١٩٩٧. وقد ساعد على هذا التراجع المدخل الهرام المتعاقبة لحزب العمال في كل الانتخابات. وهكذا قطع حزب العمال علاقته بالحدود:

وفي سنة ١٩٩٤ مات جون سميت خليفة نيل كينوك في زعامة الحزب بالسكنة القلبية وكان آخر قيادي عمالي يعلى ارتباطه بالقيم الاشتراكية والتزامه بالملكية العامة والتوظيف الكامل للقوى العاملة.. فلما رُحل فحالة كان هناك إجماع حصص على ترشيح توني بليز زعيما لحزب العمال..

كانت النغمة الجديدة لتوني بليز.. أن العمال لا يمكن أن يكتسبوا الانتخابات إلا بالتغييرات التي بدأ يشر بها في أوساط الحزب.. لقد انضمت سنوات الهزائم عضوية الحزب وأجر عدد كبير من السياسيين على مغادرته.. وخلال ثلاث سنوات تدرت توني بليز، بمخاطبة جماهير الحزب وفقارعه في مؤتمراتهم الأسبوعية لمعارضته.. فكان هو شاب لايع مريد سبيل الكلام والعبارة والمثارة ومعه أسرة شابة يرتفع إلى مقعد زعامة حزب العمال فلا منازع..

## شوة توني بليز،

استطاع توني بليز أن يحدث تحولاً فكريا في سياسات حزب العمال.. فما هو الأساس الأيديولوجي الذي وقع بهتضاه هذا التحول الحاسم والمفاجئ في الحزب؟

في سنة ١٩٩٦ نشر كتاب بعنوان، (ثورة بليز: هل حزب العمال الجديد قادر على العطاء؟) إسرائيليية حزب العمال الجديد، من تأليف بيتر مندلسون، وروجي ليدل.. وهما شخصيتان غريبتان في حزب العمال تماماً. كما يشتمل إلى الحزب «الديمقراطي الليبرالي».. ثم أصبحا فجأة مستشارين لقوى بليز.. وفي حقيقة الأمر كانا هما المخططين للتحول السياسي في حزب العمال الجديد.. وكانا صانعي قرار على أعلى مستوى في السلطة.. وهي منزلة كانت موضع حسد والنشاز من جانب الزوراء الرسميين وأعضاء البرلمان المنتخبين.

يكشف الكتاب عن أول صفحة عن حقيقة حزب العمال الجديد عندما يقرر أن هذا الحزب يبدأ مسيرته من حيث انتهت حكومة ميرز ثاشر.. لا هدم كل ما جاءت به.. وعلياً أن تكون واضح

وهاميين لا أحسن فيه المحافظون واجادوا..

الكتاب يتألف من ٢٧٤ صفحة ادا قرأته، فلن تجد فيه إشارة واحدة عن شيء أخطأت فيه المحافظين.. وعليك أن تخوض (خلال القراءة) في عبارات فضفاضة وشعارات مطاطة لا تثبتين فيها أي شيء من ميامة حزب المحافظين يمكن التخلي عنها. وكان حزب العمال الجديد ليس إلا امتدادا لحزب المحافظين وتأكيده لسياسته.. ويمكن أن نقمهم من خلال السياق العام الحقائق التالية:

جميع القوانين التي تخنتها حكومة المحافظين ضد الاتحادات العمال قوانين تستحق الثناء ولا غبار عليها.. خصوصية الخدمات اشمرت تحسينات ملحوظة وبعضها زادت إنتاجيته..

بعض الخدمات التي نعت خصصتها مثل البريد والفار ارتفعت إلى المستوى العالي الذي يستحق الصخر به..

إنه لا يجب إعادة الشركات التي تمت خصصتها إلى الملكية العامة. يؤمن المؤمنان إيماناً مطلقاً بأن السوق التنافسية.. وهما مهمتان بأن تجد حكومة حزب العمال وسائل لتدعيم اقتصاد السوق.. وبخاصة التهانئة أنه لا تأميم ولا اشتراكية ولا يخرزون..

يرجع الكتاب لفكرة أصبحت حجر الأساس لسياسة حزب العمال الجديد الاقتصادية.. وهي المزاوجة في المشروعات بين القطاعين العام والخاص.. وأنه ليس للحكومة أن تتدخل في الاقتصاد ولا أن تشتري جزءاً من الاقتصاد ليبرر ذلك لها للسيطرة أو الضغط على الخاص.. (لاحظ أن هناك المؤسسات المالية..)

الآن تراجعاً تاماً عن هذا الخط الرأسمالي المتطرف بعد الأزمة الاقتصادية العالمية)..

أما المؤلفان فيعتقدان أنهما بملفتهما إنما يشران بجمع مائتي تنحرف في الكفاءة والمعالجة الاجتماعية معاً.. ولكن كيف يكون هذا من الناحية العملية..؟ لا إجابة على هذا السؤال وإنما هناك تأكيد دائم على كلمة سحرية متكررة: الاستقرار.. الاستقرار.. فلا شيء ذا فائدة يمكن تحقيقه إلا بالاستقرار الاقتصادي..

وهناك جماس النظم التي تتجنب حكومة العمال أي إجراء يمكن مزاج الأثرياء وأصحاب القوة الاقتصادية والمالية.. وتقد شديد لوائف حكومات حزب العمال السابقة تجاه القضاء على الجريمة.. ومن ثم اقتراح بوجوب تشديد العقوبات وتدعيم السجن.. (تحسباً لظهور اضطرابات عنيفة من جانب العمال)..

وفي النهاية سوف ينهل القارئ الذي لديه قدرة على مواصلة قراءة هذا الكتاب لمدى الثورة التي يفتخره.. فإن بناء الصكر النظري لحزب العمال البريطانية وإنجازاتها في مائة عام تقريباً تنقلب في هذا الكتاب رأساً على عقب.. وليس أدل على ذلك من الدور الذي رسمه الكتاب للحكومة العمالية التي انتخبها الشعب وهو دور يمنحها من أن تتدخل في الاقتصاد لصالح الدين استبوهها وإنما تدعيم الاغنياء والاقوياء وتقصير نعمتها وسيطرتها على الناس الذين يعيشون في فاع المجتمع.. وبهذا الدور كان التأثير على العملية الديمقراطية مدماً..

ثم.. لقد تستطيع العملية الانتخابية تغيير الحكومة ولكن أي

حكومة عمالية منتخبة على أساس فلسفة «مندلسون، وليدل، لا يمكن أن تعد بأي تغيير أو إصلاح حقيقي.. وقد حاول الشان من دعاة الاشتراكية في حزب العمال تذيب الحركة العمالية إلى خطر ما هي مقبلة عليه جراء سياسة توني بليز الجديدة.. إنهما «كوت كوتس، وإريك بليز».. نرعا فيه عن «مندلسون، وليدل».. باريت، في كتاب نشر لهما سنة ١٩٩٦ بعنوان The Blair Revelation (انكشاف بليز).. نرعا فيه عن «مندلسون، وليدل».. وكشفاً لتدليسهما وتزييمهما الفكري.. كما نلنا إلى بدايات الانحراف التي ظهر على الحزب منذ عهد جون سميت.. ولكن تحدير القوة الواعية من أصحاب التوجه الاشتراكي في حزب العمال ضاع في خضم الرغبات الملحكة التي تشبشت بأمل جديد في الضور للانتخابات بعد حمران طويل خارج السلطة بلغ ستة عشر عاماً في مدة حكم مارجريت تاشر.. وبدأت عملية إغواء للقيادات العمالية بالتعاونهم في جنة الرأسمالية لينولوا بعض نعمها.. ففي ١٢ مايو ١٩٩٤ اليوم الذي تولى فيه زعيم العمال جون سميت حصلت «باتريشيا هيويت»، وكانت السكرتيرة التنفيذية لنيل كينوك، ثم نائبة لجنة تعديل حزب العمال الجديد.. حصلت على وظيفة مدير مركز استشارات واحدة من أكبر مؤسسات الاستثمار الصناعية والمالية (أندرسون كونستانت)..

وفي صيف سنة ١٩٩٦ عقد اجتماع في اكسمود لالة من زوراء الطل والقادة من حزب العمال لتحاضرم مجموعة من خبراء هذه المؤسسة كيف يكونون أصدقاء لرجال الأعمال لا أعداء لهم.. وفي حصى النصر الموعود التي اجتاحت كل ركن من أركان حزب العمال سلم الحزب سهلاً إلى برامجه واستراتيجياته ليرسمها بليز ومندلسون وليدل ويطنانهم..

وهكذا رأينا الحزب الذي أعلن سنة ١٩٧٩ بأنه فخور بأن يكون اشتراكياً يعلن سنة ١٩٩٧ بأنه فخور بأنه ليس اشتراكياً..

ثم بعد ذلك حزب العمال الجديد، حزياً للعمال على الإطلاق.. حزب جديد حقاً ولكن لا علاقة له بالعمال ولا بمصالح العمال.. وقد كُتب المانفستو والجدال بطريقة اشمرت رجال المال والأعمال بأنه موجه إليهم وهما تناصوا إلى قصة العمال ليلتموا وليتمهم التمنية.. ومرة أخرى يسقط الاشتراكيون في وهم جديد: أن هذا الاتجاه الأيديولوجي استخدم ليس إلا تكتيكاً ذكياً للوصول

## بناء الفكر النظري

### لحركة العمال البريطانية

### وانجازاتها في مائة عام تقريباً

### تنقلب الآن رأساً على عقب،

بيتر مندلسون



## كتاب الزاوية

### التحدث بنعمة الله

#### نسب والدي

والدي هو الإمام العلامة ذو الفنون الفقيه الفرضي الحاسب الأصولي الجدلي النحوي التصريفي البيهقي البديمي المنشئ البارع كمال الدين أبوالمناقب أبوبكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين أبي بكر بن فخر الدين عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى الأسبوطى.. هكذا وجدت هذا النسب على صادق لابن عم والدي. وأخبرنى ابن عم والدي المشار إليه، وأسمه نور الدين على بن جمال الدين عبدالله بن سابق الدين أبي بكر، عن أسلافه أن جدنا الأعلى الشيخ همام الدين كان أحد مشايخ الصوفية وأرباب الأحوال والولايات، وأنه كان في مبتدأ أمره على طريق غير مرضية، ثم حج فلما أحرم وقال: لبيك وسعديك، لبيك اللهم لبيك، سمع صوتاً: لا لبيك ولا سعديك. فتاب من ثم وأقلع ورجع إلى بلاده، فاقبل على التزهد والعبادة مدة، ثم حج مرة أخرى. فلما أحرم وقال: لبيك اللهم لبيك، سمع صوتاً: لبيك وسعديك، ولجدنا هذا ضريح بأسبوط يزار ويتبرك به، وأما نسبتي بالخضيرى، وهو بضم الخاء وفتح الضاد المعجمتين مصغراً، فلا أتحمق ما تكون إليه هذه النسبة. وهذا من بدائع قدرة الله أن يعجز العلماء بأنساب الناس عن معرفة أنسابهم ليقفوا عند حدهم ويتبرفوا بالبحر والتقصير ويقولوا: «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا». وقد وقع ذلك لحافظ الكبير أبى سعد عبدالكريم بن السمعاني، فإنه صنف كتاباً جاهلاً فى الأنساب فى ثلاثة مجلدات ضعفة، بين فيه أنساب العلماء لماذا هى، لثقلية أو جد أو بلد أو غير ذلك. وعجز فى نسب نفسه فلم يدر السمعاني نسبة لماذا.

وهكذا عادت بريطانيا لتصبح مجتمعاً منقسماً قسمة جادة، بين ملايين كثيرة من الفقراء بلا ملكية ولا كرامة ولا أمل.. محرومون حتى من نتاج عملهم فى الصناعة. وبين قلة ضئيلة تستحوذ على السلطة والثروة جميعاً.. ويرى المؤلف أن هذه القسمة أصبحت تتجلى بوضوح مذهل على الساحة العالمية الواسعة فقد أصبح أكثر من خمس سكان العالم يعانون من الحرمان وعدم القدرة على الحصول على ما يسد رمقتهم من الطعام.. وأكثر من هذه النسبة عاجزة عن الحصول على ماء نظيف للشرب.

وإن هذه الكثرة الهائلة تعيش جنباً إلى جنب وتحت رحمة قلة قليلة تزداد يوماً بعد يوم لسوء وإشراء.. ولا يتوقع هؤلاء عن استخدام ثرواتهم ووسائل إعلامهم وقواتهم الأنانية بل وجيوشهم أيضاً لحماية ممتلكاتهم واستيلائهم وسلطتهم العاقمة.. وأبعد هذا التقسيم اللاإنسانى أكثر من أن يصنفها عقل.. والقدام على الطريق انشع وأهول، فإن الهوة بين الأغنياء والفقراء فى المساع متواصلة..!

ويركز كثير من المراقبين على الهوة السحيقة بين الدول الغنية والدول الفقيرة وهم على حق. ولكن الهوة بين اغنياء كل دولة وبقائها أشد وأبعث.. وقد استطاعت هذه القلة الغنية ترويض الأنظمة الديمقراطية والتعايش مع إفرانها إذ استطاعت أن تجعل حكوماتها المنتخبة عاجزة.. وجعلت برلماناتها غير قادرة على المحافظة على حقوق الجماهير التى وضعت فيهم ثقتها..!

وأكبر حجة يتذرع بها الأغنياء المحطوطون هى أن الشروة التى يحصلون عليها فى القمة من شأنها أن تنحدر إلى أسفل ليعيش بشيء منها الكثيرون ممن يعيشون على السفح أو فى القاع.. ولكن هذا لا يحدث أبداً لأن الثروة (بقدرتها قدر) تتدفق كائناً فورة هضت إلى أعلى تبقى هناك فى القمة.. فى قبضة الأغنياء ودهم ولا تنحدر منها سوى قطرات شحيحة لا تسمن ولا تمنى من جوع.

لقد أقام هؤلاء الأغنياء فيما بينهم تضامناً حصيناً لحماية أنفسهم وأهليهم شعراً: لكى تحافظ على ثرولك ينبغي أن تتأكد من البرابرة محبوزون خارج البوابة الحديدية هؤلاء الذين حرهم الله من الثروة يجب عزلهم بعيداً عن الأعيان ولكن ليس بعيداً عن السيطرة.!

إلى السلطة ثم يعود الحزب إلى سابق عهده. ولكن هيهات..! فقد اكتسح العمال صناديق الانتخابات بصبر هائل وأغلبية هائلة سنة ١٩٩٧.. ولكن لوخذ أن بعض من دخلوا على مراكز السلطة لم تكن لهم جوده عمالية معروفة وإنما وجوه ليبرال ديمقراط، سابقين، كان منهم: «روجر ليدل، وديتر مندلوس، اللدان أصبحا مستشارين (هوق العادة) لرئيس الوزراء تشون الدفاع والشئون الأوروبية، وديريك سكوت، للاقتصاد.. وعدد آخر من المستشارين والخبراء أحاطوا بليبر كما يحيط السوار بمعصم اليد..

بلير يدمر التقاليد الديمقراطية لحزب العمال فى كتاب للصحة والكتاب البريطانى «جورج مونيويت، يعنون دولة أسيرة Captive state. نشر سنة ٢٠٠٠م، يتكلم سجالاً بأسماء رجال الأعمال الكبار الذين شملوا مراكز قوة بالغة التأثير فى حزب العمال الجديد.. ومن بين تأثيراتهم ظهور احتكارات هائلة..! أصبحت شركة واحدة تملك وتهيم على خدمات الغاز والكهرباء التى تدخل كل بيت فى بريطانيا. وفى النصف الخاس من كتاب «دولة أسيرة، يصف مونيويت، الصراع الخفى بين القوى غير المنتخبة صاحبة المال والأعمال وبين حكومات حزب العمال المنتخبة.. ويتأقش أثر حق التصويت فى الاقتراع العام على تطور الحركة العمالية فى بريطانيا.. ويتابع الحكومات العمالية خلال القرن العشرين لم يجدل أسباب نجاحاتهم وإخفاقاتهم فى مجال تحقيق الهدف الأساسى الملئ لتحويل بريطانيا من الرأسمالية إلى الاشتراكية.. ثم ينتهى إلى القول بأن هذا الهدف ظل يضعف تدريجياً حتى أعلن استسلامه النهائي على يد بليبر ومطائنه.. ويحاجج الجناح اليميني فى حزب العمال بأن بريطانيا نفسها قد تميزت وأن على حزب العمال أن يغير سياسته بالتبعية، وأصبحت الأولوية الآن لآلى حكومة عمالية عادلة ومهذبة، أن توازن بين مصالح الأغنياء والفقراء ولا ينبغي أن تكون (بعد الآن) معنية بتوزيع الثروة والسلطة.

يقول المؤلف: إن كل ما يراهن عليه بليبر الآن هو الاعتماد على كرم وإنسانية الأغنياء فى توزيع الثروة والسلطة وفى إتاحة فرص التعليم والخدمات الصحية.. وبناء منازل مهذبة للفقراء وتأمين معاشات للعاجزين وكبار السن..! (يعنى عملية تسول..!)









**قال لي جين:**  
**ذهب أبى مع الجيش**  
**العراقي إلى**  
**فلسطين عام ١٩٤٨،**  
**كان في جين**  
**عندما وصلت برقية**  
**من أبي**  
**تبشيره بخبر مولدى،**  
**وأرسل لهم بأن**  
**يطلقوا علي اسم جين،**  
**إحياء لذكرى**  
**تحرير المدينة**



حدموه. الاكرد استمادوا من علاقاتهم مع الثورة الفلسطينية، جميعهم سرب هناك. وعن طريقهم كانت تأتي الاموال إلى بيشركة الجبال. حرام ما يحدث لهم الآن على الحكومة الكردية ان تستصفيهم في كردستان. لكن تشكر ياسر عرفات، على الاقل.

في كل منسى من مناهبهم بلاد لم يصعبوا أى سوء..

صعدوا خرافاتهم كما شأوا، وشادوا للحصن الق الطيور

وكلما مروا بنهر.. مزقوه، وأحرقوه، من الحصن.

وكلما مروا بسوسنه بكوا وتساءلوا: هل نحن شعب ام نبيد

للفرائس الجديدة؟

روانذو، مصيف روانذو، مقابل جبل كورك، وكل زوايه على مدى العصر جبل روزك وهندين وخلف كورك شلال سيخال، نزل كامران حافى القدمين ورشش تحت المطر، ونظروا إليه ورومان وفهاد و هيو و سعاد، وبسعدته، لعلطوية، تولف كامران عى الرهاس حياة وهرع إلى آلة التصوير ووضع عدسة هائلة الطول. اسند العدسة وكشف ورومان واكتفى اربى جيه، وبعد بتصوير القصر الذى اعطاه نهاية الجرف المثل طريق هاملوت، كان هيو ياثير بيده على كل الجهات على الطريق القديم الهاملوت، وكأنه لا يربطه ان يعمل من أية بقعة من جباله التي عششها، وسكن قمعها والده. عندما كان مع البشركة يرتك مقدو السيارا يتأكد من ان شئ لم يالاتجاه الصحيح وان اصاب بالذوار، لم ينشع على لونه 'المصير شعبا وذلك لدواعى سروره باهتمام جهمال 'الجبال، اقترح ورومان بان نقضى ليلة اخرى فى روانذو.

تدفقت القصص من فم فهاد، 'أحيانا اتابع، وأحيانا لا املك ذلك، اسمعه يقول ونش على حافة خضرة، هناك سعيد عبد الله، أول شهداء سوران، من البارزانيين الذين يتعممون بالعمامة الحمراء' كان عندما قلت له بأن جبال كردستان هي اجمل من جبال سويسرا، وتكت صديقة في ذلك. عندما شرحت له بأن جبال سويسرا هي اجمل من جبال كردستان، تسمى انها موجودة بعد فترة، لأنها مثل الجبلية الصمته، بينما هذه الجبال بإمكانى الاستماع إلى أنفاسها، وكأننى تمت ليلة على الشاطئ، وصوت الأمواج يهدهدنى، وهذه الجبال لها صوت هدير البحر. قال لي فهاد بكل صق: 'ما أنت مثل الوطى،' ثم ناسع هيو- محاولاً ألا يهول الأمون، لكن صوته خافه، وعلا صوته قليلاً، وكأنه الناطق باسم جبال كردستان.

على هذه الجبال الساحرة، على هذه الجبال القاسية ببردها وسوزها، وشلالاتها المتجمدة، ولهجها المتحد، شرد ثلاثة ملايين إنسان تركوا المدن لتسكنها

وشابة جلستا في إحدى رواسا الخشبي، تشانكت يداهما تحت الطاولة على عمل. بحثت الصغيرة بعينها لتأكد بأن أحداً لم يلتفت لتلك اللحظة الموحلة. لم تحظت هلكوت السارى لانتبست نحوى قائلاً 'بجاهل الفرح،' نظرت بنورى متلصصة على لحظة حب، تلعفت بصر وجهي هاتمين على صوت غمضا تاراً جاف تصاحبها قيثارة (هي ازان يازان - دوس يازندى دى - يازو نازارام سي نيشان ديديا) يا حبي الجميل، يا حبيب الروح احلامي في الليل لا تفرّاح دونك عندما افكر بك أنوح مرة أخرى حول هلكوت. وحول نظراته نحو جبل أزمز، وقال فجأة، 'أح-إن إلى قوة امى - فى صباح بغدادى عادى..،' وعندما كتبت هذه السطور مما استذكرته مع هلكوت، جاعلى خبر وفاة ولادته في بغداد.

## [ ٤ ]

شوانه ديب دروازى هوشم أدبت تاتيس فى الفيل، وتطرقهس باب إحصاسي أشد سامان على جيتاره حزينا على فراق حبيبته، عندما كنا نسير على طريق دوكاب، نباحذاة جبل بيره مكرور، عبرنا امام قلعة سوسى، التي حولها الأمريكان إلى سجن، حارب منها سبعة أشخاص، ولم يصدا مكانا للأختفاء، فى الصوول التي ترامت حول القلعة ضد اقدام جبل سارة، مالت غرى السموول التي سكنت هنا حرفا، ونشى شبروك لهذه السموول (إيها قصيدة تركدى الحدا في تابوت اننها، وتنام.)

تسلمت سارة فى مصحبها، وتندرجت منها دمة لدى سماعها موسيقرا (كوردو)، الذي أنتج جيتارته بلحن فريد، وشجا صوته باكيا يقول، 'كلما فصرت لسانا نحو سارة، انتص القلق خشوعا..، لذلك الحب الذى انشدني عند افذاك.. سارة..'

دارت الطريق بمد قمة سارة، وتمير المشهد، حيث جلست لثال وأنها ملصوقة حول بعضها، طلبا لنفسه، ثم حاديا جبل كورست، الذى سبقنا إلى قمته متسلساً صوت شمان ضايت يا فراه اى فراه سر كما أريدك أكر كما أريدك أنت تريد الحرية مثلى، عندما وصلنا إلى خلكان، تسارعت أصابع غشلى على البزق، وقال، 'وايلى - وايلى - وايلى - وايلى - وايلى - وايلى - دماروزان.. دماروزان.. تقدموا!'

الاشباح صدوا الجبال بعد تحرير قصير للتيسر للبلد الكردية. الذين استولوا حالة الوهي التي أصيب بها جيش صدام، بعد قتلته في احتلال الكويت جاء انتقام صدام. دمويًا. وسقط عشرات الآلاف، من الحوع، من البرد، من المرض، من على الكيماري. ودون أن يتوقف هيو لأحد انضمامه استمر فرهاد. استمر

المنادى والخوف حتى معركة كوري، مضيق كوري. وانهر صدام وألغيت دماواته.

سكت فرهاد عن الكلام. وأدار إلى ظهره. ونظر نحو طريق الآلام طريق هاميلتون، وقال بصوت خفيض، لكنه واضح، «نا حبة الصبح التي ماتت، لكي نخضر ثانية وفي موتي حياة».

ثم زفر مرة أخرى وقال، وأنت تعود إلى البيت بيتك. فكر بفكر.

وأنت تعود إلى البيت بيتك. فكر بفكر.

أنا فكرت في فلسطين عندما كنت عالمًا إلى البيت.

ركض القمر وروانا. اختفى أحيانًا وراء شجرة معبرة. صد صوت هاشري متأهًا.

لا أريد من هذا الصبر البديهة يفوق الحماة.

بدا شيء جميع بيرة مكرون. ينظر إلى جبل سارة التي اختفت في الشام. عندما غنى عريز:

أكريم يبوخي حوم.

أمكن على حيلي.

وتلاعيته الرياح مع انصاف الجبال.

أنا قلت سافرا في انصاف الجبال. مرت سحابة تافهة. نظرت قليلاً نحو المنحدر.

أنا اخذت في قبيل. لم يرغب أحد بإعراج الصمت. وسارت السيارة بهدوء نحو المنحدر.

مطمع مظلم في مدينة أرييل خلى من النساء، كان الزوايا يتحدون همسا. كما هو الحال في جميع انحاء كروستان اعترفت في البداية أن اسمي قد

حف في عمق اليد. ولكن كل من سمعهم يرددون على ذلك سؤال أسأله بهشت. استهم بأن هذا يعني أنني تحدثت بصوت أعلى من المسموع في كروستان.

قال (رفاه وهو عربي عراقي) بصوت أعلى من صوت أمان يرد على تدمر. في فصر طلائع المعلومات العامة. حتى أنهم يعتقدون بأن تشبه جيشارا لا كربة. قال لهم بأنه مقتدى صالح أمريكا اللاتينية.

أنا جهر الجميع صاكنين. كلتيه قهقهاتهم أنظر الجالسين في المطعم. سارع راسان بإطلاق الهتاف مرة أخرى، وقال «غريب بأنهم لا يعرفون تشبه جيشارا وكنتهم يعرفون محمود درويش». ربما هذا يعود لأن شعار المقاومة الكردية هو الأدب

الفلسطيني. الشباب هنا لا يعرفون الشعر الجاهلي. بينما الجميع يعرفون محمود درويش ومارسل خليفة

قال رفاه. معاداة العدائي الكردي شابت حياة الفلسطينيين. العراق

بينهما هو إلى معاداة الفلسطيني كانت في الساحل بينما معاداة الكردي كانت في الجبال.

القطر. أحمد الحديث يس أرييل والسليمانية موجود مائتان وخمسون ألف فلسطيني. قال كاكما مسعود البارزاني. بأن

أي فلسطيني في كروستان هو ضميم. كنت يوماً في بيت عبد الرزاق. سمعت اسمه

بينهم بأغنية أحد إلى خبز أمني. فسألته هل تعرف مارسل خليفة؟ فقال لي لدى جميع أغانيه وغنى إلى سهل أنا عربي. أنا

هنا أعامل بأكثر أكثر من أي بلد عربي ذهبت إليه في حياتي.

تذكرني اسمي. أنا هارب من معاد بعد أن قتل زملائي الأطباء. وكنت آخر من هرب.

واحد في بغداد. الجليشيات حولت الهوية الفلسطينية إلى جرمية. في كروستان

العراق الحال مختلف. فلسطين يتسلمت عام جلال الاسراء العرب. ويحصل دور الفلسطيني بالسلام. يقول له أنا كنت

فدائياً فلسطينياً.

سأنتي راسان. هل تصر لي بأن صلاح الدين كان كروياً؟

ثم أشرت بهمس: هل خبر مهرب يا صلاح الدين. هل قوت البيارق

هل صار سيفك. صار مارق وتقول فتحنا العروبة

مري إذا في أرض كروستان مري يا عروبة

جلس مسعود أما روستي أمير عشيرة سائل. على كشبة في غاية الاناثة

ببساطتها. في غربة تشبه في أاثاتها قطعها في موسكو الشيوعية. لكن في بيت رئيس البرلمان الكرستاني. انصم

روستي تكويته فلسطينية بشعرية. حببت جيوتيه. وأظهرت عينين حادتين

لهذا يبرق ساهم بإضاءة غرفة الجلوس شاحبة الضوء. حمل في يده سيجوه خمره بلون زيت الزيتون الطازج. بيد

حملت جلود ثمانية عاماً على أكل تقدير. وتعلق بزارا عريش لفة بأافه حول خصره النحيل.

رطن بالكردية مع عدنان المفتي رئيس البرلمان. الذي لم تخفت ابتسامه لا

تنتاب وتقاير الجدية. سألت كنعان عن موضوع الحادثة قال كنعان وهو يتسم:

يتحدثون عن حق المرأة بطلب الطلاق. في حال تزوج زوجها بأمرأة أخرى. في ظل القانون الجديد.

سأنته ولما بدأهم الأمير روستي هذا الموضوع؟

كنعان لأنه يريد الزواج من امرأة ثانية. وهو يقول بأن زوجته مريضه

وسألت كنعان أن يسأل روستي. أي امرأة ستقبل بالزواج من رجل دون العقد التاسع

من عروده. وهل هو فاني حسداً على ذلك؟ رطن كنعان نا لكردية مع روستي قليلاً

ثم قال لي «يعمر عليك الزواج. ومهرتك يستأن مليء بأشجار العاكة.

وسأنته. وهل يحق لي الزواج من رجل نان في ذات الوقت؟

صحك روستي متجاهلاً سألني. وقال «مكأنك هيا. انصبي معي إلى البيت. وإن

كنت زوجة لا تقوم بواجبها نحو زوجها سأتركك.

وقلت له «ألا يعطيني مهلة للتفكير؟» قال روستي. «على النساء أن يذعن

التفكير. فذهب روستي مع أناته الذين صحكوا من قلب راني على والدهم الذي طلب يد

ضحية الشخص الذي كان وراء قانون مع تعدد الزوجات. عدنان المفتي.

جلسمت بجانب عدنان. وسأنته عن علاقة كروستان بإسرائيل. وإذا ما كانوا

يتفكرون أن الطريق إلى أمريكا هي عبر إسرائيل؟

اختمت الابتسامه مع ملامح عدنان الجدية. وقال كنعان سيسته من يد. وكان

جدية الحواب لا تحتمل التسبيح. لا توجد علاقة كروية مع إسرائيل. ربما أنا هناك

بعض الاتصالات ولكن إن وجدت لن تكون يدات قوة الخلافة الموجودة مع مصر أو

الأردن. حل طيبيان إسرائيليان الأراضي الكروية بعد الذابح في الستينيات. دخل

في حين لم تأت مسافة عربية واحدة. ماذا نقول لهم نحن لسنا بحاجة؟ ونحس

موت. ودون أن يتحلى في صمسه. الذي اصطر على أن أعبر مكاني وأجلس إلى جانبه

في ذات الكنية تابع همسه. انقطعت العلاقة العربية مع كروية مع عبد الناصر.

الفتح افتتح إذاعة كروية في مصرع عبد الناصر التقى طابريان. ومن خلال علاقات

العرب الناصر ذهب إلى بيروت. لكن دعم العرب للثنام العراقي أجهض هذا

المشاريع. وانقسمت الحركة الكروية. لا توجد علاقة إسرائيلية - كروية.

الإسرائيليون ربما يدخلون إلى كروستان. مثلاً يدخلون إلى العروبة. لكن الأحداث

أن تجدي إسرائيلياً واحداً في كروستان. وأنا لم ألق في حياتي مع إسرائيلياً واحد.

أنا التفتي ومحمود عثمان. مع ياسر عرفات في منتصف الستينيات في برلين

الشربية قبل أن يسفوها بأربعين يوماً وكان محمود درويش حاضراً في الاجتماع.

طيناً من طائر عرفت التبدل على يري مع صدام إذا ما كان هناك طريق كروية

قال عرفات بالحرف الواحد. هذا متحرف ومقرر وجد مع ذلك ساحلون. وبالفعل

ذهب إلى بغداد. وأرسل لنا رسالة قال فيها (كما قلت لكم في لقائنا العروبة. في اللغة

السامية). ثم بحدة تحاورت الهمس قال عدنان المفتي. نحن لسنا أصدقاء بين العرب. والاكراه حاجة إلى أصدقاء. ثم

سألنا عبد العرب سوى بعض الشراء صبح القاسم صديق الهمس الكردي. هناك قواسم مشتركة بين العرب والاكراه.

[ ٦ ]

دعاني جماعاً إلى حفل تسليم جائزة فصل فسق وأفضل مطعم في كروستان

أنا مكان الاحتمال. على بقعة ناصعة الاحضار. لا يتناسب احضارها والجبال

العروية المحيطة بها. وكان الحشيش روع على لعنة ناصية. انشترت بوضوح

مع كراسي بلاستيكية بيضاء. جلس حول الطاولات رجالاً تتوسد وجوههم شارب

كثرة. وصلت بين حاشتي شامهم. على المنصة المرتفعة. حول راضيات

عسائير فسفورية احضار السحاب تتساقط. برناثير رمادية. على السراويل

الكردية. واعتسروا كوفيتي العدائي الفلسطيني وقادري البشيرة

بعد التصفيق. رطن رجل في الميكروفون نا لكردية. ثم أحاطة رقع البادية. كتب محمود درويش عن الطفل الفلسطيني في

كروستان وعن الطفل الكردي في فلسطين.

ولفت متنبهية أبحث عن محمود درويش. بين الناس. ثم على منصات

الجبال. ثم بحثت على قمة جبل فسيف. وبدأت أسمع كلمات لم أفهملها لكن تردت

في صغري هاني فرمانه حوار

تم صوت ككاه وأني يسكن الاحشاء ويولول ويولول

لتركت سارة لثمة على حشني. أطلعت انشجارها وجبالها المحترقة والنفوذ أطلها

وشى آخر حوراني حوار حوار حوار وتركت كونا لتشهد ببهجتها. لطلية

بالطير وهمت مستحدية جاني. جاني

عاد صدى الصوت ليهوي أمام هبة سلطان

وصهلت الرياح على أوتار شمان

لتركت سارة لثمة على حشني. أطلعت

تلعموا في الصمت وأناه في انتظار على مسخور كورك

وأماوات يشقن على عويل ميوح وأنشجار على عمر

وأنا لمحت على السر ويرح ربي محمود

ومحمود درويش

ينادي عليه شيرو بكبه. يا خي!

أنا رفيقك. سمع.

لماذا دعاه؟

لما لم تبص !!

# أعوام مئة وعشرون

■ عرفت من قراءة الجلدات العشرة المهمة التي أصدرتها دار الشروق بالقاهرة عام ٢٠٠٦ وصممتها الأعمال الكاملة للأديب العربي الراحل الأستاذ نجيب محفوظ، وقد اشتملت الجلدات العشرة على كل ما نُشر للأستاذ نجيب محفوظ من كتب خلال حياته الطويلة، لم ينقص منها إلا كتب «عصر القديمة» وهو ترجمة لكتاب ألفه كاتب إنجليزي، ليس بدى شهرة - اسمه جيمس بيكي James Baikie - ونشره عام ١٩١٢ .

ولقد انبعت في قراءة المجموعة بضعة أشهر ما أكاد أنصرف عنها إلى قراءة شيء غيرها حتى أكر راجعاً إليها أجوس عالمًا من الجمال والمتعة والحكمة يهري والجه بالآ يفارقه حتى يدره من أدواء إلى القضاء.

وها أنا ذا وقد خرجت من هذه الحقيقة الغناء - وما أحسب إلا أنه سيكون لي إليها عود بعد عود ما أضاع سراج هذا العصر - أطوف مع الفرائد من هذا العالم الزاهر القائم بداته من أدب الأستاذ نجيب محفوظ، وأصعب بين يديه بعض ملاحظاتي وخواطري، ولعل الدارسين لأدب الأستاذ والعلميين به يجدون فيما يقرأون من هذا الحديث شيئاً من الفائدة ولو نزرًا، من أيما ضرب كانت تلك الفائدة.

## مجموعة همنس

### الجنون - شاطئ الوهية

قيمة هذه المجموعة أنها تحوى بعض الأفاقيص القصيرة التي كتبها الأستاذ نجيب محفوظ في مطلع حياته الأدبية صدر شبابه، وهي أية بينة على موهبة قصصية لا شك فيها، من حيث إن الوهية القصصية تتصمن - أو يتصمنها - خيال خصب وسهولة، وكنت أقول خفة - في النص، ولحظ لأدق تفاصيل الحياة الإنسانية ومفارقاتها، وبراعة في صسر الأحداث وتكثافها، والمجموعة - عندي - من أجمل ما كتب الأستاذ نجيب من

مجموعات قصصية في حياته كلها وأكثره إمتاعاً.

### الروايات التاريخية الثلاث

وهي روايات - صيبت الأقدار، ورادوييس، وكفاف طيبة، وقد أصدرها الأستاذ نجيب تبعاً في بضع سنين، وتجرى أحداثها في الأعصر الفرعونية، وهي روايات خيالية في تفصيلاتها لتكسو هيكلًا جاسماً من الواقع التاريخي، ولهج الأستاذ نجيب في رواياته الثلاث هذه مزيجاً من المعلومة والزبدانية، فيه من المنطوقى عبارته الشريفة ذات العذوبة، ومن جرجى ريدان براعته التي عرفت عنه في ضفر الأحداث ونطقها.

ولقد أحسن الأستاذ نجيب صنعاً بأن أنصرف بعد كتابته لهذه الروايات الثلاث عن هذا الفن من القصص، إذ إنه - في - على جمال تلك الروايات الثلاث الذي لا يجحد - لم يكن بالفن الذي يستوفى موهبة، هذا الكاتب القصصية، الذي بلغت مداه وتسطت كما يتسنى المرء الجبار في الفن الذي خلق له الأستاذ نجيب ولم يخلق لعبره من فنون الأدب، وهو فن القصص الاجتماعى الواقعي.

### روايات الأروحيات - مرحلة

### التجديد القنى - مأساة الإنسان

وهي خمس: «القاهرة الجديدة» - وكان اسمها قبل قصصية في القاهرة - و«خان الخليلي» - و«زقاق الحنق» -

والسراب، وبداية ونهاية، وهذه الروايات الخمس - مع الثلاثية - هي روايات نجيب محفوظ غير متنازعة، فلو لم يكتب من القصص غير هذه لضمنت له في الأدب العربي وفي فن القصص خاصة مكاناً علياً.

وميزة هذه الروايات الخمس - فيما أرى - على ما تلاها من أعمال للأستاذ نجيب محفوظ روح الأناة الهيمس عليها، إذ هي روايات تروح أحداثها وتتضح معالم شخصوها على هيئة تلذ الفارئ مثل: «السم والكباب» - والطريق، والسمان والخريف» - التي تهوى في مجراها هوى.

ومن هذه الميزة نفسها كانت لهذه الروايات الخمس ميزة أخرى على ما تلاها من روايات هي مثابة اللغة وجودة الأسلوب ولعل هذا الفارق بين هذه الروايات وبين ما تلاها إنما نشأ من أن الأستاذ نجيب بعد هذه المرحلة كان قد قارب الخمسين من عمره ثم جازها - فانتابه - كما يثاب كثيراً من الناس عند بلوغ هذه السن وربما قبل بلوغها - هاجس أن فضحة الزمن التي بقيت له ليقول ما يريد أن يقول ويبدو ما يود أن يبدو - أعمست محدودته. وأحسب أن عمل الأستاذ الطويل في كتابة سيناريوهات، الأفلام السينمائية قد كان له أثر في هذا التطور.

وهذه الأعمال الخمسة إن يكن بينها من جامع، فلست إلخاله إذ عنصر المأساة الذي يرون عليها جميعاً، وإن شئت قل: ضعف الإنسان أمام سطوة المآل الجبار، ماز القدر، وهو ما يجعل منها روايات وأغنية باستحقاق، إذ حياة الإنسان في

جودها مأساة لا شك فيها، وختامها مأساة المأسى وهو الموت، الذي تتساوى في حصرته الرهيبة كل متشابهات الحياة ومتماثلاتها، وتتكاثر في ظلاله القائمة كلها لا قيمة يطمح الإنسان فيجد من الواقع كيلاً على طموحه لتلقه بهديان

المحمومين (طموحات أحمد عاكف وأحلامه في «خان الخليلي» - طموح مسحوق عبدالدايم في «القاهرة الجديدة» - طموح حسنين في «بداية ونهاية» -) يحب فإذا محبوبه بفلت من يده ليجب سواه (كما أفلتت حميدة من عباس الحلو في «الزقاق» - وكما أفلتت نوال من أحمد عاكف في «البلان» - أو ليخونه الفجح خيانة (كما خانت رباب بطل «السراب» -) أو هو يجد نفسه عاجزاً عن الحب نفسه بصعوبة الذي يفطمه ويتطليه منه الحبيب، ومشاة جبهة ذلك طرف تثنى في طها لم يكن له يد في صنعها أو مقدره على دفعها (كامل روية لا ظ في «السراب» -).

أما الموت الذي ذكرناه فهو بطل محبب إلى أبطال هذه الروايات جميعاً، إذ تعبت ظلاله عن واحدة منها - ما خلا رواية «القاهرة الجديدة» - «خان الخليلي» - يقول الموت أحد أبطال القصة وهو رشتى عاكف، الذي يقتضى بعد إصابته بداء السل وهو قلى في ينح فتوته وصحب في وهج حبه. وفي «الزقاق» - يهلك - بإيدي بعض الجنند الإنجليزي - عباس الحلو الفتى البائس والحب الذي عتب به، وفي «السراب» - تهلك أم البطلة كامل روية - وهي من أرق شخصيات نجيب محفوظ وإدناها إلى قلب الفارئ - هلكت تحبض الفارئ على البطلة الذي لسا عليها قسوة لم تكن تستحقها، كما تهلك زوجة رباب - وفي «بداية ونهاية» - تهلك الفتاة البائسة المحرومة تميمية ملقبة بنفسها في غمار النيل، ضحية لاجتماع لا برحم، ولتأدير قدرت عليها - منها أنها كانت غفيرة حيلة الجمال - لم يكن ملكانا أن تغفيرا أو تقف من فوق جدارها المتع - ولهم القارئ هذا الإجمال إلا إذا قرأ الرواية في نصها.

### الثلاثية - الفلسفة الحقوقية

هي روايات ضخمة صدرت في ثلاثة أجزاء عامى ١٩٥٦ و١٩٥٧، مع أن الأستاذ

# ... السروايس

خالد محمد ياسين أبو الهيجاء

فرع من كتابتها قبيل انقلاب يوليو عام ١٩٥٧ . ويبلغ عدد الألفاظ من شخصيات الرواية نحو الأربعين، وتؤور حوادثها على امتداد نحو ثلاثة عقود، من الحريات الحرب العالمية الأولى إلى الحريات الثانية. فهي على هذا من نوع الروايات التي يسمونها روايات الأجيال، والتي كان الأستاذ نجيب محفوظ يضرب لها مثلاً من أدبنا العربي الحديث رواية «شجرة الينوس» للدكتور طه حسين، التي أملاها في لبنان عام ١٩٥٤

والجزء الأول من الثلاثية. بين القصصين.. وهو أطول أجزاءها وأجملها . يبدأ من شهر أكتوبر عام ١٩١٧ وينتهي في أعقاب ثورة عام ١٩١٩ . وجرؤها الثاني «قصر الشوق» وهو يلي الأول في الروعة . يبدأ عام ١٩٢٤ وينتهي يوم وفاة سعد زغلول في الثالث والعشرين من أغسطس عام ١٩٢٧، أما جرؤها الثالث «السكينة» وهو أقصر أجزاءها وأجملها تلاحمها وأطولها في الفترة الماضية التي يجري فيها . فيبدأ من منتصف الثلاثينيات وينتهي عام ١٩٤٤ . وأسماء الأجزاء الثلاثة هي أسماء أحياء قديمة في القاهرة تجرى فيها أحداث الرواية.

ولا تزال الثلاثية معدودة بين أفضل ما كتب الأستاذ نجيب محفوظ. إن لم يكن أفضله على الإطلاق، والجزء الأول منها هو أفضلها عددي، لأنه الجزء الذي خلص للقصص، فلم يكده بعد فيه الكاتب إلى بسط فلسفة خاصة أو فكرة، على نحو ما فعل في الجزئين اللذين تليهما. فهي هذين الجزئين. يعرض الأستاذ نجيب فلسفة في قصة الوجود، يعرضها من خلال بطله كمال أحمد عبد الجواد الذي لم نعرفه في الجزء الأول إلا هيبيا شكساً طريفاً. وهذه الشخصية في الرواية هي - عندى - نقطة ضعفها الكبرى، وذلك أنها قد تظهر، بل لا بد أن تظهر، بمعيار النهج الواقعي الذي كان ينتجه الأستاذ نجيب في كتاباته لهذه الرواية خاصة شخصية نموذجية، بمعنى أن كل مكر حر مستنير، يطلع على شيء من المصلحة، فإن ذلك صالحيه لا محالة إلى الإلصاق واحتشار الأديان والهره بالأنبياء، وليس هذا لعمري من الحق في شيء.

وما ما فائز من حاجة إلى كبير فطنة ليعرف أن هذا الفكر إنما هو فكر الأستاذ نفسه، وذلك أنه عاد هيبينه أوضح تبيان في روايته



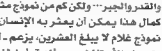
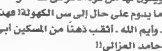
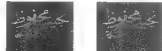
الصحة. أولاد حارتنا، التي كتبها بعد صدور ثلاثيته، والتي شخصتها بحديث وجير

هذه الرواية. أولاد حارتنا، تلخص على شخصاتها في كلمات معدودات: أن الديانات الكتابية، يله غير الكتابية، جميعها أساطير، وأن فكرة «الله، نفسها على هيئتها التي جاءت بها الديانات فكرة سقيمة، وأن العلم هو دين هذا الزمان الذي لا دين غيره، والذي قضى - أو ينبغي أن يقضى - على سخط الأديان الذي كبل عقول البشرية وأضل تصوراتها الوفا من المستنير، كما قضى «عرفة»، رمز العلم والمعرفة في هذه الرواية - على «الجلال»، الذي رمز به الأستاذ نجيب إلى الله تبارك اسمه كما صورته الديانات الكتابية.

وإنما إنقاذ فلسفة الأستاذ نجيب في ثلاثيته لا عن تدوين، ولا عن عصف راسخة في النفس يهولوني ويؤلثني أن يبريها رام بالسخط وأني يزني بها مئزر، وإنما انتقدها بنقياس النهج الذي انتهجه الأستاذ في كتابة جل ما كتب - وفي هذه الرواية خاصة - وهو النهج الواقعي، وأن الأستاذ يبلّغ من إفراده في واقعته في الثلاثية أن يسف أحياناً ويدير على الصنة شخص روائيته من مظهر الكلام ما تتقضى له نفس القارئ المجهن، ولا أعرف له مسوغاً من فن القص نفسه، ولا من النهج الواقعي في الموضوع، ودع عنك الكشور جداً في المواضيع التي يفتش فيها الأستاذ الحليل آيات كريمة من القرآن وعبرات من الحديث الشريف هنا، ساءراً، معلقاً بها على معان مبتدلة، جنسية وغير جنسية، ما كان أجدر الكتاب الكبير أن يبري بالقرآن وحديث النبي عن جماعاته، وذلك، مثلاً، كالذي جاء على لسان أحد أصحاب ياسين: «لعمرك لخمارة كالبائين يتند بعضهم بعضاً».

غير كمال يجعل الأستاذ نجيب في ثلاثيته غلغلة لم يلفظها المستنير من سنيهم كطالما طغمت الراسخين، ويكفي على الأستاذ سبيلاً نادقاً من الهزء بادئاً بالمتلازمة والنبي نفسه، هذا أحد ابن خديجة شيوخه، يزعم متمكناً أنه لا يبعد الله لم يولد، ليس العشرين سيماً، وهذه مسيئته موضع، فتاة شويعة ابنة عامل مطبعة، تسخر من أن يتكر لها نبي الإسلام في معرض اقتراح الجاه في سبيل الأيد باخذ الحظ من الجاه، فتستألف ساءرة، أي نبي؟ وتذكر مصملاً كمال ماركس، «الذي عطف على تأليف «رأس المال، تاركاً زوجة وأولاده للوجع والبهلدة».

أما كمال فقتل لم يكذب بيلع العشرين، وهو بعد اطلاع على



المصري كله شعب سكير خمير، فالصغير والكبير، والأشنى والذكور، والمسالج والفاسد، كلهم لا متاع لهم أشهى من الكأس والمزّة».

ويتصل بهذه الناحية إغراق الأستاذ الشديد في وصف الحالات الجنسية والانتداب البهيمى للذكور والأشنى أحدهما إلى الآخر، وأحسب أن أكثر من قرأوا الثلاثية لم يخطئوا إلى المغزى البعيد الذي قصد إليه الأستاذ من وراء ذلك، وهو مرتبط أوثق ارتباط بميلته المادية، إذ هو ولا ريب هجوم من جانب آخر على الناحية الخلقية عند الإنسان، فالإنسان كما يظهر من رواية الأستاذ ليس أكثر من بهيمة، تعرض الأشنى للذكر، أي ذكر، فلا يكون منه إلا أن ينزو عليها دون تلبث أو تردد، كما ينزو الميث على اللبابة في الموسم المعلوم، ويعرض الذكر للأشنى فلا يكون لها من هم إلا الظفر به وقضاء لبائتها على يده، وأعلى جسده على الأصح، وليس ينكر امرؤ ما لفرصة الجنس عند الإنسان وسائر الأحياء من خطر، ولكن الأستاذ قد أسرف في هذه الناحية إلى حد مبالغ

فيها، من أحد النماذج الخالدة للإنسان عند الأستاذ نجيب، ينهب إلى أم مريم ليخطف إليها ابنتها تقصويها، ألا، ويتخذها خلية أياً ما معدودات، وهي كانت من قبل خلية لأبيه، ثم يحتويها ويخرج فيخطف ابنتها ويبنى عليها، والسيد أحمد نفسه، أبو ياسين، يتعلق بنزوة العودة ويكثر لها عوامة على النيل، ثم تتزوج نزيوة من ابنه ياسين، فيكون شعور السيد القصص، على خلاف ما قد يتوهمه القارئ - «مردو ارتياح، ويعد طفر ابنه لمردة التي عدته هو واستصمت عليه رمزاً له هو، ما دام ياسين ابنه».

والقاص لا يعلب إليه أن يكون واعظاً خفياً، ولكنه ليس له من الجانب المقابل أن يتنهر موهبه ويصمعه على أساس الأخلاق همداء، لا لشدة إلا لثبته فلسفة مادية، ويرى أن هذا الإنسان إن هو إلا بهيمة لا تتأمن من العقارب، والكفاد والمزج وبنات أي لا مبررات ببولجوية عند التحقيق عريضة، والدن والإخلاص الإنسانية إن في أحوالها سقيمة وخبيثات سقيمة خيل إلى الإنسان أزمان كان طفلًا يحبو في مدارج الحضارة أنها هي!



وتلقى شجرة الحزن بظلالها الكئيبة على الثلاثية، ولا كمالا لها من روايات الأربعينيات، ولا لفتاً بين الحين والحين

# أعوام محفوظ

سمع حبيب أرواها اليابسة على  
عصونها الجاسدة. وقد مزتها ربح الأقدار  
يعرف لحن الأسى الخالد الذي ولد مع  
الإنسان يوم ولد.

في نهاية الجزء الأول من الثلاثية  
يقضي الأستاذ نجيب محفوظ بلا رحمة  
على شخصية من أحب شخصيات الرواية  
إلى القارئ وهو فهمي ابن السيد أحمد  
عبد الجواد، طالب الحقوق النجيب  
المعجم بالروح الوطني، الذي يقتل  
برصاص الإنجليز. فتتبع في فوة الفتوة  
وأما يلتزم رونقا وبهجة ويمضي تبشيرا  
وودعا. في مظهره سلمية سارت في  
اعتناق ثورة عام ١٩١٩، وبموته ينشئ  
الجزء الأول من الثلاثية، وقد بلغ  
الأستاذ نجيب في الفصل الأخير من هذا  
الجزء ذروة الذرى في هذه القصص، ولا  
سيما وهو يعصف بالسيد أحمد عبد الجواد  
وهو يتلقى النها الجلل ثم وهو يروح به  
إلى بيته.

وقريب من تلك المأساة مأساة عاشقة  
أحدى ابنتي السيد أحمد، التي قضى  
المرض على زوجها وانتهى في نهاية  
الجزء الثاني، ثم لفتت أيتها الوحيدة  
الباقية، نعيمة، في الجزء الأخير وهي  
على فراش الولادة، هالأت إلى حالها  
أبعد ما تكون من الحال التي يراها حال  
القارئ في الجزء الأول من الرواية. حال  
لمأساة المعنمة المكسار، المدللة بمساعها  
العص وجعلها الخالد.

وحسني السيد أحمد نفسه، بطل  
الثلاثية الأول غير مدافع، يقضي عليه  
الأستاذ نجيب بميته بالنسة في أخريات  
الجزء الثالث غربة غار من غارات الحرب  
العالمية الثانية.

ومما يلاحظه القارئ لا محالة في  
الجزء الأول من الثلاثية خاصة، بين  
القصرين، ولا نجد له نظيرا في تواتره  
في عمل آخر من أعمال الأستاذ نجيب  
محفوظ هذه التشبيهات التي يكبلها  
الأستاذ في أثناء سرده كيلا، وكأنها هو  
يؤدي امتحاناً في فن البلاغة، وهي  
تشبيهات وتلك في عمومها موقفة  
دقيقة فإن في القصة لا يمتقر إليها،  
ولا ينتقص شيئا من جماله أن تميز فيه،  
بل إن كثرتها على النحو فصول غير  
محمود.

وثلاثية الأستاذ نجيب محفوظ حد  
كبير فاضل بين شخصيتين من مراحل  
الإنجاز الروائي للأستاذ: مرحلة الأعمال  
الجودة التي سبقها والتي ذكرناها آنفا،  
ومرحلة أعمال الإيقاع السريع، أن صبح  
التعمير، التي لحقت بها، وفي الثلاثية  
ملاحم من المرحلتين، كأنها كانت نهاية  
مرحلة وبنية أخرى، وقد يؤكد هذا أن  
الأستاذ أخذ إلى الراحة بعدها فسلخ  
بصح سنين لا يكتب شيئا.

## أولاد حارتنا - الفلسفة

### الحفظية بوضوح أشد،

هي أول ما كتب الأستاذ نجيب  
محفوظ من قصص بعد الثلاثية. وقد  
نشرها سلسلة في صحيفة الأهرام، في  
أخريات الخمسينيات من القرن المنصرم.  
ولم يتبني المازنود أول الأمر إلى حقيقة  
مرزاها، وهو سرد سير الانتباء الثلاثة  
الكبار موسى وعيسى ومحمد صلوات الله  
عليهم وصي شلمهم أبيهم، دم في صيغة  
روائية إظهارها الحارة الفاهرة على حالها  
التي كانت عليها في النصف الأول من  
القرن العشرين، والتداعب دائما بين منه  
أن العلم قد قضى على هذه المبرهات  
وأصبح هو ولا سواء، أو ينبغي أن يصح  
الدين الجديد الأوجه للشرية.

ولا ريب أن دافع الأستاذ نجيب إلى  
كتابة هذه الرواية إنما كان إبقاء أفكارها  
صميما، فهو قد كتبها ليوضح عن فكر  
أرثاء، ولم يجد صيغة في أوفق له وأطوع  
من يديه من الصيغة الروائية ولعله لو  
لم يكن كاتبا روائيا لما فكر في صياغته  
ذلك الفكر على صورة من الصور  
والرواية من الوجهة الفنية عكس  
ممتع ومجمل، ولكن لا الأستاذ لم يكن  
مطلق الخيال في كتابتها فقد جاءت  
مهميته فيها مكبوة على نحو لا يخاف  
فيه، فلم تطلق إطلاقا في هذا العمل  
الجليل إلا قليلا.

أعمال الستينيات - العهد الناصري،  
عبقرية رسم الشخصية: الحوار في  
قصص محفوظ، من الأقصوصة.

وعندها عشر وهي: الجنس والكلاب،  
السمان والخريف، فدنيا الله،  
الطريق، بيت السبعة، الشاذ  
.. ثورقة فوق النيل .. ميمار .. خمار ..  
الضأ الأسود، .. تحت الظلة، وهي مع  
أولاد حارتنا، .. جماع ما كتبه الأستاذ  
نجيب محفوظ في العهد الناصري،  
وأربع منها مجموعات قصصية.

والسمان) المذكور في عنوان الرواية  
الثانية هو الحق العامي المسمى لصبر  
من الطيور، ينطقونه بكسر السين  
وتشديد الميم، وهو طائر السمان، يضم  
السين وخفيف الميم مقصورا، وهو  
المسمى بالإنجليزية QUAH، ونسبه  
حسني في بلاد الشام (الفرى) بكسر الفاء  
وتشديد الأراء - ويقال إنه هو طائر  
السلوى المذكور في القرآن الكريم.

وهذه الأعمال آيات يمتاز على نضج  
فن الأستاذ القصص، يبرهن على اللغة  
التي كتبها بها وعن سرعة التواتر التي  
تجري بها أحداثها، فالأحداث في هذه

الروايات تجرى في سلاسة وقوة كما  
تجري الأحداث في رواية الحياة، جدير  
تكلف ولا فصول وشخصوها تنصح من  
خلل السرد والحوار والحوادث اتصاحا  
يتمس المزار أنها شخصون من تسج  
خيال مؤلف منسج، ويترك لها في نفسه  
وخياها من الأثر مثل ما تتركها الشخص  
الحية التي يحاطها في حياته الواقعة  
وليست المسألة وهنا مسألة الإطناب في  
رسم الشخصية ووصفها، ولكنها  
مسألة الوهبة والقدرة على التصوير  
بالإطناب كمثلها بالإيجاز، ف. نعم مهران  
الرواية لا يدكر إلا استنكارا لا تريد  
جملة ما ذكر به في الرواية كلها على  
أسطر معدودة، ولكنه على ذلك  
شخصية حية في خيال القارئ لا تكاد  
تقل حياة ووصوحا عن شخصية أنه  
نفسه، التي لم تقب في صفحة واحدة  
من صفحات الرواية. وقريب من هذا  
يمكن أن يقال عن شخصية (الجد) في  
السراب.

ومن أصالة موهبة هذا الكاتب انه  
يخيل إليك أحيانا أن الشخصية تخرج



من مبر يديه لتحيات حياته الدانية، وما  
دات الا لقود وصومها ومدق تصويرها  
شعبد مهران بطل، الجنس والكلاب،  
مثلا، يتبني للقارئ من الماعات قليلة  
متصرفة في الرواية رجلا نهما أكولا  
السلت على يقين أكان الكاتب وأعيا أهد  
الخلة عند طوله أم أنها صورت نفسها  
نفسها بقوة الحلق وإلهام الموهبة؟

أما الحوار في أدب الأستاذ نجيب  
محفوظ، فحاجب من أكثر جوانبه إمتاعا،  
وهو يتسم، على العموم، بـ لا احتصار  
والحسم وشيء من الطرفة والسحرية  
يسس معها، القارئ يطلع، وهذا هو الروح  
العام الذي يلعب حوار نجيب محفوظ  
أن هو نعمة تكاد تكون واحد، أو صدق  
وما تلاها، وهو الروح الذي ينقص حرجه  
من الواقعية، على منتهى التي لا تنكر،  
أذ هو نعمة تكاد تكون واحد، أو صدق  
من صوت واحد، لم أكثر الكاتب، ولعله  
لم يفتل، في أن يقضي عليه شيئا من  
التدوين، وهذا الترخ - فيما يرى - من  
أثار محادثة كسبية، السيتانوس،  
السيتانوس فكلاب السيتانوس يخط ما  
شأن من حوار على يدي القارئ أو غير  
أعرف بأن مثالا سيقطع في بيت فيه من  
روحه ما يجعل له اعتبارا من كل حوار  
سواء، في السيتانوس غنية، يحس على  
أسنة غيره من المثقلين، السيتانوس  
كذلك في قصة أدبية تكسب لجمهور  
القارئين.

وأعمال الستينيات تد ينشئ أن  
لترس وأن تقيم في ضوء الفشمرة التي  
كتت فيها، فترة الحكم الناصري، التي  
قد يكون الكلال فيها لا غير ما نشأ  
وقد كانت فترة تحولات اجتماعية كبرى  
في المجتمع المصري، شهدت فيها البلاد  
لونا من الحكم وضريا من الزعامات لم  
تترفيها من قبل، واداف فيها حلولة  
أمجاد، وتجرعت مرارة هرايم - وما من  
ريد في أن روايات مثل، الجنس والكلاب،  
والسمان والخريف، قد كان لها من الدافق  
والإيحاء هذه فائز الستينيات ما لا  
يكون لها شهية هذه فائز شاب يقرأها  
في هذه الأيام.

وقد يختلف الناس في تفسير بعض  
مفازي هذه الأعمال اختلافا كبيرا،  
فرواية، الشحاد، عذبي - مثلا، تصوير  
للقول إنسان الحضارة الذي شيع من لحم  
الحياة المادية الترفة حتى شلت نفسه،  
فقتلت من حوله يبحث لروحه ولجسده  
عن راز جديد، أو يبحث عن قيمة لتحيات  
في الحياة أن كان تلك القصة من  
ووجد؟

ولقد سجلت مرحلة الستينيات هذه  
ببوع الأستاذ نجيب محفوظ في كتابة  
القصة القصيرة، فهو فارس  
من فرسانها العديدين في

مجموعة، حكايات حارتنا، وغيرها، والفنوة. كما يصوره نجيب محفوظ - رجل شديد اليأس، غليظ القلب، بديء اللسان، لا يتورع عن فعل شيء أو التكتيل بإسناد إذا ما تجاسر على المساس بهيئته أو تحدى سلطته، ولا يبرعه شيء عن بول شهواته ومأربه، ولا سيما إن كانت الشهوة والمباراة امرأة ذات حسن، ويحيط به ثلثة من الأعوان الأذئاب الذين يقتنون في اللق، والذين يشرفون ويتوارون في العادة إذا ما سقط فتوتهم، أو ينضمون إلى فتوة جديد.

وقد أراد الأستاذ لهذا العمل أن يكون ملحة كما أسماء، وأحسب أنه لم يوفق إلى ما أراد كل المؤلفين، فلهذا تبادت بداية طيبة، ولكن أحداثها تتسارع من بعد، والمهود التي تجري فيها تتمسك وتطول، بل إننا نقصد مساهمتها حيناً ونزل إلى خيال غريب لا صلة له بنوع الواقع التي تصفه، وذلك مثل التأملات الفلسفية للفنوة المسمى بجلال صاحب الحلالة، فعمل هذه التأملات كثيرة فيما أرى على شخصية شعبية ساذجة من هذا النوع.

أعمال الثمانينيات، نوع من التحديد - الطمينة في أدب نجيب محفوظ، وعددها أربعة عشر، أربعة منها مجموعات قصصية، وهذه الأعمال هي: عصر الحب، «أفراح القبة»، «إلى ألف ليلة»، «رايت فيما يرى الملك»، «إلى ألف من الزمن ساعة»، «أمام العرش»، «رحلة ابن فطومة»، «التظيم السرى»، «العاشق في الحقيقة»، «يوم قتل الزعيم»، «حديث الصباح والمساء»، «صباح الورد»، «فتشتر»، «الفجر الكاذب».

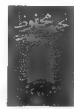
ولمست النظر في هذه المجموعة ما تجد إليه الأستاذ نجيب في بعضها من تعدد، نجد لبعض أسماها في مراحل ماضية، ونجد بعضها جديدة، تأمل الجدة، وكان الأستاذ في هذه الحقيقة. وقد كانت هي الحلقة الأخيرة من سنى عمره. قد كان يبحث في آثاره نفسه ومومنته في نهمة وعجل مما عساه قد يكون متيقنا فيها من منافع للإبداع، عارفاً بأن لا تنقلى له من صفحة العمر جد قليل.

وأول ما يلحظ على أصابع هذه المرحلة هو التمسك بالنفس والتمسك بإيقاع الأحداث، وحسبك برواية «عصر الحب» على هذا مثلاً، حتى إن القارئ قد يعجب كيف يكون كاتب الثلاشية وكاتب هذه الروايات القصصية واحداً، ولكنه منذ الثاني لا ينبغي له أن يعجب، فليس في في الثلاثين أو كهل في الأربعين شيء ما يسمون أو في الثلاثين، ليسا شيء في كل ناحية من نواحي النفس والوقل والجسد. ورواياته هذه المرحلة - على قصرها التسمي، شئت على مساحات

القصصية التي لا يمارى فيها ممان فهو يختار الشخصيات الرئيسة والثانوية أسماء تعجب كيف اقتضت له، وتأتي متعرجة بروح الشخصية استزاجاً لا انفصال له، حتى لو أنك جربت أن تخلق للشخصية اسماً غير الذي اختاره الأستاذ لا يعاك ذلك - سعيد مهران - روف علوان - أحمد عبد الجواد - كمال - حميدة - أمانة - عباس الحلو - السيد رضوان الحسيني - أحمد عاكف - عيسى الدياغ - حليلة الكيش - إحسان شحاتة - زيند دياب، عاشور الناجي - إلخ أي اسم هو أوفق من أي اسم من هذه الأسماء الشخصية التي اختير لها؟ وقد يظن ظان أنني أقول هذه المقالة بنوع من تأثير العادة، ولكن دونك روائياً آخر هو صاحب رواية «رد قلبك»، المشهور، وهي رواية شخصية في مثل نصف حجم الثلاثية، وانظر الاسم الذي اختاره لبطول روايته - على عبد الواحد - فأبى هذا الاسم الساذج المصنوع عن أسماء نجيب محفوظ فلا استثناء لأوحد منها، وأين هو من الشخصية التي الصق بها من أسماء الأسماء نجيب محفوظ من شخصياته؟ وما يشهد لهذه الملاحظة أن الألامال السينمائية التي اختصت روايات الأستاذ نجيب وأعماله القصصية احتضنت كلها للشخصيات بأسمائها التي جعلها الأستاذ لها.

واشتر أعمال الأستاذ في هذه الحقيقة هو ولا ريب روايته الصفحة التي أسماها «الحرايش»، وكانت من أحب أعماله إليه. وقد صدرت عام ١٩٧٧، وهي مجموعة من الروايات القصصية الثلاشية، أبطالها فتوات تحمروا من السلف في الخصصة العجيبة التي تبدأ بها الجملة وهو عاشور الناجي، وقد كان فتوة طليبا يسخر قوته في إصناف الظلم والانتكشاف في الظالم، وأخذ المال من الموسرين وإراحتة على القتل.

أما «الحرايش» التي سميت بها الرواية فهي. كما سمعت من حديث إناي الأستاذ نجيب - كلمة تُطلق على الرعاع والقرعارة من أبناء العارات الشعبية، وهي منحوة من كلمتين: «الحارة» - «فريش»، فلهذا هي الحارة وتكتم من هوان شأنهم كأنهم ليسوا فيها. ولم يجعل كاتب قصة مصري بهذه الشخصية الشعبية - شخصية الفنوة - كما حفل بها وتكتم عنها الأستاذ نجيب، سواء أكان ذلك في الروايات الطويلة كـ «الحرايش» والأول حارتنا - أم كان في كثير من القصص القصصية مثل



الكاتب وخياله قد خطا - مع الشيوخة التي هي مظنة الثقل - فطاراً أحياناً إلى ما وراء أفق العقول (القاصيص مجموعة «شهر الصل»، وهي ملاحمة ستوتوكد فيما تلا هذه الحقيقة من أعمال. ويستفيض آخر الأمر إلى آلام خالصة هي «أحلام فترة النقاهة» التي اختتم بها الأستاذ نجيب محفوظ حياته الأدبية. وستحدث عنها في آخر هذا الحديث. وكتاب «المرايا»، بين هذه الأعمال ليس برواية، وإنما هو فصول وجيزة كتبها الأستاذ فيما يبدو عن آثار عمرهم في واقع الحياة، يعرضهم قد يفرق القارئ مثل «عبد الوهاب إسماعيل، كما سماه المؤلف فهذا هو الأستاذ سعيد قطب ما في ذلك عندي من شك، وهذا الكتاب قد يثقل على القارئ - ولا سيما من غير المصريين - بكثرة قصوله وتلقاها قد وزجج الأسماء التي سميت بها. ولكنه قد يكون مناسبة صالحة للحديث عن جانب من عبقرية الأستاذ نجيب محفوظ في عبقرية الأدبي، لا أعرف إن أحداً قد أشار إليه، وهو عبقريته العجيبة في اختراع أسماء الشخصيات، وهي أية من الأيات على أصالة موهبة هذا الكاتب

أدبنا العربي الحديث، ولعله أن يكون كذلك هي الآداب العالية قاطبة. وكثير من قصص الأستاذ القصيرة ليست محض - حكى، قد يقرأ للتسلية وإرجاء الفراغ كما قد يخيّل لبعض الناس، ولكن فيها عبراً من أجل عبر الحياة ودروساً يستغفها القارئ من أعز دروسها، فهي مجموعة - خماره القسط الأسود - على سبيل المثال تجد القصص «الخلاء»، وعبرتها سخر فكرة الانتقام والتعاضد الأبدى بين مشيئة الإنسان ومشيئة الأقدار، وفي القصص «المتمهم» من المجموعة عينها تجد كذلك لغز القدر حاضرًا بين يديك إن كنت عنه من العائلين. وتجد العجيبة الكبرى التي يعيشها البشر منذ خلقهم الله وإلى اليوم لم يتخلصوا منها، وهي أنهم يتخيلون أكثر مما يسمون ويفكرون، ويسبون حياتهم وفقاً لما يتخيلون ويتوهمون، فيصيبهم الخسار ويصيب غيرهم من لا ذنب له. وإنما أعنى هنا موقف الفلاحين الذين أصفقوا على أن يطل الأقصوة هو الذي داس الشبان بسياراته، برغم أنهم لم يشهدوا الحادثة، وإن السائق - كما يعلم قارئ الأقصوة - لبريء».

أعمال الثمانينيات، العهد السادتي - عبقرية صوغ الأسماء، «الفنوة» في أدب نجيب محفوظ.

وهي اثنا عشر عملاً - حكاية بلا بداية ولا نهاية، «شهر الصل»، «المرايا» - الحب تحت المطر - «الحريصة» - «الكرك»، «حكايات حارتنا»، «قلب الليل»، «حضرته المحترم»، «الحب فوق صهوة الهرم»، «الشتبان يعقد» وهذه المرحلة هي سيرة الأستاذ الأدبية تنبه أسماها في الظهور شيئاً غير قليل - فنحن نجد هنا نسمة المجموعات القصصية إلى الروايات الطويلة في عين التسمية في الحقيقة السابغة، ولقد التواتر السريع في النص، ولعله هنا قد زاد سرعة، ولكن بين أعماله الحقيقية اختلافاً بيناً جرم أن من هذه الأعمال الاثنى عشر قد كتبت في عهد جديد غير العهد الناصري، وهو عهد الرئيس أنور السادات الذي اختلف عن عهد سلطه - ولا سيما بعد حرب أكتوبر - اختلافاً بيناً، بل إن من أعمال هذه الحقيقة عملاً، رواية «الكرك»، وقد نقلا لعاب النظام السابق، وفي طليعتها ما هو معروف مشهور من وقع في ذلك العهد من تكتيل بالثانويين ويكل من ارتبيب في ولته لتكتيل انتهكت فيه حقوق الأدمية أشتع انتكالا.

ولنلحظ في أعمال هذه الحقيقة ولا سيما في المجموعات القصصية أو موهبة



الزمن شديدة الاتساع: رواية: «الباقى من الزمن ساعة» رواية جيلين لا جيل واحد، وهي تبدأ من عقد مفاوضات عام ١٩٣٦ بين مصر وإنجلترا على عهد الملكة ويستمر إلى زمن عقد اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩، أي أن الرواية تمتد على خمسة من الزمن تروي على الأربعة عقود. ورواية «هشتم» تمتد على زمان يكاد يكون ضعف ذلك الزمان، إذ إنها تبدأ عام ١٩١٥ وتستمر إلى وقت صدور الرواية عام ١٩٨٨!

وإذا ما أخذنا الروايات الاجتماعية الواقعية من روايات هذه المرحلة: فهذه الروايات فيما أحسب ليست خير ما كتب الأستاذ نجيب محفوظ وتعدى أن هذه «الفرح القبية» هي خير ما كتب في هذه المرحلة من روايات هذا الطراز الذي برع فيه الأستاذ ما لم يبرح في غيره.

وفي هذه الرواية يعيد الأستاذ نجيب تجربة فريدة في القص عرفنا نوعاً منها من قبل في روايته «ميرامار».. وهي من أعمال الواقعية، وذلك أن أبطال القصة يروونها في فصول متتابعة، كل في موقعه وأزوقته، تتقاطعت الروايات وتكتمل جوانب الصورة تدريجياً عبر الفصول، وهذا نوع في القص يشهد للكاتب بالبراعة وقوة الصنعة، ولعل القارئ ما في ذلك من شكل. وهذه الرواية ناجحة الروائية، فهي تترك أثر الظروف التي ينشأ تحت قهرها الإنسان في شخصيته وفي حياته كلها. وهي طروب لا يد له في صوغها ولا مقدرة على دهسها، بل لا إرلاك له في سنى طفولته الغضة بأن هذه الظروف مما ينهني أن يدفع ومما يقدر على دفعه أو لا يقدر. والرواية تشبه من هذا الجانب رواية «السراب» التي صدرت قبلها بثلاث قرى. وهي تعرض جوانب مشرقة من إنسانية الإنسان، بخلاف روايات مثل الثلاثية لا تكاد تعرض من الإنسان إلا إلى الجانب الحيواني البحت، وكأن هذا الجانب هو حقيقة كلها التي لا يمتدح بها عن أية بهيمة، وقد نحت بها من البهيمية شخصية (حليمه الكيش) مثلاً. وفي ما جعل الرواية (كريم عباس يونس) شخصية تستحق احترام القارئ وتوجيع في نفسه شعور العطف والرحمة، فلقد قست عليها الحياة أشد قسوة فعملت في مسرح، وأغصنها صاحب المسرح، وعندما جاءها مبراس يونس خاطباً أثرت أن تركه يقف على الحقيقة وكانت على خداعه لو شأته من القادرين، ولم تستسلم من لدغ الغواية عندما ألقى بحبالها. وهذه الشخصية بلا استعارة من أشرف وأرق شخصيات الأستاذ نجيب محفوظ، في أعماله الروائية كلها.

ورثمة إعلان من أعمال هذه المرحلة يخرجان عن الخط، الاجتماعى الواقعى

الذى سار عليه الأستاذ نجيب في المراحل السابقة. ويكادان يخلجان بالنصمت الأسطوري الذى نعرفه في سفر: ألف ليلة وليلة، وهذا الإعلان هما «ليالى ألف ليلة» و«رحلة ابن فطومة».. هـ، أي ألف ليلة، تجوى افاقيص على نغم حكايات.. ألف ليلة وليلة، وهي تستخدم شخصيات من تلك الحكايات، القديمة نفسها المستبداد والإسكافي معروف. مع عرض أحداث جديدة وإعادة بعض أحداث رويت في «ألف ليلة وليلة». كمثل حكايات المستبداد من فغامرته وراء البحار. وهذه الرواية تشهد للأستاذ نجيب محفوظ بأنه كان لا يزال عند كتابتها قد دفع ليدق السبعين حتمطاً ببراعة حكايات وبخمس خياله الروائى أما «رحلة ابن فطومة» رواية رمزية تستدنى إلى أي عهد من الزمان ولا إلى أي أحداثا. أخوته الأبية.. ولكن من الجين أن أحداثها تجري في عصر إسلامي سبق العصر الحديث: ففي مصحاتها الأولى ذكر للوالى والحااج، والبلايا التي يرسل إليها بجلل الرواية بلاد حسانية، والشرق، دار الحيرة، دار الأمان... وفي الرواية نقد لا يخفى لواقع الأمة الإسلامية ومبائيتة الدين لا يقضي دينها وشريعته، وفيها نظرات وآراء في الاجتماع والسياسة والدين. وفي الرواية نوع من النسيب قد يدكر القارئ برواية «رحلات غاليليو» الخالدة، وذلك أن كل مجتمع يعتد نفسه الأصل والقاعدة وما عداه هو الفرع والانشود. ففي كل بلد جعل به البطل يؤكد له أهله أن قانونهم وشريعهم هو القانون والشريعة المثلى. ومطابقة هذه الرواية من هذا الزمان والمكان يبدو أنه كان حالة عامة اشتابت في الأستاذ نجيب بعض التباين في هذه المرحلة، وكأنه قد ضاق بالتأطير الواقعي المتزمز وأراد أن يخرج إلى أن ينفلت النص من قبضته القاسية بعد الفترات: رواية «عصر الحب».. وهي من الشخصيات الاجتماعية الواقعية. كذلك لا نعرف على وجه الدقة حدود الزمان الذي تحرى فيه ومثل ذلك يمكن أن يقال عن «حصرة المحترم» من أعمال السبعينيات. وكان الأستاذ كان في ذلك مسججاً لطبيعة المرحلة المصرية التي كان يمر بها، وفي مرحلة التضييق، فلقد عمد بعض الشيوخ الأثبات إلى شيء من الخفة أو الغيب، باعتبارهم بها من عجز الجسد ووهن العظم، وقد يعيدون النظر.. في ضوء التضييق الهائل العميق.. في بعض القيم التي كانت قبل عندهم حقائق أو مسلمات.

أما «أمم العرش» فليس برواية، ولكنه

حوارات متحيلة تدور في محكمة أوزوريس.. إله العالم الآخر عند الفرانسة التي يعتد بعض علماء المصريات محور الديانة الفرعونية بأسرها. مع نخبة من حكام مصر وأكابر رجالها بدءاً بمينما موحده القطرين وراس الأسرة الفرعونية الأولى وإنشاءه بأشور المماتة الذي كتب الكاتب معيد اغتيال. وفي تلك المحكمة يسأل أوزوريس أولئك الرجال ويحاورهم. ويحاور بعضهم بعضاً. ويقتضى لآثرهم بالخلود ويذهب ببعضهم إلى الجحيم ويرسل بعضهم إلى مقام الشافهي، ويعطى بعضهم.. مثل الرئيس جمال عبدالناصر.. ممن عاشوا بعد العصر الفرعوني فزكية قد تكون نافعة له أمام محكمة الديانة الخاصة التي تستدق له من بعد على حدة مقتضى عقيدته الدينية التي كان يدبس لها في حياته الدنيا. فهذا الكتاب إنما هو نوع من التقييم. من وجهة نظر الكاتب.. لأبرز شخصيات مصر التاريخية، وهو يبين عن ثقافة الكاتب التاريخية. وقد قرأ: الكاتب كما نعلم من سيرته.. تاريخ مصر الفرعونية في صدر شبانه.

ومما يلحظ في الكتاب أنه استقط

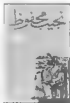
كل حكام الأسرة العلوية بعد رأسها وسلمها محمد علي. وقد دام حكمها أكثر من مائة سنة. فقام بجعلهم ضمن حوكومتها ويخلص في تلك المقام كذلك أن الكاتب قد فصل في تقويمه الرئيس السادات على الرئيس عبدالناصر تفصيلاً أبين من أن يدل عليه.

ما العنث في الحقيقة: فصل بين عمال الأستاذ نجيب فريد. هذا ما اعتدنا روايات عيت الاقدار وراوديس وكعاش طيه روايات تاريخية، ههنا السمر ينقلب معه الوصف، إذ هو تاريخى روايتى وهو يحكى قصة المصراعون الشهير اخاتون، امثوكتوب الرابع أو امينوهيس الرابع كما يسمى بالإغريقية، وهو صاحب الحركة الدينية الشهيرة في التاريخ المصري العتيق، تلك الحركة التي آزاد بها أن يلقي ديانة «مون» إلى طيبة (التي أصبحت الآن الإله الاعظم لصرى في عهد الدولة الحديثة الذي تلا طرد الهكسوس من البلاد) وغيره من الآلهة المتكاثرتين (التي أصبحت الآن، ويستبدلها المصراعون بتوحيد استهها. الإله فيها قرص الشمس توب، والرواية عبارة عن بحث واستقصاء يقوم عليه، بعيد اقتضاها عهد اخاتون ورجوع الأمور في مصر إلى ما كانت عليه.

فتى مصر اسمه حين موسى من أسرة عليا من صديري سايس، يسمى تزيكية مكتوبة من ولده إلى لقاء أكابر الشخصيات المصرية التي عاصرت الملك الراحل حركته. مثل كبير الأمراء، ومما قلده حرس الصدور، وحور محب قائد الجيش المصري، وأبي الشيخ والخاند نفرتيتي، ونفرتيتي نفسها روح الخاتون ومناصرتها في رواية، وينتج من ذلك البحث والاستقصاء رواية واضحة عن ذلك المصراعون العظيم وعهده وحركته الدينية والرواية.. وأن يكن أساسها تاريخياً صرفاً. إلا أنها تحمل رؤية الكاتب نفسه. الأستاذ نجيب محفوظ وتصوره للأحداث والشخصيات التي تتناولها الرواية. وهي رؤية وتصور لشهد بحيال روايتى غصير، براعة في هي القصص نعمنا الأعمال لا يمتناه السبق من حيث هو سرد لأحداث تتتابع. هارواية من قمة نحة فنية أدبية، ولكنها ليست بديوت تاريخية أو شبه تاريخية

وتتقدم آراء من مثلولي هي الرواية ما بين قدح المصراعون الهال ولبله الضاع ثلب إلى الشناء عليه أطيب شاء. أما رأى الأستاذ نجيب محفوظ نفسه في إختاود هارطه من حديث له إذاعى سمته يصف فيه المصراعون الراحل بأنه «أعظم نبى في التاريخ»!

وكما انتقد الأستاذ نجيب محفوظ في المرحلة الماصية عهد الرئيس عبدالناصر في رواية



«الكركل» بعد مهلك ذلك الرئيس نجده في هذه الرحلة التي تحدثت عنها يتنمذ خلفه الرئيس أفر السادات بعد مقتله كذلك مسكوتات معمودات، وذلك في رواية يوم قتل الزعيم، عازر عزم هنا هو الرئيس السادات نفسه، الذي جفري الرواية في عهده وتنتهي مع نهايته، جفري الرواية فقد جلي وإن يكن موجزاً للحقبة الساداتية وما عاياه المصريون في أثنائها من محن بلغت أوجها في الغلاء الذي جاء مع «الافتتاح». وفيها بير قاس للرئيس الراحل يجرى على السنة الأبطال من مثل وصمه باليهولون، ويأته يتزينا نرى هنتر ويعمل عمل شارلي شابلن!

ونلاحظ في روايات هذه المرحلة أن الأستاذ نجيبا قد عاد فيها أكثر من مرة، على السنة أبطال الروايات - إلى استعراضه ونقد عهدي الرئيسين عبد الناصر والسادات.

وما أحب أن أفرع من الحديث عن أعمال هذه المرحلة ولم أعرض بالدكر لعمل منها أراه من أجمل وأشر ما كتبه الأستاذ نجيب محفوظ، وذلك هو كتابه «حديث الصباح وأساءه»، وليس هو برواية كمثل جل روايات الأستاذ، ولكنه تاريخ مقتضب لعائلة مصرية في بضعه أجيال يبدأ من عهد حملة نابليون وولاية محمد علي قبل مائتي سنة ويستمر إلى حين صدور الرواية في سنة تسبب الثمانينيات من القرن المصنوم. وينتهي التنبية هنا إلى أمر ذي خصل، وهو أن القارئ إن تناول هذه الرواية ليقراه عملا كما تعود أن يقرأ سواء من كتب الأستاذ فهو لن يطبق الحمى في قراءته أكثر من ضمامات معمودات، إذ سيتركه مليل شديد، وسيكل ذهنه ويحيا من نتائج الفصول والتشوق والاحداث والصور، وسيمجد خمسة عشرين في وابل من الأسماء له أول وليس له آخر! ولكي الأمر لا يعود كذلك إذا ما جعل القارئ إلى جانب به يده هارته صميعة أو صحلان يرسم عليها تنمذ شيئا شدينا تبعاً لما يظهر له من قراءته. أجمع نسب لهذه العائلة للتشعبية الفروع، ومما يزيد من ثقل الرواية وعدم استخدام صوريتها لأول الأمر أن الكاتب يزوج لأفراد العائلة على حسب ترتيب أسمائهم الهجائية، فلا يجري العصور من ثمة على نسق. ولكننا كما ذكرت ليس رواية بالحنى الغنى التشعبية، وإنما يجمع أن بعد قطعاً إنشائية تلت القارئ بطلاة أسلوبها ويضع أحداثها ومواقفها التي يعقبها الكاتب اقتضاباً.



ويبدأ الكاتب هذه البداية الشعرية الجميلة، في السماء زرق صافية، وعلى الأرض نغفو ظلال أشجار البلح. وأديم الميدان العتيق يشرق بنور الشمس... ومن سمات ادب الأستاذ نجيب محفوظ التي لا نجد منظاراً لها عند معاصريه من كتاب القصة المصرية مثل هذه الانتمازات إلى الطبيعة، وعلى قلبتها وتفرقها ووجازتها في أعماله الروائية، وهي تصفى على العمل ولا ريب طلالاً رفيقة من الجمال، وأى شيء أحب إلى الإنسان وأخلى لحيه من مشاهد الطبيعة؟

بقية الأعمال، روح الظرف في أعمال الأستاذ نجيب، أدب الأعلام، وهي ستة: «أصداء السيرة العائلية»، «القرار الأخير»، «صدى النسيان»، «هتوة الصلوف»، «أحلام فترة النشأة»، «المسرحيات».

وهي كلها مما يمكن إحقاقه بالمجموعات القصصية، فليس من بينها رواية واحدة، وما لي الأمر من عجب؛ فقد كان الأستاذ في هذه المرحلة قد بلغ من الكبر عتياً، وضعف سمعه ويصره، وأصبحت يده اليمنى تشبه شللى إثر الحوادث العديدة تعرض له من مجرم جهول اعاد في خريف عام ١٩٩٤.

أما «أصداء» فليست أدري ما الصلة بين هذه الطلع الوجيزة وبين سيرة الأستاذ الذاتية، ولعل كل إنسان قادر على أن يعد كل خاطر يخطر له صدر من أصداء سيرته الذاتية؛ وعندى أن الكتاب يأتي في ذيل كتب الأستاذ من جهة القيمة؛ فما هو غير قطع موجزة بعضها غامض لا معنى له، وبعضها يبلع في شدة وضوح وضلالة معناه أن يضحى هو وسابقه سواء!

والحجومات القصصية فيظهر منها أن موهبة الأستاذ القصصية كانت لا تزال على خط من القوة لا يأس به وهو في سنة تلك العائلية، وأن ملكة الفكاهة التي يعرجها قارله حق المعرفة كانت لا تزال كذلك على حال طيبة، وهي تظهر في القصص (الحدود) من مجموعة القرار الأخير، والقصص (الأرض) من مجموعة «صدى النسيان».

وما ينبغي أن نقفنا الإشارة لهذه المناسبة إلى أن روح الظرف تنبع من كل ما كتب الأستاذ نجيب محفوظ، وهي سمة أصلية من سمات أدبه، لا نكاد نجدها بهذا الوضوح وهذه الأصالة عند قصاص آخر غير الأستاذ توفيق الحكيم. وبحسب القارئ أن يتذكر محاورات ياسين النسيوية مع نفسه وهو يرصد بعض النساء - في الثلاثية - أو

شزله مع بعض فرائسه منهن، أو يدكر حديثه مع بعض صحبه عن حديث الزعيم سعد زغلول إليه في جسارة أحيه فهمي، والزعيم قد عاش ومات ولم يقع له على ياسين بصراً!

أما مجموعة «المسرحيات»، فمن اليأس أن الأستاذ كتبها في شيخوخته وأن بعضها ضم من أعمال له صدرت من قبل، وهي كلها (تخارب) ما أحسب أن الأستاذ أصاب فيها كبير ببع، إذ هي من أثقل ما كتب وأعمسه، ولا يمكن مقارنتها بحال. ولو من أشد البعد - بمسرحيات الأستاذ توفيق الحكيم القصيرة، أستاذ المسرح العربي الأديب الحديث، وقارئ أدب المسرحية بشار أليقها بعثت الشيخوخة الذي أشرنا إليه أنما أم يعتدها ضرباً من مسرح اللاعقول؟!

ولأن الحوار في المسرحية هو الركيزة الأولى، ولأن الأستاذ نجيبا كانت موهبته قصصية عامة ولم تكن موهبة حوارية - جاءت هذه المسرحيات شديدة الثقل على القارئ والإعناث له، ونخلص إلى العمل الأخير «أحلام فترة النشأة».

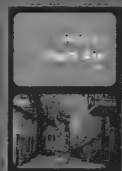
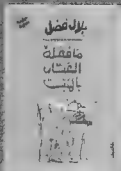
وقصة الأستاذ نجيب محفوظ مع الأحلام تسبق صدور هذا الكتاب، عام ٢٠٠٤، برز طويل، ففي «خان الطليس» نجد حلماً طريفاً، وليس يخلو حلم من طرفة، يراد البطل الكهل أحمد عاكف، ومن بعدها في «النس والكتاب» نجد حلماً آخر لبطل سعيد مهران، ثم نجد حلماً آخر في الطريق، يراد بطل الرواية السكندري صابر سيد سيد الرحيمي الذي كان يبحث من أب له ظل يحسب إلى عهد جد قريب أنه ثاو تحت الرجام! ثم نجد في آخر مجموعة «أيت فيما يرى النائم»، التي صدرت عام ١٩٨٢ سبعة عشر حلماً مصدرة كلها بمباراة (رأى فيما يرى النائم)

وهذه الأحلام تعجب القارئ بما فيها من طرفة، وهي فرع من موهبة الأستاذ نجيب القصصية الأربعة وخياله الخصيب.

أما مجموعة «أحلام فترة النشأة»، فممثل فريد للأستاذ يستحق به أن يسجل في تاريخنا الأدبي بصفة أنه صبيح نوع جديد من الأدب هو ادب الأحلام، فالمجموعة كلها أحلام صرفة يعرف مداها كل فرد من نوع بني الإنسان، حيث تتداخل الأزمنة والأمكنة، وتتلاقى الأحياء والأموات وجميع التشابهايات والتعارفات على صعيد واحد، وهذه المجموعة للأستاذ هي، في المقام الأول، معرض لنشاط الخيال، فمن هذه البداية وحدها قد تكون متعة للقارئين. ■

أحدث إصدارات

# دار الشروق



أحدث إصدارات دار الشروق

دار الشروق  
100 شارع النخلة، القاهرة  
تليفون: ٢٣٣٣٣٣٣ - ٢٣٣٣٣٣٣  
فاكس: ٢٣٣٣٣٣٣ - ٢٣٣٣٣٣٣

دار الشروق  
100 شارع النخلة، القاهرة  
تليفون: ٢٣٣٣٣٣٣ - ٢٣٣٣٣٣٣  
فاكس: ٢٣٣٣٣٣٣ - ٢٣٣٣٣٣٣

## تتم وجهات نظر، بتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناضرين والكتاب والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك، وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات.

### حياتي

تأليف: أحمد أمين  
القاهرة - دار الشروق ٢٠٠٨



قال له حسين عن هذه السيرة الرائعة لواحده من اهم رموز النهضة العربية لحديته، اذا لم يكن احمد امين مثلاً رنما للحد المشج، والنشاط الحبيب، ومثارة التي لا تعرف كلاً ولا ملأ، والقائمة التي لا تعرف ضمماً ولا فقراً، والنقطة التي لا تعرف شكاً ولا تردداً، فلا ينبغي للمصريين ان ينظروا مثلاً واقعاً من أي مواطن آخر.

وقال عنها احمد حسن الزيات، «يجمع بين حسن الفكرة وجمال الصورة، ويلائم بين زوالة لغتي ورسالة المفط، وربما كان ذلك اظهر ما يكون في كتابه، حياتي، فإن تصويره البيت والسفاه والمحدث والكتاب والأرض، وفي وصفه الأبيوية والحيوية، وصدقته عبد الحكيم محمد وعلى فوزي، وأستاذة عاطف بركات ومن يرس لتماح في البيان الطموح الذي يشرق بنور العقل، وينبش بروح العاطفة، ويهزو بالولاء العرب».

### تحدى البديهة، العكسة غير المألوفة

علم الاقتصاد  
ستيفن لانديسبرج

More Sex Is Safer Sex: The Unconventional Wisdom  
ترجمه من الإنجليزية للدرية مجدى عبد الواحد عبدة  
كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠٠٨، ٢٩٤ صفحة



لا يهدف علم الاقتصاد إلى دراسة المال وإنما يهدف إلى دراسة القيمة، وتحدد فيما كان كى، وهنا هو هذا الكتاب سيجد القارئ أن كى، يشترى ستيف لانديسبرج في هذا الكتاب أنه افضل من أي شخص آخر في ان يجعل من علم

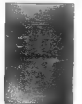
### الاقتصاد مصدراً لاهتمام غير

الاقتصاديين.  
يستخدّم لانديسبرج أسلوباً استعزالياً ومارحاً في مهمته لإظهار كيف ان فهم الاقتصاد سيغير الطريقة التي نعيش بها حياتك اليومية. يستخدم لانديسبرج في هذا الكتاب حسابات النعمة والتكاليف ليجادل حول القيمة الحقيقية للارتكاب المارلم أو إعطاء سبب لتبرير عدم وجوب ميلاناً سرقة متاحفة العاصمة العراقية بغداد. وهو بذلك يحتفل بكل ما هو مخالف وأصلي وغريب.

يجيب لانديسبرج القراء المتطقيين على مواجهة اوضاع غير مريحة عن طريق وضع عدة حلول للمشاكل المثيرة مثلاً يحدث في الفصل الأول من الكتاب حيث يجادل بأن كل المواطنين الذين يتدخلون بأفعلة ان يتدخلوا أخلاقياً وبإالتالي ينضمون من فرصة الإصامية بمرض الإيز. تستنتج فصول الكتاب من دون إصرار كما يستهجن الفصل أنه «ليس من السهل الفصل بين الأسباب والأتار، وبشكل أقره في ان عالم الاقتصاد آخر يمكن ان يفضح سرعة الكثير من حجج لانديسبرج مثل ذلك الفصل الذي يمدح فيه البخله (الذين يستهجنون ولا يستهلكون) على افتراض ان جميع الموارد محدودة ونهائية، وفي الوقت الذي يقوم فيه بمرض قصية صبيبة للارق وهو، أنه دالما توجد مناسبة للفرح عندما ينجب الآخرين المزيد من الأطفال». فإن القارئ ربما سيكون في مزاج ليعرض من السمات القديمة.

### الولايات المتحدة الأمريكية بين القوة الصلبة والقوة الناعمة

رفيق عبد السلام  
«رقق العربية» مركز الحرية للدراسات  
الدوحة - قطر ٢٠٠٨



تهدد هذه الورقة البحثية إلى تسليمة الصوة على واقع القوة الناعمة الأمريكية، وصقلتها بظواهره الهيمنة الواسعة التي كانت واثقة تحتضن بين الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على إثر تراجع القوى الأوروبية التقليدية التي كانت تتصدر حفظ السيطرة على مقدرات العالم، كما تعمل هذه الورقة على رصد التغيرات الحاصلة

في المناخ الدولي العام عقب صعود المحافظين الجدد إلى سدة الحكم، ثم أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وتأثير هذه التغيرات في التصود الأمريكي في الساحة الدولية وروية شعوب العالم، وخصوصاً في منطقة الشرق الأوسط، لدور القوة الأمريكية ومدى مشروعيتها الأخلاقية والمعنوية. ورغم أن مصطلح القوة الناعمة يعد من المصطلحات الحديثة في مجال البحث الأكاديمي والحظاب السياسي والإعلامي إلا أنه قد شهد انتشاراً واسع النطاق منذ ان صكك الباحث والمفكر الأمريكي جوزيف ناي Joseph Nye هذه الكلمة بداية تسعينيات القرن المنصر.

### إيزيدور... والأقويوس

وقصص أخرى  
محمد سلامو

القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٨



تحتفل «الدار المصرية اللبنانية» من خلال هذا الكتاب ببيع قرن من السرد القصصي للكاتب الكبير محمد سلامو، فقد صدرت المجموعة القصصية الأولى لـ محمد سلامو عام ١٩٨٢ بعنوان «الرجل الذي عاد إلى أهله»، ثم تتابعت بعد ذلك مجموعاته القصصية، ك«شربو» الذي، في عام ١٩٨٨، و«باب التوقيف»، في عام ١٩٩٨، و«رسائل العذوة»، في عام ٢٠٠٠، و«وفاء إريس»، في عام ٢٠٠٢، و«شجرة الجميز»، في عام ٢٠٠٢.

وقد تنوعت المجموعات القصصية لـ محمد سلامو ما بين الواقع والخيال، وما بين الحاضر والتاريخ، وما بين الموضوعات الاجتماعية والسياسية والعاطفية الحالية، كما تنوع أيضاً الأسلوب الفني الذي اتجه به كل من هذه القصص ما بين السرد الواقعي والقصص الرمزي والواقعية السحرية.

وتقدم «الدار المصرية اللبنانية» في «إيزيدور... والأقويوس» بعض أجمل القصص التي وردت في مجموعات القصصية التي صدرت لـ محمد سلامو، بالإضافة إلى بعض القصص الجديدة التي لم تنشر من قبل، والأخرى التي نشرت في الصحف والمجلات، لكنها لم تصدر في أي من المجموعات السابقة، وهي

قصص يجمع بينها أنها شاهدة على موهبة أدبية متميزة في السرد القصصى لكاتب كبير تمشي له دوام الإنجاز في السنوات القليلة

### أدباء ومفكرين

عبد الرشيد الصادق محمودي  
القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٨، ١٦٠ صفحة



كتبت هذه المقالات التي تتناول مجموعة من رجال الأدب والفكر في أوقات متفرقة، ونشرت في مصادر صحفية مختلفة، وهي ان جميعها تشرع بعض حالتها الأولى باستثناء تعديل بعض العناوين، بحيث تطابق ما كتبه المؤلف أصلاً بعد ان خيرهنا رؤساء المؤسسات تناسب الأسماء الصيفية.

ورغم ان المقالات تعالج قضايا أدبية وفكرية وتتضمن في بعض الأحيان تحليلات وبقيا لأعمال الأدباء والمفكرين المعتميين، فقد استهدفت القارئ العادي منذ البداية، ولم تكتب للمتحمسين، ولذلك حرصت فيها على ان أتبع قدر الإمكان في أسلوب الدراسة الجاد، وأن أضفي على الكتابة طابعاً أدبياً أو ذاتياً (يتعلق بشخصي وسببوني ورويتي لأدباء)، وأرجو أن أكون قد نجحت في ذلك وأن تعوز هذه المقالات لدى القراء بوصف، «المقالة الأدبية» التي لا تتلخص في مهمة الإمتاع الفني، ومما ساعد على التتابع هذا الأسلوب ودفع إليه أنني عرفت بعض أؤلئك الأشخاص وأردت إذن ان أكتب على سبيل التذكرو ان العرفان بالفضل أو التحية والتكريم، وأن أرسل صورة محسوسة بقدراً الأمكان للأدباء أو المفكر المعنى، والأمير شبه إن ما يحدث عندما تنعمر بالوحشة فتستندع صورة صديق ليلنساك، أو عندما تنعمر بالهبة فتستندع صورة لصديق احتلالاً به وبالحياة التي سحت به عليك.

غير أنني لم أهرج ذلك الأسلوب «الأدبي» حتى في حالة الأدباء أو المفكرين الذين لم أتعرفهم معرفة شخصية، علاناً ان أكتب ركي مباركة، ولكنني عرفت كتابته وأنا مارلت مثلاً وفتنت بدفتره على إطلاق الأحاديث ذات الشجون، وصرحه الجارف، وجموعته وروحيته الفنية وصرحه

## افتتاحيات.. لماذا أنشر؟



مجلة الآداب  
بيروت، العدد ١٢ (ديسمبر ٢٠٠٨) - السنة ٥٦

أنشر لأنني لا أعرف مهنة أخرى أعيش فيها بشفرة وكرامة (غير التعليم الذي أكرهه).  
أنشر لأن أبي وأمي أورتاني كميات هائلة من الكتب والمجلات، وأورتاني معها مستودعا رهيبا ورفوفا صلبة وصناديق وستون ومارليور ومدينة وفارغة. ولا يخلو الأمر أيضا من بصة صراخير وفهران أشتات على وحودية سائرته وإباحية مورافيا وكون ويلسون ورمنا طوليلا.

أنشر لأنني أعجز عن الكتابة أحيانا. أو لأنني أقرأ مادة تعبر عما كنت سأقولها بنفسي فإذا بها تقولها بجمال أكبر أو قوة إقناع أعظم.  
أنشر لأنني أبيع أحيانا قمة الشاؤم من الوصف العربي. ولاسي حقن

أحيانا عند ذروة التفاؤل (والجالة الأخيرة لا تتعدى المنهاج).  
أنشر وأكتب لأنني مازلت أؤمن بدور الكلمة في مواجهة أعداء الحرية، كالصكروا والغال والناشطين باسم الله. ويكلام آخر: أنشر كي أسهم في

نشر عرس القامع والمناقض وتجارة المرأة والوطن والدين.  
أنشر طولا وعرضا. من بيروت إلى أستراليا. ومن العربية إلى اليابانية. كي لا يصفق الناشطون إن لمدمهم هو صانع الحضارة (يعني السيميليرايون) الأدهم. وهاجم أنثياها. ومعلم أرقامها القياسية. أو كي لا يتوهوا أن العالم بأسره منقسم إلى مسكرين. ١٤ آذار وأذار.

أنشر (وأترجم) لأن الأثر الأخير التي أنشرها (وترجمها) تثير لفتي العربية، التي لا أرى لي ولها ولا حياة خارجها.

أنشر (وأكتب) كي تعرف ابتدائي الصغيرتان أن الحرية لم تتحول (بعد) إلى ديناصور منقرض على شاطئ حاسوبهما الصغير. وإن شمة كتيبا لاتزال تصدر فلما بلعات غير. الإنجليزية. والفرنسية.

أنشر كي أسهم في ألا تبقى هذه المهنة النبيلة في يد ناشرين. كثير منهم خدم سلاطين. وتحارب دلا قلب ولا رسالة. وقراصنة جشعون. ومرورو نصابون. ومدمهيون. وطفانيون

أنشر كي أعز الخيارات العلمانية والقومية - السريسة وسط طوفان التفكير للواقعية والظفرية - الليبرالية. وأدفع قدما بالآداب الرفاعي المجتمع والجرى. في خضم الدعاة والاستشهاد والقبود.

أنشر لأن لا نشر أو ناشرين. كما أنه لا حرية بلا كتابة. فلو لم يكن شمة ناشرون صليون لما عرفت الثقافة العربية - نقد الفكر الديني، لصادق لثمة العظم (دار الطليعة) - والإسلام في الأسر - لتصادق الشهود (دار رياض

الريوس) - وأولاد حارثنا. لتجيب محبوس (دار الآداب). وأحد عشر كوكبا. محمود درويش (دار الجديد). وهواشم على فطر النكسة، لنزار قباني (مجلة الآداب). وعشرات الإبداعات الجديدة المنوعة في أوطانها في العصر القريب واليوم.

أنشر لأنني أحب أن أشرك الآخرين في قراءة ما يصطنع من مواد. سواء للحملة أو للدار (هاكم أحد الأسرار. أحيانا أنشر مادة لا لأنني أحبها. بل لأنني أحسست بأن غيري قد يجيها. فإن حصل ذلك بعد النشر فعلا. رهوت بنفسي وسعة صدري).

أنشر وأحب أن اعتبروا النشر جزءا متما لمعلمهم في الكتابة والثقافة والمياسة. فعادوا الرقابة وإتلاف الكتب والنفي والتميش. ثم غادروا وهم يحشون بل بنفصا إلى الوراء.

سماح إدريس

صد حق النبذة في الوجود. حال حقيقة بساطة أنس مد لاي. لايت. نفس عاجرا بالحملة والقطاوع عن كتابة تلك النبذة المتبعة. وما الذي ما شكوت يوما معصل الرب من كتابة نبذة الغريب قبل نبذة الغريب

لذلك وبدلا من اعلان هتلي قررت ان اشرع على مشينة دار الشروق هاسد فكرة كتابية لي نبذة عن نفسي. ليس غرورا لا سمح الله ولا ثقة ان شاء الله. بل لسبب بسيط. هو انك تعلم الله ان قربان قصص التي تصمها هذه المجموعه ولم تمحيط فلي تجدي ان نبذة في الدنيا هي تعويصك عن وقتك الذي ضاع وفلوسك التي راحت. ولي تكون بحاجة الى من يقول لك نبذة عنك. بل الى من يتد على يدك ويقول لك عويصك على الله. اما اذا قرأت قصص وعجبتك كما اطل. فاطي عيبا جدا ان تظلم بعد نبذة عنى. وفي الحالتين. حصلت لنا البركة.

عيسى العقاد  
في تريح الصحافة خصرية  
رأسه محمد الحمال  
تأخره "الحرية النسبية" ٩  
في صحته



انني منذ لغت من الطوفان. وفهمت شيئا يسمى المستقبل. لم يعرف لي املا في الحياة غير صناعة القلم. ولم تكن امامي صورة لصناعة القلم في اول الامر غير صناعة الصحافة.

هذه العبارة التي كتبها العقاد عن نفسه. تظهر شغفه الكبير للصحافة. المبرر مرت عائلته بها مراحل متعددة وذلك هو موضوع الكتاب المهم "عيسى العقاد" في تاريخ الصحافة المصرية. من تأليف الأستاذ الدكتور /رأس محمد الجمال، وصدر حديثا عن الدار المصرية اللبنانية.

في طبعة اربعة وفاخرة. تلحق بمجلد الملكر العربي من القرن العشرين عيسى محمود العقاد

يحتوي الكتاب على عشرة فصول احاطت بتاريخ العقاد الصحفي وتأثير الصحافة في فكره وعلاقته بالصحافة الحزبية. إلى ان استقر أخيرا كتيبا صميا مستقلا. نشر معظم كتبه على حلقات في الصحف المصرية. فقد كان العقاد شخصية صحفية تنتم بالانتماء للشؤون. الذي جمع في داخله عناصر متناقضة. جمع بين القوة والعنف من جانب. والصخرية والصكاهة من جانب

للتحاور العالمه بين الانواع الادبية. وهو مازال ماثلا في ذاكرتي ومحيش. ومازال نموذج حاضرا في على الانبياء منه مثل الصالح الادبية المستفاد من كاتب مثل ركي نجيب محمود أو عثمان امين. كذلك لم اعرف على عبدالوارق. ولكنني اردت في حالته ان اصعب ببعض من كتبوا عنه لولهم بالنظريات التجسباتية. في تمسير الأعمال الادبية.

وانا لم اعرف وجيه غالي. ولكن طروفا قاسية جمعت بيني وبينه والقامت بين الطرفين علاقة وثيقة وإن كانت متوترة. لقد عشت في لندن وفي المنطقة التي كان يسكنها وانحدر فيها في الستينيات من القرن الماضي. وعرفت روايته وطررها من حيثة في ظل هزيمة ٦٧ وما أعقبها من كوارث على الصعيد القومي والوطني والانساني ووجيه غالي يتشبه إلى عالمي في المثل والزمان اعرفه جيدا واجتهدت قصصا من البداية فصولي بقدر اهمه من ما اثرات لغوي - لاسباب شرحتها في المقالات المخصصة له. ولكنني رايت ان اعاد شعوري بالصور واخضع شياطين. وجيه غالي لسيطرة الكشاية. وحاولت ان اسهم من داخل عالمه فهما. جوانيا. وفقا للمصطلح الذي صكه استاذنا الدكتور عثمان امين. أو كما يجاهد الروائي في فهم مصحبات قصته ايا ما كان موقعه الاغلافي أو السياسي منها.

وقد كتبت هذه المقالات بالاستناد الى شهادات بعض الاحياء الذين شهدوا أحداث القصة واشتركوا فيها. وبناء على نقض شامل وتخصيص لمصداق الوثائق الأصلية. ونشرت في صحيفة "الناشرة". ولكنها لم تحظ باهتمام الكتاب الديني سارعا - في غير علم واعتمادا على الشائعات - التي الكتابية عن وجيه غالي ومباشرة الترجمة العربية لروايته وارجو ان تساهم إعادة نشر المقالات هنا على وضع الأمور في نصابها وتبليد ما أحاط بقصة وجيه غالي من عيوض ولغظ.

## ما فعله العريان بوليت

نايف بلال فصل القاهرة - دار الشروق ٢٠٠٨



يعول الكاتب الصاخر ببال فصل في تقديم هذا الكتاب، طلبت مني دار الشروق مشكورة ما أجورة أن أكتب نبذة عن ممس كذا جرت العادة التي يرغم أهل دار الشروق على مادة حسنة. وأزعم أنا انها ليست كذلك.

الكتاب خيبه. هذا ليس موقفا مبدئيا

آخر، وبين التشكيك العميق في أحيان كثيرة وبين السطحية في بعض الأحيان، وبين الديمقراطية والاستبداد بالرأي، وبين القوار والتفويض والمخازن.

اعتمدت الدراسة التي اشتملت على أزملة صيغة من القطع الكبير، كما يقول المؤلّد، ورسم محمد الحمال على تحليل كتابات العقد السياسي في الفترة من عام ١٩٠٤ إلى عام ١٩٦٦، وعلى المراحل التاريخية والسياسية التي تناولت تطور الحياة السياسية في مصر خلال تلك الفترة.

سكّن عام، إذن، قصاه العقد يكتب للصحافة ندات، وهناك عوامل ساعدته على الاستمرار في الكتابة متأقفا متوحها، منها عوامل علمية وثقافية وأخرى مرابية وعصية، عوامل مبنية من جهة ثالثة.

لم يضع د. راسم محمد الحمال في مآرق عشق الشخصية التي يكتب عنها، كما تعود من المؤلفين الذين يكتبون عن شخصيات فكرية فيقولون في صواها وتلمسون لها الأبعاد، ويضعونها في مصاف الفلاسفة الذين لا يخطئون، فالمنهج العلمي للنص الذي اتبعه المؤلّد، رغم إعجابه بالعقاد، لم يمتنع من القول بالعقد لم يكن يوشى الحق دائما فيما يكتب، فالحقيقة أنه كان يستعمل عقل فكره في تزيير وجهة نظره، أو مواقف الحزب أو

الجهة السياسية التي يؤيدها، مهما يكن موضعها من القضية التي يبور حولها الرأي، كما ثبتت بعض كتابات العقد السطحية خصوصا في عقد العشرينات من القرن الماضي، عندما كان يبالغ بعض القضايا الاقتصادية والاجتماعية، أو القضايا المتعلقة بسياسة مصر، لشرقية ويمكن إرجاع ذلك، في رأي المؤلّد، إلى أنه لم يكن يصدر من هذه الكتابات عن ثبات أو معرفة حقيقية بها.

هذا الكتاب مرجع موسوعي لا غنى عنه، ليعرف خطة العقاد الصحفية، وتطور في الصحافة في مصر.

**كيف تبني أي شيء لآي إنسان، مهارات البيع والتعامل مع العميل**  
تأليف جو جيرارد، تتألى براون  
ترجمة أحمد عبد الوهاب  
القاهرة - دار الشروق ٢٠٠٨



ضاعف ما يتبعه ٢٥ مرة.  
حول الصفة الخاسرة إلى خفة للنكس التالي  
تعرف على الطرق الخمس التي

حول بها الصفة من مجرد احتمال إلى عملية بيع وشراء  
تعلم وضع عقبات البيع ووع طهرت أنت والعمل لإنهاء الصفة بنجاح  
- بيع بالخسارة وأصبح بذلك خطا سعيدا

استطاع جو جيرارد عبر سنوات عمله الـ ١٥ لدى شركة فورد، أن يحقق رقما قياسيا عالميا، أدخله موسوعة جينيس، ببيعه لعدد ١٣٠٠٠ سيارة لمعلاء أفراد. لم يكن جيرارد حاصلا على شهادة متخصصة في المبيعات، لكنه تعلم متواجده في مصعة العمل اليومية أنه لا يمكن توصيف الصورة الكلاسيكية لرجل المبيعات، وأصر دائما على القول بأن البناء على المبادئ الأساسية للثقة مع العميل، والعمل الدؤوب، سيكفي أي شخص أن يحقق ما وصل إليه هو.

هذا الكتاب الذي قصير لسنوات طويلة قائمة الكتب الأكثر مبيعا، ساعد الملايين من القراء أن يصلوا لأهدافهم، كما سيحدث معك أنت أيضا، يصعب جو جيرارد أماعل الوصفة التي تستطع في كل أن تحقق الحد الأدنى للبيع في كل صفة باستخدامه لتقنيات ومعهما هو وعرفت باسمه وحقن بها إنخازه القياس، الذي تستطيع تحفيته على أيا.

**غاندفي - السيرة الذاتية، قصة تجاربي مع الحقيقة**  
مهندس كاراشاند غاندي

**An Autobiography- Gandhi**  
**The Story of My Experiments with Truth**

ترجمه من الإنجليزية للمربية محمد إبراهيم السيد  
كلمات عربية لترجمة والمتر. ٢٠٠٨  
صفحة ٥١١



يعد غاندي من أكثر الشخصيات المهمة في عصره الحديث، يمد غاندي في سيرته الذاتية قصة حياته وكيفية تطويره كصوم الساتياجراها أو المقاومة السلمية، وهي مجموعة من المبادئ التي تقوم على أسس دينية وسياسية والتمسك بها في أي واحد من أهدافه الشجاعة والحقيقة واللاعنف، وتهدف إلى إلحاق الهزيمة بالمثل من خلال إرباز طلبه أمام الرأي العام، وقد كانت الساتياجراها بمثابة المحرك لتصال الشعب الهندي من أجل الحصول على الاستقلال. ليس ذلك فقط بل وكانت المحرك الرئيسي للعديد من عمليات

**المقاومة السلمية هي العن العشري**  
لقد كان غاندي يبحث عن الحقيقة المتجذرة في الإخلاص للإله. كما عزا نقاط التحول في حياته والمجاهات نجاحه حقها والتحديات التي واجهها إلى إرادة الإله. كانت شاعبه للتفكير أكثر من تلك القوة الإلهية عظيم الأثر في سعيه نحو الصفاء من خلال الحياة البسيطة والعدالت العنانية والتحكم في شهوات النفس واللاعنف. لذلك أطلق غاندي على كتابه قصة تجاربي مع الحقيقة، ليكون مرجعا لم يرغبوا في اتباع نهجه من بعد.

**أفغانستان**  
**عودة طالبان وأحتمالات المستقبل**  
مطيع الله تالبي  
مركز الجزيرة للدراسات  
المرحلة قصص ٢٠٠٨



إذ أي محاولة لتهم قضية شائكة بحجم الأزمة الأفغانية، تشتت وفوقها طويلا أمام مكونات الصراع وخلفيته والناصر والخصم استمرارية وتعيد دور كل عنصر من العناصر المتناحرة. ولتزامم الأسنة حول عودة طالبان إلى المعتزك الأفغاني، وأسباب هذه العودة وحجمها وتأثيرها على مستقبل أفغانستان والمنطقة، نجد أنفسنا أمام سيناريوهات متعددة وتوقعات شتى، ترسمها حقائق الواقع ومسايات كل طرف، وما يزيد من تعقيد الموحة الأفغانية كثرة الحظوظ المتناحرة، بعد أن تحولت إلى ساحة رئيسية لما يسمى بالحرب على الإرهاب، وأصبحت أول حقل تجارب لعمل الحلف خارج أوروبا، تحولت إلى ساحة للصراع على النفوذ والسيطرة على منابع الطاقة في المنطقة بين الولايات المتحدة وأوروبا والصين وروسيا. هذا بجانب استمرار أهمية أفغانستان في اللغات الإقليمية /الدولية/ الساخنة، مثل الملف الإيراني والصراع الهندي - الباكستاني وعمل المخدرات.

وتشكل عودة طالبان رقما صعبا في هذه الواسعة المعقدة، تعد أن كانت كابول ووشنغتون ومواويل أخرى تتحدث عن هاهنا بلا عودة في أعقاب انهيار نظامها بعمل الفصص الأمريكي العنيف، وتقدم قوى المعارضة نحو العاصمة كابول، بعد شهرين فقط من هجمات ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١، ومن ضمن هذا السياق تطرح أسئلة كثيرة نصها لهم هذه العودة وحجمها وأسبابها وأثارها على

أفغانستان وعموم المنطقة وأحواله لتفسير ما يجري في الواقع الأفغاني لتسمي هذه الدراسة المحصورة إلى استكشاف الصور والحقائق التي قد تساعد على فهم خلفية الصراع في أفغانستان.

كما تستهدف هذه الدراسة إلقاء بعض الضوء على تكوين طالبان كحركة، وعلى تاريخها وأحاديثها، وعلى أسباب عودتها الحالية إلى الساحة الأفغانية، وحضورها القوي واللموس في الحزب والشرق الأفغاني، وشاغل هذه الدراسة في محورها الأخير استشراف المستقبل، عبر التطرق إلى السيناريوهات المحتملة للأزمة الأفغانية، هي صوء ما يجري من متغيرات على الصعيد الأفغاني نفسه، وعلى صعيد المنطقة والعالم بشكل عام، لقد ركزت الدراسة على حركة طالبان كعنصر رئيسي في منظومة المعارضة المسلحة التي تقود العمليات العسكرية ضد حلف الناتو والجيش الأفغاني، ولم يتم التطرق بالتفصيل إلى بقية الأطراف، ولأشك أن هذه مجرد محاولة أولية لفهم الأزمة الأفغانية وتعقيداتها الزمنية، وإل الإلمام الشامل بهذه الأزمة ومكوناتها يتطلب المزيد من الدراسات المستقبلية.

**حرب اللغات والسياسات اللغوية**  
تأليف لويس جاك كاسي  
ترجمة د. حسن حمزة  
مراجعة د. صلاح بزي - مصر  
بيروت المنطقة العربية لترجمة، ٢٠٠٨  
صفحة ١١٠

توزيع مركز دراسات الوحدة العربية  
بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم



صورة التمدد السياسي تعود، في الواقع، إلى أسطورة نابيل، ذلك أن التعددية اللغوية الطبيعية عن الصم، باعتبارها شرارة، هي عميشة أنها التباس أو خلط بين اللغات، وعلى أنها عقاب إلهي يوقفه عاد البرج، وذلك بوصف عراييل للتواصل بين الشعوب، وهذا حال اللسانين الذين يحاولون إحياء استعمال لغة واحدة داخل حدود الدول أو امتداد لغات كويتية اصطناعية. اعتادوا على تحقيقات ميدانية، وعلى دراسة حالات أفريقية ولاتينية - أمريكية وأوروبية وإسبانية، وعلى التوافق مع السياسات اللغوية ويدعو إلى احترام التنوع اللغائي.

## الدكتور السياسي والديني - قراءة

عصرية  
د. زهير محمد جميل كنس  
لملكة العربية السعودية - مكة المكرمة  
توزيع دار مصر الحروسية، ٢٠٠٨، ٢٠٠



## القلعة

تأليف أنطون دى سانت إكسبوري  
ترجمة أحمد عبد بدوي  
القاهرة - دار الشروق ٢٠٠٨



## أوراق بحثية

### الوضع الفلسطيني الأزمة والمصالحة ومستقبل الحركة الوطنية

شهير موسى نافع  
مركز الجزيرة للدراسات  
الدوحة - قطر ٢٠٠٨



بين التاسع والرابع عشر من يونيو/ حزيران ٢٠٠٧  
حسمت مجموعات من الجناح العسكري لحركة المقاومة  
الإسلامية (حماس)، والقوة الاستيعابية الموالية للحركة، الصراع الدائر منذ شهر  
في قطاع غزة مأقوة العسكرية  
وكانت المناطق الفلسطينية الواقعة في نطاق الحكم الذاتي شهدت توترا  
متزايدا منذ فوز حماس في الانتخابات التشريعية في مطلع ٢٠٠٦، ومن ثم تأهلها  
لتشكيل الحكومة الفلسطينية

وصل هذا التوتر ذروته في الاشتباكات التي شهدتها قطاع غزة خلال الاسابيع  
السابقة على عقد اتفاق مكة.  
جاءت من هذا التوتر يعود إلى الحصار السياسي والاقتصادي الذي فرضته  
البوابة المصرية والقوى الغربية عامة على المناطق الفلسطينية بعد فوز حماس  
وتشكيلها الحكومة، ولكن الجدل الذي لا يقل أهمية من ذلك يعود إلى سعي قوى  
ومؤسسات أمنية داخل سلطة الحكم الذاتي إلى تقويض دور حماس في الحكم  
وأخراجها نهائيا من جسم السلطة

أثار هزم الصراع في قطاع غزة تصالح حماس بدو فعل سياسية سلبية  
فلسطينيا وعربيا ودوليا، كما أثار جدلا فكريا حادا في الساحتين الفلسطينية  
والعربية، وقد شابت عملية تصالحات تهاوت ناطقة من الطرفين، سواء من القوت  
الموالية لحماس أو تلك التابعة للأجهزة الأمنية. كما مثلت لحظة مهمة أخرى من  
الاشتباكات الفلسطينية - الفلسطينية، وأضاف تقاسما فلسطينيا وغطيا على  
الانقسامات العربية المحلية الثقافية في الحراق وليغان و لكن لاالات الحسم  
السياسية في الأمام بالتأكياد، سواء فيما يتعلق بالموقع الذي تحتله القضية  
الفلسطينية عربيا وإقليميا ودوليا، أو بعملية التحول المرتكبة التي تشهد  
الخصومة العربية والإسلامية ودور القوى الإسلامية السياسية ومستقبلها في هذه  
العملية. لقد قادت حركة التحرير الوطني الفلسطيني، فتح، النضال الوطني  
الفلسطيني منذ سنة ١٩٩٦، وبالرغم من التعددية السياسية والأيدولوجية التي  
تتسم بها الساحة الفلسطينية، كانت فتح هي من يحدد الاتجاه العام للحركة  
الوطنية طوال ربع القرن الماضي، ولكن دور فتح أخذ في التراجع منذ الانسحاب  
الفلسطيني الأولي، فعلا قدم فوز حماس في الانتخابات التشريعية الأخيرة في  
الضفة والقطاع مؤشرا ملموسا على التراجع التفاحوي وعلى صعود التيار الإسلامي  
السياسي، وهذا انعطاف عديدة أخرى تشير إلى أن حجم ودرجة التحول بين  
فلسطينيين اشانت لا يقلان عموما في الصمة والقطاع

التيهت الأهمية السياسية التي ولتها عملية الحسم في قطاع غزة نحو التعقيد،  
سواء لفرجة زائرو معينة داخل السلطة الفلسطينية أو إبقاء الانقسام على ما هي  
عليه، أو للضغوط التي تمارسها الإدارة الأميركية والحكومة الإسرائيلية على رام  
الله، أو لأن الانقسام الجارية منذ نهاية ٢٠٠٧ حول تسوية نهائية مع للصراع على  
الضفة التي تطلعت استبعاد حماس عن مواقع القرار للسلطة الفلسطينية، وأصبحت  
هذه الأزمة، بدلالة مفتوحة على احتمالات عدة، ولكن من الخط التعامل مع الأزمة  
الفلسطينية باعتبارها مجرد حلقة جديدة في سلسلة التداخبات التي عاشتها  
الساحة الفلسطينية منذ انتهاء حماس من الانتخابات التشريعية، هذه أزمة ذات  
حدود عميقة في التاريخ السياسي الفلسطيني، ومن غير الممكن التوصل إلى قراءة  
المناسبة للحلقة الفلسطينية الراهنة، والتحول الذي يشهده المجتمع الفلسطيني  
وانتاجاته، بدون قراءة السياق التاريخي لجزء حركة فتح والاتجاه الإسلامي  
الفلسطيني، وبدون استطلاع دقيق لشروط التحولات السياسية في السياق  
الفلسطيني، ولنتظر إلى أن صيف ٢٠٠٨ شهد بدايات حوار وطني معالجة الأزمة  
وعواقيها، فإن من الصعب تصور إعادة بناء اللجنة الوطنية الفلسطينية بدون إعادة  
نظر في النهج السياسي لقيادة سلطة الحكم الذاتي، لحركة فتح، ولحركة حماس  
على السواء.

تستمرز الحركة تاريخ حركة فتح، من الفكرة إلى التحرر الوطني إلى السلطة،  
وكذلك تشكيل حركة حماس، بصعودها الحديث في الساحة الفلسطينية، ثم كيف  
كان الطريق إلى الأزمة الحالية، وإلى أين نحن ماضون بعد ما جرى من انقسام.

القلعة هي حكاية أمير ووث ملكة  
عز أبيه، ومن خلال تأملاته في أحوال  
شعبه يصحنا في رحلة فلسفية متمعة  
في أغوار النص الإصمائية يقدم لنا فيها  
خلاصة خبرته وتجاربه.  
ومع أن أنطون دى سانت إكسبوري  
اشتهر بروايته الجميلة، «الأمير الصغير»،  
والتي نشرت بأكثر من مائة وخمسين لغة  
عبر العالم كله إلا أن كثيرا من النقاد  
يعتبرون رواية القلعة هي أروع  
الحقيقية والتي جمع فيها فلسفته  
وحكمته التي استقرت عمرا بطوله  
ولد أنطون دى سانت إكسبوري عام  
١٩٠٠ بفرنسا وكان طيارا ومغامرا جاب  
نطاق العالم كله بطائرته الصغيرة، وكتب  
العديد من القصص والروايات، نشر له  
منها ١٠ روايات قبل أن يلقى حتفه إثر  
سقوط طائرته أثناء رحلة جوية في شمال  
أفريقيا عام ١٩٤٤.

وقد نشرت روايته القلعة بعد وفاته  
عاشت مكانة أدبية البارزة على الساحة  
العالمية، حتى إلى أن حسم ما كتب عنه  
في السنوات العشر التي أعقبت وفاته قد  
بلغ ضخم ما نشره وهو على قيد الحياة

### علم النفس الأكاديمي المعاصر الشباب المعاصر وأزماته

دراسات نفسية ميدانية  
إ. د. محمد حسن عالم  
القاهرة - مكتبة الدار العربية للكتاب،  
٢٠٠٨، ١٢٢ صفحة



الشباب المعاصر وأزماته - دراسة  
نفسية ميدانية، كتاب يطرح سؤالا مهما،  
عن دور علماء النفس والانجذاب في  
التصدي للمشكلات التي يواجهها الشباب  
وفي تفسير الكثير من الظواهر التي تسود  
المجتمع المصري، ويتهم فيها الشباب،  
الكتاب يأتي ضمن سلسلة كتب  
خصصتها الدار، مكتبة الدار العربية  
للكتاب والدار المصرية اللبنانية لعلم

صمد كتاب الدكتور السياسي والديني  
قراءة عصرية للكتاب السعودي الدكتور  
زهير محمد جميل كنس، والكتاب هو  
بعض الفحالات النفسية الحديثة  
والشجاعة التي كتبها وشعرها المؤلف في  
جريدة السياسة الكويتية، وأثار بعضها  
الكثير من المشاكل والمعارك في الصحافة  
بين مله ومعارض.

تناولت الفحالات عدة موضوعات كانت  
الكتاب عنها في الماضي تدخل تحت نطاق  
البحوث المعاصرة، مثل مقالة «هل  
المسلمون أفضل أم لا»، أكد المؤلف أننا  
لنا أفضل ولا نملك مقوماتها، بل نملك  
عكس مقومات القوة من الكذب والتناق  
والرياء والضعف وبهانة، ثم يتناول دور  
وسيطه شهوة المال والحكم في هذه  
السياسة، ويتناول في عدة مقالات الغد  
لنفس العربي عبر شخصية القائد  
العربي الأسوي الحجاج بن يوسف  
القفطي، وكيف أعده في تاريخه  
العربية وذكر المؤلف نماذج كثيرة ومتعددة  
لفساد الحجاج وخاصة قتل الأبرياء من  
المديرين المسلمين، ثم يتناول موضوع غلو  
واعتصام المثقف الديني وعدم قبوله للآخر  
الأخر، ويتخذ في مواقفه وأرائه، ثم  
يتناول بالحدوث عن قضية مهمة وهي  
مشاركة الزبعية في الإصلاخ في الوطن،  
ثم يميل لناول موضوع حيوي وحساس  
وهو علاقة ولي الأمر، ويصير الدكتور زهير  
كنس على عدم طاعة ولي الأمر لا  
بشرط عدها في هذا الكتاب وفق  
مطلوب الإسلامي، ثم يشير إلى أن  
حق أي مواطن في السلطة، ويكتب عن  
موضوع المؤسسة الدينية الخليجية،  
منذرا بكثير من مواطني الفساد والضعف  
والخنازير في تلك المؤسسة وعدم تطورها  
ويؤكد ضمن الكتاب أن الإقدام على  
الاجتهاد والمطاع في الفتاوى والتشدد  
والتحليل هو واجب ديني وطني وثقافي  
ويشدد على كل متفك وكاتب، وإن الكاتب  
الناشط ما جرد على جهده واجتهاده وفعله  
ومحاولته الوصول إلى الصواب، ويوقع في  
الكتاب إلى الحوار والتفكير والتفهم  
والمراجعة والمناقشة والتقدم من قبل أهل  
ثقافته واكتفاء بالقلم، ويقول أنها دوة  
الفاعلة في الساحة العربية.

ولكنها فوق ذلك تسجلها في لقريه وتاريخها وجغرافيتها وسكانها من بشر وطير وحجر ونباتاتهم جميعاً.

## العوامل الخمسة لخلل العمل الجماعي

باتريك ليمسوني  
The Five Dysfunctions of a Team  
ترجمة من الانجليزية للعربية محمد عبد البروف الموجي  
كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠٠٨، ١٩٤ صفحة



في كتاب العوامل الخمسة لخلل العمل الجماعي، The Five Dysfunctions of a Team، يسمي سرفش لينسوني من جديد هسة عن افضل السبل لقيادة فريق عمل ناجح شامل في رؤيتها وافانها كتابه السابقين اللذين حققا اعلى البيعات، وهما The Five and a Temptations of a CEO of Obsessions of an Extraordinary Executive. غير انه هذه المرة يتحول كطافته الابداعية القصصية والفكرية إلى عالم فريق العمل الخبيء بالتمشيد والعومس.

ففي هذا الكتاب تواجه كالترين الحيرة التمييزية الجديدة - اضداد ازمة قيادية من الممكن ان تواجه قلدا في بداية عمله، الا و هي محاولة لتوحيد فريق عمل في حالة من العمسى تهدد بانتهيار المؤسسة بأكملها قبل باترى شتيح في مهمتها؟ اما سيتم طردها من العمل؟ هل ستهاجر المؤسسة؟ ان الحكمة الابدائية التي تنتسب اليها تلك القصة التي حاك لينسوني خيوطها ببراعة فائقة في ان القيادة مهمة تتطلب قدرًا من الضجاعة بقدر ما تتطلبه من بصيرة نافذة. ومن خلال احداث القصة، يكشف لنا لينسوني عن اخطر خمس نقاط ضعف تصيب كيان كل فريق العمل - حتى اضلها بالخلل والتصدع. قد يرمس لنا نموذج الفريق الناجح من خلال خطوات عملية تعبر الفريق على تحطى الصعاب وبناء كيان قوي متماسك.

وكما هو الحال مع كتب لينسوني السابقة، فقد نجح في نسخ هسة متمعة وشيقة تعمل رسالة مؤثرة على الرغم من بساطتها البديهية - الى كل قائد يكافح من اجل تكوين فريق عمل فذ.

النص الاكاديمي المعاصر، تجد اشراق النافس محمد رشاد رئيس مجلس إدارة الادار المصرية للمناينة، وبهينة تحرير مكونة من الأستاذ الدكتور مصطفى سويحه، ود خالد عبدالحسن بدر، وفي تقديمه لهذه السلسلة يقول الناشر محمد رشاد إنها راغت ان تنقل إلى القارئ أحدث ما تشهده التي استقرت في الموضوعات التي تصدىده الكتب لعالجتها وهو امر الاسهام مصدرى المنشأ او عربيا او عالميا، والجدير بالذكر في هذا الصدد، والكلام لحمد رشاد - ان لدينا الآن من اهل الاختصاص من تقرأ إلى جهازاتهم إلى مصاف بشار العلماء الكبار في العالم. يحنو الكتاب على خمس دراسات كبرى، الأولى بعنوان الصورة المذكرة للطلاب العولاني في المجال الدراسي، لدى هسة من طلاب المدارس الثانوية، بينما جاءت الثانية تركز على المشكلات المارة لتدليلها لدى عية من طلاب وماليات الجامعة، في سياق نفسى اجتماعى، ومحصنت الدراسة الثالثة لاتجاهات الشباب نحو الزواج وقضايا التي باتت طاهرة ومشوطة مثل ارتفاع معدلات العنوسة، وزيادة حالات الطلاق، وتناقش القصص الدرامية طاهرة خشان الابات وعلاقتها ببعض متغيرات الشخصية، أما الدراسة الاخيرة فهي ازمات الحياة بشكل عام، وكيفية معالجتها.

## محلى تأليف عبد المتاح الجمل

لغزة - دار الشروق ٢٠٠٨



سيدرك القارئ ان وراء هذه الكتابية محبة فريدة، ومعرفة عميقة بالنفس البشرية، ولطيفية على جميع صورها ان محلى المتاح الجمل يمارس حواسه الخمس في فنه، حيثجتمعة دائما متآزرة لتجديد القوى والدلالة بأسلوب ساجر لا ينعقد جماله او كرازه. إنه يريد اماناً ان يمسك بالحيات وأن يصنع بالنم حياة موازية لها، وهنا هو هدفه الأول، ومقتصد الأعلى. وهكذا، تصبح سيرة مصعب، عملاً فنياً فريداً، يمسك بالحيات وبالطبيعة إسماكا يجعل الحياة طيبة، والطبيعة حياة. والحيات موازية إلى مادة فنية واحدة تلحمها التمسق تحتيتها لتعشى فيها وكأنها تحرية مباشرة او فكرى عزيزة غائرة. قد تنتسب هذه السيرة التي كتبها المؤلف لغيرته إلى في القصة القصيرة او الرواية.

## نقد العقل العربي

إميل بول كفت  
ترجمة غاثم هيا  
مهرت المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨، ٢٩٥ صفحة



شعلت العلاقة بين العقل العربي والعقل الفطري كل من تابع كتبه، منذ ظهور نقد العقل العربي قبل مائتي عام، لكن اوسع الشبهرات، المعاصرة في الاحلاق انتشاراً تضع هذا الموضوع جانباً لتأخذ مفاصلها تصفى على ابحاثها صفة التحديد، من دون العودة إلى هذه القصبة الاساسية في الفلسفة الكنتية. هكذا لعفت، اطلاق الخطاب، ليجورج هابرماس ونظرية جرونر وزور في العدالة، وكذلك لعل في الاخلاق النفعية وغيرها، من لم يرغب، او لم يستطع ان يتسع للاخلاق الكنتية، اسباب تعود إلى ايدولوجية او إلى مواقف الدينية او الاجتماعية او حتى السياسية، لابد من ان يعترف لكنت، بشكل عام، بأنه باثع ما لاخلاق، بكل بساطة. قائلون موضوعياً، وأن لها صمة ميمرة في فائدية مسلمتها للتعصيم، ومن اصولها الدائي يقع في استقلاله الزادة، ثم ان إشكالية الخير الاسمى، إذا لم يرد الإنسان أن يتناساها وان يكتسها، لا ترحل الا عن طريق وجود الله، وخلو النفس، والعبرة، وبذلك يمكن ان يلقي السؤال حول تفسيد ارادة الإنسان حلاً. وكذلك حول تعيين عقله مطلبه للسعادة، وهذا هو محمل موضوع الاخلاق لنافى الفلسفى النقش.

## يحدث في مصر الآن

تأليف يوسف القدي  
القاهرة - دار الشروق ٢٠٠٨



يقول الناقد الكبير د. على الراعى عن هذه الرواية "يحدث في مصر الآن"، عمل زواني في العمل الأول، تسجل له بساطته الشديدة في الضعف والذلل والتدن، ويحفل في ارجائه انقساماً من هو جويج في "المفتش العام"، وشيئاً من كابوس كافكا في "الحكمة"، وشيها فريديا

من توفير الحكيم في "يوميات دانب هي الاياف"، ومع كل هذا الانسحاب، يظل للعمل طابعه الخاص، فقرة يوسف القدي على الضمير دون ريب، والإدانة دون غشابة، والاحيار إلى جانب الصفاء والحمين دون تحيز لهم.

ان يحدث في مصر الآن، معالنية سياسية ممتازة تنبع من القرية المصرية موضوعاً وشكناً، ويثبت ان الرواية السياسية تستطيع ان تكون ضاحكة حيناً، ساخرة حيناً، دون أن تفقد شيئاً من جديتها، بل لعلها تزيد من عمق هذه الجدية بالتناول الذي يبدو سبها ولكنه لا يأتى ان يفوس إلى اعماق القارئ

## التسلخ ونزع السلاح والأمن الدولي

الكتاب السنوى ٢٠٠٨  
بهرت مركز دراسات الوحدة العربية والتي يصدره معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي، مسيرى، ٢٠٠٨، ٩٤٢ صفحة



يتميز الكتاب السنوى التسلخ ونزع السلاح والأمن الدولي الذي يصدره معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي (سيبرى)، أبرز استقائير السوية الاستراتيجية، كخرج شامل لمتشورات عالمية في كل شأن يتعلق بمصير السلام على الأرض.

يؤقت هذا الكتاب، المرجع، في تقارير كية مسحية وبيانات ومداول واهامات دقيقة، مجمل التطورات في العاصم ٢٠٠٧، في شتى مجالات الأمن، والصراعات، والإنفاق العسكري والأسلحة

وهو يسعى إلى توفير مصدر موثوق، ومستقل، يمكن لمرآكز القرار، والبحث، والقرار، التعيين، الرجوع لخطم البحث، لسيان اوضاع العالم السياسية والاقتصادية والأمنية، وماذا دار خلال السنة الحفنة من حوارات ومناقشات، وما حلال من قرارات وما تشكل من لجاب نقى بالصراعات، وكيف حدث (اذا كانت قد حدث)، ولعام الساس على التوالى، يقدم مركز دراسات الوحدة العربية إلى القارئ العربي، في هذا الجلد، الطبعة العربية، وذلك بالتعاون مع المعهد السويدي لباكسكندرية، وبنقى الطبة العربية، لها الكتاب السنوى، محافظلة، إلى درجة عالية من السطوية، والعرفية، على ما جاء من النص الأصلي للكتاب (باللغة الانجليزية)، وهو نهج يلتزم به مركز دراسات الوحدة العربية في إنتاجه العربي، مما يثقى العهد موصولاً مع القراء العرب.



## Epistolario Mara'nán- Unamuno-Ortega

رسائل ماراثيون - أونامونو - أورتيجا  
Edición crítica de Antonio López Vega  
308 pp. euro 23.90  
Espasa, 2008



يجمع هذا الكتاب جميع الرسائل لأهم كتاب ومفكرى القرن العشرين بإسبانيا، جريجوريو ماراثيون، ميغيل دي أونامونو، وخوسيه أورتيجا إي جاسيت، كما يشير الطولوي لوبيث بدا في دراسته إلى مقدمة لأول مرة رسائل كاملة وحلقة في كتابه.

قام لوبيث بيجا بتحريرها حيث إنه مؤرخ والسكرتير الحالي لمؤسسة ماراثيون التي من خلالها استطاع أن يصل لتلك الرسائل مباشرة.

## Los papeles de agua

Antonio Gala  
450 pp. euro 22  
PLANETA, 2008



يرجع الطولوي جالا لقصص الحب العظيمة عن طريق أوراق الماء.

لم تكن قط السيدة «أوسفونسيو» موروثو، سهلة الفهم، وحتى عندما أصبحت كاتبة باسم دييانيرا الأزكون الناجحة بكتابتها، حتى انتصرت احدهما على الأخرى وقررت دييانيرا الذهاب إلى الهندية بإسبانيا لتحدد مصيرها بحياتها.

فكتابتها على أوراق مذكورتها بالهندية كانت من أجل فهم نفسها من خلال ماضي الأيام مع امرأة اعلمت نفسها.

تتبع هذه المذكرة امرأة تحاول أن تعيش من خلال كتابتها بعد أن تركت من قبل ذلك، نوعا من الكتابة التي تخدم فقط الأخرى، وقررت امرأة استطاعت أن تنسى نفسها عندما اكتشفت في النهاية أنها لم تكن الحياة أبداً.

يعتبر هذا الكتاب اعترافاً دون حياء.

التعقيدات ومتاعبهما الشمالية والمختلفة وغيراتها المشتركة وخبرات كل واحدة فيهما على حد، مما يخلق مشاعر مركبة ومعقدة بنهاية مفاجئة أو غير متوقعة.

## LA DAMA AZUL

SIERRA, JAVIER  
400 pp. euro 19.20  
Planeta, 2008



لا يوجد عمل خيالي كشف عن كثير من الحقائق الخفية... فالعامل الروائي لتاريخ إسبانيا الفاضل يضع تحت القرطبة صحفية، وجاسوسة تعمل بالخبايا بأمركا الشمالية، وجسوسة مختارة بحكمة الملك بالفاطيكين وتواجههم بواسطة العمل بمرافقة المظومات من إسبانية إضعاف إيمان ملايين المسيحيين.

بينما الغزى في أمريكا عام 1919 عندما وصل لأول مرة الفرانسيسمكان إلى المكسيك الجديدة واكتشفوا أن أحدا سيقيم.

الهنود الحمر الذين رحبوا بقدومهم، حكوا لهم من السيدة الزرقاء الفاضلة التي جاءت لخباياهم خلال شهر.

أعطى بابا أوربانو الثامن والملك فيليب التاسع أوامر بإجراء استقصاءات عنها وانتهوا بأن هذه السيدة الفاضلة ليست إلا زاهية تعيش حياة الريفية من سوريا التي يشمال إسبانيا تدعى الأخت María Jesús de Agreda جيسوس دي أجريدا، ويؤمن أن لشهر زلفاتها أنها أصبحت قادرة على أن تشرق بعد أكثر من 10 آلاف كم. ولكن كيف فعلت هذا؟ عن طريق مرض الحمى من أجل إخصاء سر الرعائية ووجود Coronovisor أو الجدول الزمني للمرابية فهو اختراع عبقري متطور في عهد البابا الثاني عشر في روما من أجل استعادة الصور وأصوات الماضي وغفوض امرأة وقعت في اشتباك بين العمل لدى قسم الدفاع وزيوتها غير العادية الذين يتكلمان معاً، جعل الرواية بها إثارة أكثر... حيث يوجد أشخاص يستطيعون أن يكونوا في مكانين في نفس الوقت فأحداث الرواية بها غموض وأسرار.

## Los Premios Grammy 1958-1982 "25 años de música"

جوائز جرامي 1958-1982  
Xavier Gállego, F. 2008, Lenoir  
256 pp. euro 23



أول كتاب مرشد لجوائز Grammy بأمركا الشمالية من عام 1958-1982 وفقاً لخصائص الموسيقى الحمينة (بوبسوك، جاز، البلد، ريجي... إلخ).

في هذه الطبعة التي تغطي فجوة الأدب الموسيقي ببلاد إسبانيا، نستطيع أن نكتشف هنا معلومات عن ماهو الجرامى وما يضمنه كما نكتشف بيانات عن أحداث في كل مرة يتم فيها تسليم الجوائز. ونستطيع أن نعرف من هم المرشحون والفائزون ونستطيع معرفة أهمية الفائزين بالجوائز وغير المعروفين بالأكاديمية. كتاب، جوائز، جرامى، لا يترك أحداً إلا بعد انتباهه. ما التزم لتكم الفرصة للمعرفة أكثر.

## HERMANAS

Aldecoa, Josefa  
232 pp. euro 38.18  
Alfaguara, 2008



يعيشان إيزابيل وأنا مع بعضهما منذ بضع سنين... فبالرغم من أن طفولتهما مما تأثرت بالألم الحاضرة دائماً معهما في ذهنهما على الرغم من غيابهما، فكل أمنيتهما المختوعة بين أليتهما: السعادة والعائلة من جهة والحرية والاستقلالية من جهة أخرى، مما رسم طريقة حياتهما ومصيرهما.

في المستقبل تقب أخواتين في حب نفس الرجل مما يؤدي لوجود منافسة بينهما ويضع علاقتهما في خطر.

تتعلق القصة عنان أفكارها المتعكسة والمذكورة في كلمة هاتين الأختين اللتين تتلنان بشكل بارز نوعين من النساء حيث وضعت حالة الأختين في سلسلة من

## OBRAS COMPLETAS I: POESÍA / CUENTO NOVELA

الأعمال الكاملة، شعر وقصة ورواية  
Hernández Efrén  
488 pp. \$ 44.75  
Mexico  
FCE, 2008



يجمع الجزء الأول لهذا الكتاب بين الشعر والقصة والرواية لأعمال الكاتب المكسيكي، إيفرين إرنانديز، كما يراه الناقث وكتاب المجلد الخاندرو توليدو، لديه اتجاه عاشق وله موهبة نادرة، فانهاه موهبة الشاعر نتج كتابات مثيرة وموجبة لثلاثوناً الأدبية بالقرن العشرين في المكسيك أي أنه عمل لا غنى عنه على مر الزمن وفقاً لدوق وراي الأجيال الجديدة من القراء والناقد.

## Movimiento de mujeres.

Mujeres en movimiento  
Bego'na Zabala  
292 pp. euro 7  
Txalaparta, 2008



في هذا العمل يرجع المؤلف بيچونيا شيبادا بنظره ثلاثين سنة للواء حيث منظمة الانقلاب النسائي في إقليم الباسك، إنها قصة شخصية وجماعية تاريخ متطلبات النساء والناجيات. فمن أجلهن الاختار المؤلفة التي نشر طلبا نادين بها مراراً كثيرة في مقاهرات أو مطبوعة في البداية لمعالجة الكثير من القضايا الهامة لنضال المرأة.

«يسقط العمل»، لا يوجد عتف بدون تنهيه، لا يوجد عتاف دون «ألي، ألي، ألي» المرأة ستتصبر، والكي والكثير جميع الناس... هكذا قدمت المناقشات والمجادلات من قضايا الاضطهاد من جانب السلطة حيث تكون في العمل والأموعة والحرب والظلم والبقاء ولا سيما الحركة النسائية.



أكثر من

٥٠٠٠

شخص يستخدمون يلوبيديجز

للتسوق كل شهر

هل يشتررون منك ؟

لجذب هؤلاء المشترين إتصل على **345** 19



دليلك للأعمال في مصر

**YellowPages.com.eg**

Print • Online • Mobile

# مع الرقم السري المجاني

## XXXX

### الكل بيتكلم أراضى

### الكل مرتاح ومرضى



optimization services

باستخدام الرقم السري المجاني عن طريق ١١١ أو موقعنا على الإنترنت ومن غير ما تحتاج تروح للسنترال تقدر،

- تشترك أو تلغي خدمة المباشر
- تشترك أو تلغي خدمة الاتصال الدولي
- تشترك أو تلغي أي من خدماتنا (الإظهار، الانتظار، المانع الكودي...)
- ترسل تلغراف من أي مكان في العالم
- تنقل خط تليفونك لمكان آخر

• تضمن السرية التامة لبيانات خطك ولفواتير تليفونك

اتصل بـ ١١١ لمعرفة أقرب مكان للحصول على رقمك السري المجاني



المصرية للاتصالات

Telecom Egypt

شبكة واحدة .. بتقربنا كلنا

www.telecomegypt.com.eg